بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
الدراسات العليا





الشيخ محمد سلطان المعصومي وجهوده في نشر العقيدة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب

فواز بن عبد العزيز بن عبيدان السلمي

إشراف

فضيلة الدكتور / عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة

١٤٢٣هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة : ((الشيخ محمد سلطان المعصومي وجهوده في نشر العقيدة))

ويهـدف البحـث إلى إبراز جهود العلماء في القرن الرابع عشر الهجري في بلاد الحرمين وغيرها الذين اهتموا بنشر عقيدة السلف الصالح والدفاع عنها وأما أهميته فتكمن في إبراز جهود الشيخ المعصومي المتوفى عام ١٣٨١هـ في تقريـر العقـيدة والدفاع عنها وإخراج سيرة وافية عن حياته ومؤلفاته وتشتمل هذه الرسالة على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمـة وفهـارس تفصـيلية وكان الباب الأول متضمن أربعة فصول الفصل الأول عن الكلام على الناحية السياسية والثقافية والاجتماعية وتضمن الفصل الثاني الحديث عن حياته الشخصية ومحنته على يد الشيوعيين وتناول الثالث حياته العلمية وثناء أهل العلم عليه . أما الأخير فكان عن مؤلفاته وآثاره العلمية .

وكان الباب الثاني عن منهجه في تلقي العقيدة وجهوده في تقرير أنواع التوحيد واشتمل على تمهيد وفصلين أما التمهـيد فكان عن بيان مصادر السلف في تلقي العقيدة ، أما الفصل الأول فقد خصص لبيان منهجه في تلقي العقيدة ، وتضمن الفصل الثاني تمهيداً في تعريف التوحيد وأهميته ومن ثم الحديث عن جهوده في تقرير أنواع التوحيد .

وخصـص الباب الثالث لجهوده في بيان الإيمان ومسائله وأركانه وقد تضمن هذا الباب فصلين : الفصل الأول في بيان الإيمان بالله ومسائل الإيمان . أما الثاني فكان الحديث فيه عن بيان جهوده في بقية أركان الإيمان .

وفي البـاب الـرابع تم تناول موقفه من البدعة وبعض الفرق الضالة والشيوعية ، واشتمل على أربعة فصول ، الفصل الأول في بيان البدعة وآثارها وأما الفصل الثاني فهو في موقفه من بدعة التصوف والصوفية .

وفي الفصـل الثالـث تناول الحديث عن القبورية وبدعها وخرافتها والرد عليها وتناول الفصل الرابع وقوف المعصومي في وجهة التيار الشيوعي والكتب التي ألفها في الرد على الملاحدة الشيوعيين .

وفي الخاتمـة تم التوصـل إلى أهم نتائج البحث ، ومنها موافقة الشيخ المعصومي لمنهج أهل السنة والجماعة في أبواب العقيدة . وعنايته الخاصة رحمه الله بتوحيد العبادة والدعوة إليه والحرص على حماية جناب التوحيد . ومنهجه من أهـل الـبدع الموافـق لمنهج السلف الصالح وقوفه في وجه التيار الشيوعي الملحد وبيان ضلاله . ومن أهم التوصيات إخراج كتب الشيخ المعصومي بعد تحقيقها علمياً ونشرها ليستفيد منها طلاب العلم ليقتدوا بعلماء أهل السنة .

وتشتمل الفهارس على : فهرس الآيات القرآنية وفهرس الأحاديث النبوية ، فهرس المصادر والمراجع ، وفهرس الموضوعات .

والله الموفق للصواب ،،،

الباحث	المشرف على الرسالة	عميد كلية الدعوة وأصول الدين
فواز بن عبدالعزيز السلمي	د. عبدالله بن عمر الدميجي	د. عبدالله بن عمر الدميجي

شكر و تقدير

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمه التي لا تحصى، كما قال تعالى: { وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها}[١]، و الصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله خير خلقه و خاتم أنبيائه و رسله، وعلى آله و صحبه أولي الفضل و الدرجات... وبعد:

فأشكر الله عز و جل الذي من علي بنعم كثيرة، أعظمها نعمة الإيمان، و أشكره أن من علي بإنجاز هذا البحث، و أسأله أن يجعله مسددا، كما أسأله عز و جل أن يوفقني لشكر نعمه، إنه ولي ذلك و القادر عليه.

و اعترافا بالفضل لأهله، وعملا بقول رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما رواه الترمذي –رحمه الله– من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»[٢]، أقدم شكري و فائق تقديري و احترامي، لشيخي الفاضل سعادة الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي، الذي تفضل مشكورا بالإشراف على هذه الرسالة، و صبر علي صبرا جميلا، وأمدني –حفظه الله– بتوجيهاته المفيدة، و إرشاداته القيمة السديدة، التي أنارت لي الطريق التي سرت عليها، حتى

---

١ –سورة إبراهيم الآية : ٣٤

٢- أخرجه الترمذي و قال حديث حسن صحيح ، راجع سننه، كتاب البر و الصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ٢٩٨/٤–٢٩٩، تحقيق كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ١٩٨٧م.

انـهيت هذا البحث .. فجزاه الله عـني خـير الجـزاء و أمـد في عمـره و نفـع بعلمه ،و ختم لي و له بالصالحات.

كما أتقدم بجزيـل الشـكر و عظـيم التقـدير إلى القـائمين علـى أمـر جامعـة أم القرى، من أجل مساعدتي على إكمال دراستي حتى تم قبـولي في الدراسـات العليا، فأرجو من الله عز و جل أن يزيدها عـزا و رفعـة، و أن يجـزي عـني القائمين على أمرها أحسن الجزاء، إنه ولي ذلك و القادر عليه.

و أكرر شكري و تقديري كذلك للقائمين على أمر كلية الدعوة و أصـول الـدين و الدراسات العليا بجامعة أم القرى، على ما يبذلونه مـن الجهـود المتواصـلة في خدمة العلم وطلابه، و تـوفير كـل مـا يسـهل لهـم طريـق الحصـول علـى الإستفادة العلمية المنشودة . فجزاهم الله عني وعن طلبة العلم أحسن الجزاء، و أمدهم بعون من عنده، و بارك في جهودهم و أمد في أيامهم، إنه علـى كـل شيء قدير.

و ماكان لي أن أنجز هـذا العمـل إلا بعـون مـن الله تعـالى ثـم بمسـاعدة قـوم آزروني فيه، وشدوا عضدي، سواء من جامعـة أم القـرى، أم مـن خارجهـا، فلهؤلاء مني جميعا جزيل الشكر و خالصـه، و عظـيم التقـدير ووافـر الثنـاء، وأرجو من الله العلي القدير أن يجزيهم عني أحسن الجزاء، إنه على ما يشاء قدير.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نستهديه، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين و بعد:

فإن العقيدة هي جوهر الدين وأساسه الذي ينبني عليه، ومن المعلوم أن أول ما دعت إليه الرسل، وأنزلت من أجله الكتب، هو توحيد الله عز وجل ونبذ الشرك، قال تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}[1].

ولهذا بدأ به الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته، واستمر يدعو إليه عشر سنوات قبل أن تشرع بقية أركان الإسلام، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصي بالدعوة إليه أولا، فقد قال لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن«إنك تأتي قوما أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله» وفي رواية «إلى أن يوحدوا الله» الحديث[2].

---

١ – سورة النحل الآية :٣٦

٢ – رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ١٠٨/٢، وصحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الإسلام ٣٧/١-٣٨

ولأهمية التوحيد اشتغل بتبليغه علماء الأمة على مر العصور، من فجر الإسلام إلى يومنا هذا.

وكان من العلماء البارزين في القرن الرابع عشر الهجري،الذين اهتموا بدراسة العقيدة الصحيحة وتبليغها بكل الوسائل، الشيخ محمد سلطان المعصومي، الذي كان له دور بارز في الإصلاح والتجديد في بلاد ما وراء النهر، قبل هجرته عنها إلى البلد الأمين، لذلك وقع اختياري – بعد إجالة الفكر وإمعان النظر – على البحث في هذا الموضوع، وكان بعنوان:

الشيخ محمد سلطان المعصومي وجهوده في تقرير العقيدة

أسباب اختياري لهذا الموضوع:

١- أهمية إظهار جهود العلماء في بيان عقيدة التوحيد ونشرها، ممثلة في جهود الشيخ المعصومي.

٢- قلة من كتب عن جهود الشيخ المعصومي في مجال العقيدة والدعوة إليها، علما أنه كان من العلماء الذين قاموا بجهود قيمة في هذا المجال، خاصة في بلاده قبل هجرته عنها، حيث تكثر هناك البدع الكلامية والصوفية.

٣- إنه -رحمه الله- يعتبر من العلماء المشهورين في عصره بمقاومة البدعة وأهلها.

٤- للشيخ رحمه الله مواقف شجاعة وقوية وجريئة في وجه التيار الشيوعي الذي عظم شره وبلاؤه وخطره في بلاد ما وراء النهر في أيام المعصومي بها،

حيث تعرضت حياته للخطر، الأمر الذي أدى لخروجه من بلاده وتفرقه عن عياله وأولاده جراء هذه المحنة.

٥- أهمية كتبه و رسائله في بيان عقيدة أهل السنة والجماعـة، و الـرد علـى المبتدعة والضلال حيث بلغت مؤلفاتـه رحمـه الله في مختلـف المجـالات مـا يزيد عن تسعين مؤلفاً .

٦- الوفاء لمن خدم الـدعوة السـلفية في الماضـي القريـب، وحفـز همـم أجيـال المسلمين في هذا العصر للسير على منهجهم و معتقدهم.

٧- المكانة العلمية العالية التي تبوأها العلامـة المعصـومي -رحمـه الله- فقـد بذل حياته كلها لخدمة العلم، و لا يشغله عنه أي أمر من الأمور، و قد ابتدأ في طلب العلم منذ نعومة أظفاره، و أقبل على أخذ العلم عن العلماء في عصـره بجد، و حرص بالغ في التحصيل العلمي، و أكب على كتـب أهـل العلـم في فنون شتى، يقرؤها و يذاكرها حتى نال في وقت مبكر من عمره علومـا كـثيرة و فنونا مختلفة، وقد مارس التدريس و تصدر للإفتاء في سن مبكرة من عمره، و ظل يواصل تحصيله العلمي دراسة وتدريسا و تصنيفا حتى ظهـر فضـله و علت مكانته بدرجة نادرة في عصره.

٨- حرص جامعة أم القرى -ممثلة في كلية الدعوة وأصول العقيدة الدين قسم العقيدة - على التعريف بجهود العلماء السـلفيين في نشـر العقيـدة الصـافية، الخالية من شوائب البدعة.

وأما خطتي في البحث فقد اشتملت على مقدمة و أربعة أبـواب وخاتمـة وقـد تم تفصيل ذلك على النحو الآتي:

أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وخطة البحث.

وأما الباب الأول: فخصصته لحياته الشخصية والعلمية ومؤلفاته واشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: الناحية السياسية و الثقافية في عصر المعصومي

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الناحية السياسية و الثقافية في بلاد ما وراء النهر

المبحث الثاني: الناحية السياسية و الثقافية و الإجتماعية في الحجاز

الفصل الثاني: حياته الشخصية و محنته على يد الشيوعيين

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: حياته الشخصية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مولده واسمه ونشأته

المطلب الثاني: أولاده ووفاته

المبحث الثاني: محنته على يد الشيوعيين

الفصل الثالث: حياته العلمية وثناء أهل العلم عليه

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: طلبه العلم و أطواره الفكرية

و فيه مطلبان:

المطلب الأول : طلبه العلم

المطلب الثاني: أطواره الفكرية

المبحـث الثاني : رحلاته العلمية

المبحـث الثالث : شيوخه

المبحـث الـرابع : تدريسه وتلاميذه

المبحث الخامس : مكانته العلمية وثناء أهل العلم عليه

الفصل الرابع: مؤلفاته وآثاره العلمية

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مؤلفاته المنشورة

المبحث الثاني : مؤلفاته غير المنشورة

المبحث الثالث : مقالاته المنشورة

أمـا البـاب الثـاني: فعـن منهجـه في تلقـي العقيـدة وجهـوده في تقريـر أنـواع التوحيد

وفيه فصلان:

الفصل الأول: منهجه في تلقي العقيدة

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد: في بيان مصادر السلف في تلقي العقيدة ودراستها

المبحث الأول: التزامه بمنهج السلف في تلقي العقيدة

المبحث الثاني: موقفه من مصادر السلف في العقيدة

المبحث الثالث: موقفه من بعض الكتب الخلفية في عصره

الفصل الثاني: جهوده في تقرير أنواع التوحيد

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد: في أهمية توحيد الله عز وجل

المبحث الأول: جهوده في تقرير توحيد الربوبية

المبحث الثاني: جهوده في تقرير توحيد الألوهية

المبحث الثالث: جهوده في تقرير توحيد الأسماء والصفات

أما الباب الثالث: فعن جهوده في بيان أركان الإيمان ومسائله

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: جهوده في بيان الإيمان بالله ومسائل الإيمان

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الإيمان بالله وأهميته وآثاره

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الإيمان

المطلب الثاني: أهمية الإيمان وآثاره.

المبحث الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه

المبحث الثالث: حكم مرتكب الكبيرة

المبحث الرابع: نواقض الإيمان

الفصل الثاني: بقية أركان الإيمان

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بالملائكة

المبحث الثاني: الإيمان بالكتب

المبحث الثالث: الإيمان بالرسل

المبحث الرابع: الإيمان باليوم الآخر

المبحث الخامس: الإيمان بالقدر

أما الباب الرابع: فعن موقفه من البدعة وبعض الفرق الضالة والشيوعية

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: موقفه من البدعة وآثارها

الفصل الثاني: موقفه من الصوفية

الفصل الثالث: موقفه من القبورية

الفصل الرابع: موقفه من الشيوعية الملحدة

ثم الخاتمة: وقد اشتملت على أهم نتائج البحث

ثم الفهارس: وقد قمت بعمل فهارس علمية وهي

١ – فهرس الآيات القرآنية

٢– فهرس الأحاديث

٣– فهرس المصادر والمراجع

٤– فهرس الموضوعات

وبعد إعداد هذه الخطة وموافقة القسم عليها قمت بجمع ما تيسر من كتب الشيخ المعصومي رحمه الله ومن ثم التنقيب عنها في المكتبات العامة والخاصة والسؤال عمن تبقى بيدي بعض ورثته حفظهم الله فكان ما وجدته كافياً لإخراج بحث لائق بالشيخ وافياً بجميع ما نريد الحديث عنه وفق أبواب الخطة فقمت مستعيناً بالله بقراءة كتب الشيخ رحمه الله قراءة متأنية فاحصاً فيها ومدققاً ما يخص أبواب العقيدة مفرغاً ذلك في بطاقات خاصة فجتمع لدي ما يزيد على أربعمائة بطاقة مقسمة على أبواب البحث وفصوله ولأهمية ما دونت في تلك البطاقات فقد احترت في أيها أقدم لهذه المادة العلمية فاجتهدت وسعي في إنتقاء النصوص المثرية لهذه البحث المبينة للغرض في أقصر عبارة وأوضحها .

علماً أنني لم أحصل علي بعض كتب الشيخ رحمه الله التي كان لها أثر كبير في إثراء البحث إلا بشق الأنفس وخاصة تلك الكتب التي كانت في المكتبات الخاصة فكم عانيت من المشقة بعد علمي بوجودها في الحصول عليها هذا فيما يتعلق بإبراز جهود الشيخ رحمه الله والتي بناءً عليها تم معرفة جوانب من سيرته بيد أن هناك جوانب أخرى لم تتطرق لها الكتب ولم يتطرق لها من ترجم للشيخ فيما أعلم ، بذلت قصارى جهدي في بيانها من خلال البحث عمن عاصر وسؤاله بعد الرحلة إليه وكذلك بسؤال تلامذته الذين استطعت الوصول إليهم وبعض أفراد عائلته من أولاده وأحفاده فجتمعت لدي بحمد الله سيرة وافية للشيخ رحمه الله شاملة لأحواله

الشخصية والعلمية فما كان مني في نهاية هذا الجمع بعد تنسيقه وتنقيحه سوى تدوينه وفق أبواب الخطة معتنياً بالتالي :

١- عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى أماكنها من المصحف الشريف، بذكر السورة ورقم الآية.

٢- خرجت الأحاديث النبوية والآثار من كتب السنة المعتمدة، ولم يفتني من ذلك إلا النزر اليسير.

٣- ربما أعلق في الهامش على بعض المسائل لبيان أقوال أهل العلم فيها، وذلك حين يكون تناولها في الصلب، يؤدي إلى انقطاع التسلسل الفكري للموضوع الأساسي.

٤ - حرصت على أن تكون مصادر البحث أصلية، واقتضت طبيعة البحث أن تكون فيه مصادر ومراجع حديثة، بل إن بعض المسائل قد اعتمدت فيها على الدراسة الميدانية والمقابلات الشفوية.

٥ -التزمت بذكر المصدر الذي تلقيت عنه المعلومة، سواء أخذتها من كتاب أو في مقابلة شفوية أو غير ذلك مع التوثيق الكامل الذي يتناسب مع المصدر.

٦ - شرحت المفردات اللغوية التي تحتاج إلى إيضاح وبيان من كتب اللغة المعتمدة.

٧- عرفت ما رأيت أنه يحتاج إلى التعريف من المصطلحات العلمية والفرق والأماكن والبلدان.



٨ – ترجمت لمن ظهر لي أنه يحتاج إلى ترجمة ممن ذكرتهم، ولم أترجم للمشهورين من الصحابة ومن بعدهم، وذلك لكثرة من وردت أسماؤهم من الأعلام كثرة ملحوظة، فربما يؤدي الاشتغال بذلك إلى خروج البحث عن طبيعته.

وبعد فقد بذلت في هذا البحث المتواضع قصارى جهدي وغاية وسعي، وذكرت فيه مبلغ علمي، فإن كنت قد وفقت فيه فذلك من فضل الله ومنه وكرمه، وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان وأستغفر الله تعالى – ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم – وحسبي أنني لم أدخر وسعا ولا آليت جهدا، ولكن أنى يكون لبشر أن يدرك الكمال، والكمال المطلق لله عز وجل وحده؟

هذا وأسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت فيما أردت، وأن يجعله وسيلة إلى مرضاته إنه سميع مجيب.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وصلى الله وسلم على نبينا محمد خير خلقه وخاتم أنبيائه ورسله وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحث

فواز بن عبد العزيز بن عبيدان السُّلمي

الباب الأول

حياته الشخصية والعلمية ومؤلفاته

ويشتمل على أربعة فصول

الفصل الأول: الناحية السياسية و الثقافية في عصر المعصومي

الفصل الثاني: حياته الشخصية و محنته على يد الشيوعيين

الفصل الثالث: حياته العلمية وثناء أهل العلم عليه

الفصل الرابع : مؤلفاته وأثاره العلمية

الفصل الأول

الناحية السياسية و الثقافية في عصر المعصومي

وفيه مبحثان:

المبحـث الأول: الناحية السياسية و الثقافية في بلاد ما وراء النهر

المبحث الثاني: الناحية السياسية و الثقافية و الإجتماعية في الحجاز

المبحث الأول

الناحية السياسية والثقافية في بلاد ما وراء النهر في هذا العصر

لقد عانت هذه البلاد في هذا العصر من عدم الاستقرار السياسي نتيجة للثورات الشيوعية[1] الإلحادية، التي تستهدف القضاء على كل دين وخلق، خاصة الدين الإسلامي الحنيف و أخلاقه الحميدة القائمة على الأسس القويمة لذلك ركز الشيوعيون على وضع المخططات القائمة على الدعاية الباطلة للقضاء عليه في تلك البلاد.

و لما استطاعوا السيطرة على تلك المنطقة عاثوا فيها فسادا و عملت فيها أيديهم بالتخريب، فتتبعوا المسلمين و فتكوا بهم و قتلوا منهم خلائق لا يحصيها إلا الله خالقها، وهدموا مساجدهم -كما هو معروف- و من المعلوم أنهم لا يحجمون عن أي عمل مهما كانت بشاعته في سبيل غايتهم -الخبثة- و هي أن يصبح العالم شيوعيا تحت سيطرتهم، يقول لينين« إن هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشيء إنما الشيء الهام هو أن يصبح الربع الباقي شيوعيا»[2].

و هذه القاعدة طبقوها في روسيا أيام الثورة و ما بعدها و كذلك في الصين و غيرها، حيث أبيدت ملايين من البشر، كما أن اكتساحهم لأفغانستان بعد أن اكتسحوا الجمهوريات الإسلامية الأخرى كبخارى وسمرقند و بلاد

---

١ – سيأتي الحديث بالتفصيل عن الشيوعية في ص:٤١٥ من هذا البحث

٢ – الموسوعة الميسرة في المذاهب و الأديان المعاصرة ص: ٣١١ الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

الشيشان و الشركس إنما ينضوي تحت تلك القاعدة الإجرامية، بالإضافة إلى هدم المساجد وتحويلها إلى دور ترفيه و مركز للحزب و منع المسلمين من إظهار شعائر دينهم، أما اقتناء المصاحف فهو جريمة كبرى يعاقب عليها بالسجن لمدة سنة كاملة[1].

و قد تحدث العلامة المعصومي كثيرا عن ما قام به الشيوعيون من تخريب و إجرام في بلاده، كما أنه -رحمه الله- كان له دور بارز في مناظراتهم و إفحامهم و بيان فساد و بطلان ما يقوم عليه فكرهم المنحرف الإلحادي من تناقض سافر[2]. و في أثناء كلام المعصومي -رحمه الله - عن دوره في الإصلاح الديني مع صفوة من علماء بلاده ذكر أن التجدد قد حصل في بلاد ما وراء النهر و شاع فكر الإصلاح الديني على يده ومن معه من الأفاضل و الأعيان، ثم قال: «و إذا كنا كذلك منشغلين بما هنالك إذ حدث الانقلاب العظيم في المماليك الروسية بشؤم الحرب العالمية العمومية سنة ١٩١٧م، و أعلنوا الحرية و العدالة و المساواة[3] فاغتر عامة الناس بذلك في بداية الأمر و آل الأمر إلى الإشتراكية و الشيوعية اللادينية التي عاثت فسادا في الأرض بقتل العلماء و نهب الأموال، فضاقت بذلك الأرض على العلماء وأهل الدين، حيث

---

١ - حاضر العالم الإسلامي للدكتور علي جريشة ص: ١-١٢٣، و الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب المعاصرة المرجع السابق ص:٣١١

٢ - انظر تفصيل الكلام في ذلك في مناظرته لهم في الفصل الثاني من الباب الأول من هذا البحث، ص:٤١٥

٣ - وهذه الشعارات هي شعارات الماسونية التي تتخفى تحتها لتحقيق أهدافها الصهيونية .

قبضوا على أكثرهم و حبسوهم و قتلوا جمعا منهم وأبعدوا منهم أعدادا كبيرة و أنا – يقول المعصومي – قد تعرضت للحبس على أيديهم مرتين و نجاني الله تعالى بفضله فتركت خجندة وكنت تحت مراقبة شديدة من الحكومة الشيوعية لكن الله تعالى نجاني من كيدهم»[1].

لذلك كله و بعد محاولات جادة و متكررة من الشيوعيين للقضاء على العلامة المعصومي اضطر كما اضطر غيره من العلماء الكثيرين أن يهاجر عن هذه البلاد التي يسيطر عليها الشيوعيون الملاحدة إلى بلاد أخرى يأمن فيها على نفسه و على عقيدته، فوفقه الله تعالى للهجرة إلى بلاد الحرمين الشريفين واستقر به المقام في مكة المكرمة مجاورا للبيت الحرام، و قدر له أن يكون بها مدفنه كما سنرى إن شاء الله تعالى.

الناحية العلمية والثقافية:

و أما من الناحية العلمية و الثقافية فمن المعلوم أنها كانت على حالة طيبة في عصور ماضية قديمة[2]، و فيما يختص بهذا العصر فقد تناوله العلامة المعصومي في ثنايا كتبه و ركز على الناحية الشرعية و الدينية في هذا الجانب

---

١ –مختصر ترجمة حال محمد سلطان ص : ٦٤–٦٥ بتصرف.

٢ – ازدهرت الحركة العلمية الإسلامية ردحا من الزمن في بلاد ما وراء النهر و برز فيها عدد من جهابذة العلماء على مدى قرون عديدة منهم الشيخان : البخاري و مسلم و المفسران الزمخشري والنسفي و أئمة البلاغة و الإعجاز القرآني : عبد القهار الجرجاني و سعد الدين التفتازاني ويوسف السكاكي و غيرهم، للتوسع في ذلك راجع حاضر العالم الإسلامي للدكتور علي جريشه ص: ١٢٣.

و بين أن أهل تلك البلاد يغلب عليهم التعصب المذهبي و غيره من الأفكار المنحرفة عن النهج الذي سار عليه سلف هذه الأمة في عصورها الأولى المفضلة يقول -رحمه الله- «كنا نعتقد أن المسلم هو الذي تمذهب بمذهب الحنفية وأما أهل سائر المذاهب فمخطئون خارجون عن الحق، و من نتائج ذلك أنا كنا نحرم الإشارة بالمسبحة في تشهد الصلاة كما في بعض مختصرات الحنفية من أن من جملة المحرمات في الصلاة الإشارة بالسبابة كأهل الحديث، و كان المشايخ يحثون على تركها و بغض فاعلها و ينسبونه إلى الضلال، و من نتائجه أنا كنا نظن أن غير الحنفي ليس بمسلم و لا يجوز العمل بغير مذهب أبي حنيفة»[1].

و لا يخفى على الباحث في تاريخ التشريع الإسلامي أن من أبرز سمات العصور المتأخرة هو الاتباع الكامل للمذاهب الفقهية[2] ، غير أن الحنفية في بلاد ما وراء النهر في أيام المعصومي زاد عندهم الغلو كثيرا في هذا المجال على ماذكره المعصومي عن بعض فقهائهم أثناء كلامه في هذا الموضوع حيث يقول ناقلا عنهم «و اعلم أن المذهب أنه لا يقلد أحد من الصحابة والتابعين غير أبي حنيفة -رحمه الله- و أن عيسى عليه السلام حين ينزل يحكم بمذهبه و أنه لا يجوز نكاح المعتزلة لأنهم كفار عندنا، بل إنه لا يجوز نكاح

١- انظر ترجمة حال محمد سلطان ص:٤٩

٢ - خليل إبراهيم توتلاي الإمام علي القاري و أثره في علم الحديث ص:١١٢

الشافعية لأنها كافرة بالاستثناء[1] و أن مذهبنا حق يحتمل الخطأ و مذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصواب و إذا انتقل الحنفي إلى مذهب الشافعي يعزر لا عكسه»[2].

قد تجاوز المتأخرون من الحنفية قضية التعصب و الدعاية للمذهب إلى وضع الأحاديث على رسول الله ﷺ كماذكر المعصومي بقوله: «و في أوائل الدر المختار أن رسول الله ﷺ بشر بولادة الإمام أبي حنيفة و قال إنه سراج أمتي و أنه سرا ج أمتي و أنه سراج أمتي ثلاث مرات» [3].

يقول العلامة المعصومي أثناء تناوله لما كانت عليه الحالة العلمية والدينية في بلاده، «فكتب أهل بخارى هذا الحديث الموضوع بالخطوط الجميلة الجليلة و علقوها في محارب مساجد بخارى، فبهذا و أمثاله كنا نظن أن الحق ما عليه الحنفية، و أن ما عليه المالكية و الشافعية و الحنابلة و أهل الحديث خطأ، وأن كل ما في الكتب المؤلفة المتداولة بينهم هو قول أبي حنيفة و مذهبه و أن كل واحد ممن ألف كتابا مجتهد، مع دعوى أن باب الاجتهاد قد أغلق من بعد أربع مائة عام من الهجرة و أنه تجب البيعة على شيخ من شيوخ الطريقة لأن من لم يصر مريدا لشيخ فشيخه الشيطان، وأن الشيوخ هم

---

١ – سيأتي تفصيل الكلام عن مسألة الاستثناء في الإيمان و آراء العلماء فيها ص:٢٤٩–٢٥٠ من هذا البحث.

٢ –انظر ترجمة حال محمد سلطان ص ٤٩.

٣ –مختصر ترجمة حال محمد سلطان ص:٤٩–٥٠.

الواسطة بين المريد و بين الله، وأن أهل السنة هم الماتريدية و الأشاعرة و أما غيرهم فمبتدعة»[١] .

هذه هي الحالة العلمية في المجالات الشرعية و الدينية التي كانت سائدة في بلاد ما وراء النهر في هذا العصر و هي تلقي الضوء على مدى سيطرة التعصب المذهبي و تحكم الفكر الصوفي في أهل تلك البلاد و سيادة المذهب الماتريدي و الأشعري و هي أمور كلها تدل على البعد عن دراسة الكتاب و السنة و الإقتداء بمنهج السلف الصالح في الوقوف عند نصوصها.

و علىأي حال فقد ذكر المعصومي -رحمه الله- أن البلاد قد حصل فيها تحسن في أيام حياته بها، حيث قام هو وجماعة معه من المصلحين بإصلاح المدارس و تسهيل طرق التعليم، و بذلك حصل نوع من التجديد في أهل تلك البلاد و شاع فكر الإصلاح الديني و عرف من هداه الله تعالى مضار البدع و الخرافات ومفاسدها[٢].

الناحية الاجتماعية

و أما من الناحية الاجتماعية في بلاد ما وراء النهر فلم تسعفني المراجع في الحديث عنها- خاصة في خجندة أيام حياة المعصومي بها غير أن الذين تحدثوا عنها من المتقدمين مثل ياقوت الحموي و غيره، أشاروا إلى أنها من المدن المهمة العريقة المعمورة بالدور و البساتين و الفواكه[٣].

---

١ – المصدرنفسه ص: ٥٠.

٢ –المصدر السابق ص:٦٣.

٣ – أنظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/٣٤٧-٣٤٨.

و لقد أشار المعصومي أثناء تناوله للأدوار التي قام بها في طلب العلم و نشره إلى أن الحالة الإجتماعية عند أهل بيته في خجندة كانت على حالة طيبة من الرخاء في المعيشة يقول –رحمه الله– «بنى والدي رحمة الله تعالى عليه لأجلي مدرسة كبيرة عالية ذات غرف كثيرة و كان أبي رحمه الله من بيت الثروة الطائلة و الدولة الوافرة فكنت من جهة المعيشة و الدنيا مستريح البال و منشرح الحال»[1]

١ – مختصر ترجمة حال محمد سلطان ص:٦١

المبحث الثاني

الناحية السياسية والثقافية والاجتماعية في بلاد الحجاز

يحتل الحرمان الشريفان مكان الحب و التقديس في قلوب المسلمين عامة و العلماء بخاصة، و على طول التاريخ فإن الحرمين الشريفين، كانا منطقتي جذب للكثير من علماء المسلمين من كل مكان، و لقد اختار العلامة المعصومي -رحمه الله - بعد هجرته الثانية إلى بلاد الحجاز سنة ١٣٥٣هـ، المقام بمكة المكرمة بجوار البيت العتيق، طوال ما يزيد على سبع و عشرين عاما، ناشرا للعلم تدريسا و تصنيفا حتى توفي -رحمه الله- سنة ١٣٨١هـ.

و كان الحجاز إبان ذلك ينعم بالإستقرار السياسي، حيث أن جلالة الملك عبد العزيز[1] -رحمه الله - قد قمع الفتن و نظم الحياة في البلاد و سن ما يلائمها من النظم، بعد أن أكمل توحيد دولته المباركة سنة ١٣٥١هـ، وأنشأ

---

[1] -هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود من آل مقرن من ربيعة بن مانع من ذهل بن شيبان، ملك المملكة العربية السعودية الأول و منشئها و أحد رجالات الدهر، ولد في الرياض بنجد و دولة آبائه في ضعف و انحلال، و صحب أباه في رحلته إلى البادية يطارد عدوه ابن رشيد «محمد بن عبد الله». و استقر مع أبيه في الكويت سنة ١٣٠٩هـ، وشب فيها و شن الغارات على آل رشيد و انصارهم، حتى استولى على الرياض و جدد فيها إمارة آل سعود سنة ١٣١٩هـ، و خضع لسلطته عدد من الأقاليم بالجزيرة العربية. و في سنة ١٣٥١هـ أعلن توحيد الأقطار الخاضعة له و تسميتها «المملكة العربية السعودية». و له مآثر حميدة و سجايا كريمة و مواقف مشرفة، ت ١٣٧٣هـ.

الأعلام للزركلي ١٩/٤-٢٠، و عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية و دفاعه عنها ، تأليف الدكتور محمد عبد الرحمن الخميس ص ١٣ و ما يليها.

علاقات متميزة مع الدول الإسلامية، و أسس بنيان دولته على ركن متين من تعاليم الشريعة الإسلامية الخالية من شوائب البدعة، و كان -رحمه الله- حكيما في سياسته، لا يبرم أمرا قبل إعمال الرؤية فيه.

يحب الحق و يكره الباطل و ينصر كل مظلوم، و قد رزقه الله توفيقا منه حيث عم الرخاء في أيامه بعد أن كانت فقيرة فانتعشت و اتجهت إلى العمران و حل الأمن محل الخوف، في الصحاري و الحواضر.

و حول من بدء قيامه كثيرا من أهل الخيام إلى سكان قرى أنشؤوها سميت «الهجر»، ووصل مملكته المترامية الأطراف بشبكات لا سلكية و أتى بأسطول من الطائرات لتسهيل التنقل على الناس، و أنشأ الموانئ و عبد الطرق، و أعفى الحجاج من رسوم كانت ترهقهم منذ عهود بعيدة.

و كان للحرمين الشريفين مكانة خاصة لدى القائمين على الأمر في المملكة العربية السعودية[1]، منذو عهد الملك عبد العزيز و حتى عهدنا هذا الذي يعتبر العهد الذهبي في المملكة العربية السعودية، حيث تمت توسيعات كبيرة و عظيمة في الحرمين الشريفين تستحق التقدير و الإعجاب.

---

[1] - تقول المادة الرابعة و العشرون من النظام الأساسي للحكم السعودي: « تقوم الدولة بإعمار الحرمين الشريفين و خدمتهما، و توفر الأمن و الرعاية لقاصديهما بما يمكن من أداء الحج و العمرة و الزيارة بيسر و طمانينة» د.صلح ابن عبد الله بن حميد اتخاذ القرآن الكريم آساسا لشؤون الحياة و الحكم في المملكة العربية السعودية ص: ٣٥ ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ، وانظر عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية و دفاعه عنها ، المرجع السابق ص: ١٢٨.

و كان للملك عبد العزيز طموح سياسي يتسم بالحكمة، فقد رفع راية الحق عالية خفاقة، وأخذ يساعد المسلمين في كل مكان فينشر الإسلام في كل البلاد من مكانه وغيرها، و اشتهر -رحمه الله- بنشر العدل و تثبيت دعائم الإستقرار و حب العلم و تشجيع العلماء و رعايتهم.

و على هذا الدرب سار جلالة الملك سعود بن عبد العزيز[1]، حيث كان يتابع سياسة والده جلالة الملك عبد العزيز و سيرته العطرة الحسنة.

وكان من توفيق الله تعالى للعلامة المعصومي- رحمه الله- أن عاش في هذا العصر الزاخر بالهدوء و الإستقرار السياسي و تشجيع العلم و العلماء، وغير ذلك من الخصال التي تميز بها العهد السعودي المظفر من بداية حكمه في الجزيرة العربية و حتى يومنا هذا[2]، نسأل الله تعالى العلي القدير أن يثبتهم على الحق و أن يسلك بنا و بهم طريق الرشاد، و يتقبل من الجميع صالح الأعمال إنه ولي ذلك و القادر عليه.

---

[1] - هو سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن، تقدم نسبه في ترجمة أبيه/ من ملوك الدولة السعودية، ولد في الكويت سنة ١٣١٩هـ و نشأ في الرياض و قرأ على بعض مشايخها و قام برحلات إلى الخارج و قاد معارك في حروب ابيه. تولى العرش السعودي سنة ١٣٧٣هـ فور وفاة أبيه و بعهد منه و استمر في تولي حكم البلاد حتى سنة ١٣٨٤ هـ ت ١٣٨٨هـ، أنظر شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ص:٧٧٣و الأعلام للزركلي ٩٠/٣ و عناية اللك عبد العزيز بالعقيدة السلفية و دفاعه عنها المرجع السابق ص:٤٠

[2] -أنظر الأعلام للزركلي ١٩/٤-٢٠، و اتخاذ القرآن أساسا لشؤون الحياة و الحكم في المملكة العربية السعودية، المرجع السابق ص: ١٢ و ما بعدها.

الناحية الثقافية و العلمية في عصره:

إن لبلاد الحجاز دورا قياديا في الحركات العلمية و الثقافية و في الحفاظ على التراث الإسلامي و العربي، و في العقيدة الإسلامية منذ ظهور الإسلام وحتى وقتنا الحاضر[1]، فقد شاءت قدرة الله عز و جل أن يوجد بالحرمين الشريفين على مر العصور نخبة من أهل العلم يرشدون إلى الحق و يدعون إلى الخير و يعلمون ما من الله عليهم به من علوم و معارف إسلامية.

و المطالع في تاريخ مكة المكرمة ومسار التعليم فيها و تراجم علمائها يدرك أن الحركة العلمية و الثقافية فيها لم تتوقف برغم كل الظروف والأحداث و الفتن عبر تاريخها، وإنما ظلت مستمرة مضيئة منذ القرن الهجري الأول إلى اليوم، و هذا من فضل الله تعالى و رعايته لبلده الأمين[2].

وقد نشطت الحركة العلمية والثقافية في عهد الشيخ المعصومي بالبلد الأمين، حيث اتجهت سياسة المملكة العربية السعودية إلى تطوير التعليم ومواكبة المستجدات – بما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية– فقد أولت التعليم جل اهتماماتها و نتج عن ذلك قيام نهضة علمية و ثقافية كبيرة عرفها القاصي و الداني، وضع جلالة الملك عبد العزيز الأساس الأول لها.

فتمثلت هذه النهضة العلمية المباركة الميمونة في قيام صرح علمي شامخ و عملاق، تضمن مراحل التعليم المختلفة فيما بعد في جميع المجالات

٥– أنظر بلاد الحجاز للدكتور سليمان عبد الغني ص:١٥٨

[2] –انظر المختصر من كتاب نشرالنور و الزهر للشيخ عبد الله مرداد المقدمة ص:١٠

والتخصصات العلمية، حيث انتشرت المدارس و المعاهد و الجامعات الكثيرة في جميع أنحاء الدولة، و اصبحت البلاد في تقدم علمي و ثقافي ملموس شمل الرجال و النساء على حد سواء، كما أن أهتمام القائمين على الأمر و رجال العلم و الفكر و الثقافة بجمع التراث و نشره و تحقيقه، و فتح مجال البحث العلمي و تأليف الكتب و تشجيع الدولة على ذلك كله، قدساهم في تطوير الحركة العلمية و الثقافية و تقدمها وفق السياسة التي تنتهجها هذه البلاد.

و خير شاهد يستند عليه الباحث هو سياسة التعليم التي رسمتها الدولة، وقد جاء ضمن المعالم البارزة فيها مايلي: ينص التمهيد لهذه السياسة على أن «السياسة التعليمية هي الخطوط العامة التي تقوم عليها عملية التربية و التعليم، أداء للواجب في تعريف الفرد بربه و دينه و إقامة سلوكه على شرعه و تلبية لحاجات المجتمع و تحقيقا لأهداف الأمة. وهي تشمل حقوق التعليم و مراحله المختلفة و الخطط و المناهج و الوسائل التربوية و النظم الإدارية و الأجهزة القائمة على التعليم و سائر ما يتصل به.

و هذه السياسة التعليمية تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة و عبادة وخلقا وشريعة وحكما و نظاما متكاملا للحياة و هي جزء أساسي من السياسة العامة للدولة»[1].

---

[1] – د.صالح بن عبد الله بن حميد المرجع السابق ص:٤٢، و انظر الأعلام للزركلي ٢٠/٤، و أنظر عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية و دفاعه عنها ص:١٥ و ما بعدها، و التعليم في عهد الملك عبد العزيز الدكتور محمد بن عبد الله السلمان ص:١٢٢-١٢٧، ١٤٧.

ولقد حرص مؤسس المملكة و موحدها، جلالة الملك عبد العزيز -رحمه الله- على تجسيد مفهوم الإسلام بالعناية بالعلم و العلماء و عمل جاهدا على نشر التعليم و الثقافة بين المجتمع وفق منهج سلفي رصين، يقوم على تعاليم الكتاب و السنة و فهم الإسلام فهما صحيحا متكاملا، و غرس العقيدة ونشرها و تزويد طلاب العلم بالقيم و المثل العليا في ضوء التعاليم الإسلامية، واكتساب المهارات و المعارف المختلفة و تنمية الإتجاهات السلوكية البناءة، وتطوير المجتمع علميا و فكريا وثقافيا و تنمية روح الولاء لشريعة الإسلام[1].

لذلك كله نشطت الحركة العلمية و الثقافية و ازدهرت بالبلد الأمين في عهد الشيخ المعصومي، و استفاد من ذلك حيث توسع في العلوم لوفرة المصادر الإسلامية و النهضة العليمة التي تزامنت مع قدومه على هذه البلاد.

و كان من مظاهر هذه النهضة العلمية بالبلد الأمين في هذا العصر وجود طبقة كثيرة من العلماء الأماثل البارزين في مجالات علمية متعددة قل من يزاحمهم فيها، و أعرض لأمثلة منهم في مايلي:

١-العلامة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح الإمام و الخطيب و المدرس بالمسجد الحرام«ت ١٣٧٠هـ».

٢-الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع القاضي و المدرس بالمسجد الحرام «ت ١٣٨٥هـ».

---

١ - د.صالح بن عبد الله بن حميد المرجع السابق ص: ٤٤ و انظر عناية عبد العزيز بالعقيدة السلفية و دفاعه عنها المرجع السابق ص:٩٣ و ما بعدها، و التعليم في عهد الملك عبد العزيز تأليف الدكتور محمد بن عبد الله السلمان ص: ١١٩، ٢٩٣ و ما بعدها.

٣-العلامة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة مدير دار الحديث الخيرية، والإمام بالمسجد الحرام و المدرس به «ت ١٣٩٢هـ».

و غير هؤلاء من علماء البلد الأمين في هذا العصر كثير[١].

و قد كان من فضل الله عز و جل و توفيقه للعلامة المعصومي أن شرح صدره و أراد به خيرا حين توجه إلى البلد الأمين، و تولى تدريس العلوم الشرعية بالمسجد الحرام و جالس العلماء في الحرمين الشريفين سنوات طويلة، رغبة في طلب العلوم الشرعية و الإقبال عليها قراءة و تدريسا وتصنيفا بجد و حرص بالغ في التحصيل العلمي، حتى تبوأ المكانة العلمية العالية التي عرف بها، كما سنرى عند تناولنا لمكانته العلمية[٢] إن شاء الله تعالى

الناحية الإجتماعية في عصره

تقدم أن منطقة الحجاز و خاصة الحرمين الشريفين كانت تحتل عامل جذب للمسلمين فكثرت الهجرات إلى بلاد الحرمين الشريفين لا سيما البلد الأمين.

و قد شهد العهد السعودي تزايدا مضطردا في عدد السكان -خاصة في مكة المكرمة - حيث يفد إليها الناس من كل حدب و صوب و يرغبون في الجوار بها طلبا للأجر و الثواب من الله عز و جل، و للإستفادة من المعارف العلمية و الأمن و الرخاء المادي، الذي ازدهر بعد توحيد جلالة الملك عبد

---

[١] -للتوسع في ذلك أنظر رسالة ماجستير بعنوان: «جهود بعض علماء البلد الحرام في تقرير العقيدة السلفية في القرن الربع عشر الهجري» قدمت بقسم العقيدة بجامعة أم القرى ١٤٢٠هـ، و عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية و دفاعه عنها، المرجع السابق ص: ٩٥.

[٢] - أنظر ص: ٨٩ من هذا البحث

العزيـزللبلاد سـنة ١٣٥١هــ، و لـذلك فـإن سـكان مكـة المكرمـة لا يشـكلون بمقاييس الدراسة العرقية جماعة واحدة متحـدة الأصـل متجانسـة الصـفات، بل على العكس من ذلك فقد امتزجت الدماء علـى هـذه الأرض المباركـة بـين جماعات مختلفة في أصولها متنوعـة في صـفاتها و عاداتهـا فكونـت مجتمعـا اختلطت في العناصر اختلاط تـآلف و إيخـاء، و التقـت المشـارب فيـه حـول الأخوة الإسلامية و أخلاق الإسلام وعدالته السمحة.

يقول عمر رفيع: «و معظم سكان مكة اليوم مجموعات من سائر شعوب العالم الإسـلامي فهـي أشـبه بباقـة مـن الزهـر فيهـا مـن كـل نـوع و لـون وردة، ويتفاضلون و يتمايزون فيما بينهم بالعراقة في الهجرة و إيغلها في القدم، فمـن كانوا أعرق إقامة عدوا أنفسهم هم أهل مكة و نبذو حديث الهجـرة و وصـفوه بأنه آفاقي»[1].

بيوت مكة و حاراتها :

كانت بيوت مكة في أول القرن الرابع عشر الهجري تبنى بالحجر والنـورة، و قد بدأ شكل البناء يتغير منـذ العقـود الأولى مـن القـرن الرابـع عشـر وذلـك لتوفر و سائل النقل وسهولة المواصلات حيث جلبت إلى مكة أنواع الأخشاب و أصبحت الأبواب تصنع محليا و البيـوت تبنـى بشـكل هندسـي تركـي، و

---

[1] – مكة في القرن الرابع عشر الهجري ، ص١٨–١٩ منشورات نادي مكة الأدبي.

تقدم مجال العمران– خاصة بعد أن أخذ البناء بالإسمنت ينتشر– وازدهرت الحياة العمرانية خصوصا في العهود الأخيرة[1].

المفروشات و الملابس :

المفروشات و الملابس تختلف بالعسر و اليسر و الغنى و الفقر فمن كان في سعة من الرزق فمن عادته التأنق في المفروشات و الملابس حيث يكثر في ملابس المكيين –على ما تذكر المصادر– الألوان الزاهية و لهم ميل إلى لبس الأبيض من الثياب بل هو الشائع، و في مساكنهم أدوات الزخرف و الزينة لا سيما البسط العجمية النادرة المثال، فقد عرف عنهم التجمل في أثاث البيوت و مفروشاتها و مرافقها[2]. و أما الفقراء فيفرشون غرفهم بحنابل من القطن مخططة بالأحمر والأسود و الأزرق تجلب من الهند و ببسط يسمونها شمال تصنع في جبال سراة الحجاز أو في بيشة و أبيدة و الطائف، تصنعها نساء البادية بأديهن، كل ذلك لا زال متعارفا استعماله إلى الآن وإن مازجه الكثير من مصنوعات أوروبا»[3].

---

[1] –أنظر مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص: ٢٤، ٢١، ١٨

[2] –أنظر مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت باشا ٢٠١/٤ و بلاد الحجاز للدكتور سليمان عبد الغني ص: ١١٤–١١٥ و تاريخ مكة لأحمد السباعي ص: ١٤٦ و مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص: ٢٢٥

٣ –مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص ٢٩.

العادات الإجتماعية و الخصال الحميدة:

لقد كانت الحمية و الغيرة على النساء من السمات البارزة في المجتمع المكي – و إن كانت هذه السمة قد تأثرت في العصر الحاضر بسبب التأثر بالمحيط الخارجي– إلا أنها على كل حال ما تزال على حالة أفضل من حال المجتمعات في الأقطار الإسلامية الأخرى فقد كان المكيون إبان عهد العلامة المعصومي – لا يسمحون لنسائهم بالخروج إلى الأسواق لممارسة شراء ما يحتجنه، بل إن المرأة المكية نفسها تأنف من ذلك و تعده عيبا(١).

كما أن من الأمور التي عرفت عن المكيين أنهم كانوا لا يستأجرون للخدمة في البيوت إلا من كان دون سن البلوغ إذا كان ذكرا، و حين يبلغ أو يقارب البلوغ بادر رب البيت بإخراجه اتباعا للحكم الشرعي(٢).

و لقد تمتع أهل مكة بفضائل و أفعال جميلة، و مكارم و أخلاق حسنة، فمن خصالهم الحميدة رعاية الجار و المبادرة إلى معونته فيما يطرأ عليه و بذل المستطاع من أجل ذلك، و الكرم خاصة في الولائم و المآدب فقد كان الواحد منهم إذا دعا عشرين مثلا صنع طعاما يكفي الأربعين، و هكذا بالإضافة إلى استعدادهم لإعارة كل ما تلزم إعارته للأصدقاء و الجيران كالأثاث و المفروشات و غير ذلك(٣).

---

١ – المرجع السابق ص: ٢٤٤

٢– المرجع السابق نفسه و الصفحة نفسها

٣ – أنظر تاريخ مكة لأحمد السباعي ٢٢٧/١، ٢٢٦ دار مكة للطباعة ١٣٩٩هـ و مرآة الحرمين لأبراهيم رفعت باشا ٢٠٤/١ و بلاد الحجاز للدكتور سليمان عبد الغني ص: ١١٢=

ومن عادات أهل مكة التجمل و المجاملة و الميل إلى التطيب بعطر الورد و العود و التبخر به، وبغير ذلك من الأطياب التي عرفت حديثا، و في بعضهم بل اكثرهم الحدب على النساء و رعايتهن و العطف على أولادهم و الشغف بهم[١].

كان هذا بيانا موجزا عن الحالة الإجتماعية في مكة المكرمة في عصر العلامة المعصومي، و قد تضمن في مجمله جملة من العادات و الخصال الحميدة، و هناك بعض الجوانب في العادات الإجتماعية في المجتمع المكي لا ترضى، كمنع المرأة من التعليم و اعتقاد أن ذلك يضر و لا ينفع، و كذلك احتقارها و امتهانها و مصادرة حقها في إبداء رأيها في مسائل تخصها كاختيار زوجها، و اعتبار ذلك كله من كمال قوامة الرجل، و حرمانها من الميراث و غير ذلك مما يحدث من فسق و فجور و اختلاط في بعض الإحتفالات الدينية البدعية كالموالد و غيرها.

و كذلك كثرة مراتع الخمور و البغاء في جدة، بل في مكة شرفها الله، و لم تخف هذه الحالات إلا بعد الحكم السعودي[٢].

و الواقع أن البلاد بعد الحكم السعودي بدأت الحالة الإجتماعية فيها باطراد، حيث حافظت الحكومة على الشعائر و المظاهر الإسلامية و قامت بالتحذير من الأفكار الباطلة و المظاهر الفاسدة، و عملت على حماية

=و مكة في القرن الرابع عشر الهجري لمحمد عمر رفيع ص: ٢٢٥

١ – و لأهل مكة عادات و تقاليد خاصة بهم في حالات الزواج و الولادة و الوفاة و غير ذلك.

٢ –أنظر ماضي الحجاز و حاضره ص:١١٤ و ما بعدها لحسين نصيف.

الأخلاق، فمنعت الإختلاط و التبرج و المجلات الخليعة التي تدعو إلى الإباحية أو تحتوي على صور مخلة بالآداب الشرعية و نحو ذلك[1].

١ – أنظر عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية و دفاعه عنها ص: ١٢٥–١٢٧

الفصل الثاني

حياته الشخصية و محنته على يد الشيوعيين

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: حياته الشخصية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مولده واسمه ونشأته

المطلب الثاني: أولاده ووفاته

المبحث الثاني: محنته على يد الشيوعيين

المبحث الأول:

حياته الشخصية

المطلب الأول: مولده واسمه ونشأته

ولد المعصومي رحمه الله تعالى في بلدة خجنده في بلاد ما ورء النهر، كما قال رحمه الله عن نفسه: «إني ولدت في خجنده في العشر الأواسط من شهر ربيع الأول سنة سبعة وتسعين ومائتين وألف من الهجرة النبوية»[1]

وبلدة خجنده[2] هذه ذكرها ياقوت الحموي فقال: «هي مدينة تقع على شاطئ سيحون وبينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقا ذكرها بعضهم وأثنى عليها وقال: ولم أر بلدة بإزاء شرق ولا غرب بأنزه من خجنده

هي الغراء تعجب من رآها وهي بالفارسية دل مزنده[3]

إسمه ونسبه وكنيته:

هو الشيخ العلامة محمد سلطان بن الشيخ أبي عبد الله محمد ميرسيد بن عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الصمد بن عبد اللطيفبن محمد معصوم

---

١ – هدية المهتدين، ص: ١٥ ومختصر ترجمة حال محمد سلطان، ص: ٤٧.

٢ – حيث نوه بها الحموي و قال «خجنده بضم أوله و فتح ثانيه و نون ثم دال مهملة، بلدة مشهورة بما وراء النهر ، وهي مدينة نزهة ليس بذلك الصقع أنزه منها و لا أحسن فواكه وفي وسطها نهر جار و الجبل متصل بها و هي متاخمة لمدينة فرغانة التي تعتبر من أمهات المدن العلمية و الحضارية في تلك البلاد غير أنها مفردة عنها في الأعمال و هي تمتد أكثر من فرسخ وكلها دور و بساتين» معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/٣٤٧-٣٤٨.

٣ – معجم البلدان ٢/٣٤٧.

الخجندي، المشهور بالمعصومي نسبة إلى جده محمد معصوم[1]، وأما كنيته فيكنى بأبي عبد الكريم وبأبي الأنوار، الأولى كنى بها نفسه بعد أن رزق بمولوده الأكبر عام ١٣١٨هـ، إذ يقول «كنيت به نفسي بعدما ولد ابني الأعز الأرشد أبو البركات عبد الكريم عام ١٣١٨هـ»[2].

وأما كنيته الثانية فقد كناه بها شيخه وأستاذه بالبلد الحرام إذ يقول: «ثم كناني أستاذي وشيخي -شيخ الإسلام ببلد الله الحرام- الشيخ محمد صالح كمال[3] المكي، وقت مجاورتي بمكة، بأبي الأنوار، سلمه الله الكريم الغفار»[4].

نشأته:

وقد نشأ -رحمه الله- في بلاده بمسقط رأسه خجنده، بين أبوين صالحين وتربى على أيديهما، وعلماه القراءة والكتابة[5].

والواقع أن المصادر والمراجع التي توفرت لدينا لم تسعفنا كثيرا عن حال أسرته بطريقة مفصلة، ولكن المتتبع لسيرته يلاحظ أنه نشأ في بيت دين وعلم وفضل.

---

١ - مختصر ترجمة حال محمد سلطان، ص:٤٧. والعقود الدرية، ص:١٥ وهدية المهتدين، ص: ١٤-١٥.

٢ - هدية المهتدين مقدمة حبل الشرع المتين، ص: ١٤.

٣ - ستأتي ترجمته إن شاء الله في مبحث شيوخه، ص:٦٧ من هذا البحث

٤ - هدية المهتدين، ص: ١٤-١٥. والعقود الدرية السلطانية، ص: ١٥.

٥ - مختصر حال محمد سلطان، ص:٤٧.

فلقد اعتنى به والداه منذ صغره وعلماه مبادئ العلوم[١].

وتظهر عناية والده به عندما أمن له تكاليف سفره في رحلته المشهورة طلبا للعلم، بل لقد بنى له مدرسة كبيرة كما يحكي هو عن والده، فيقول: «بنى والدي -رحمه الله تعالى- لأجلي مدرسة كبيرة عالية»[٢]، الأمر الذي ساعده على الإنهماك في المطالعة لأن أباه صاحب ثروة طائلة، كما يتحدث عن نفسه فيقول: «وكان أبي رحمه الله من بيت الثروة الطائلة والدولة الوافرة، وكنت من جهة المعيشة والدنيا مستريح البال ومنشرح الحال، وكان شأني الإنهماك في المطالعة».

وقد أسس حياته رحمه الله وكون بنيته العلمية في مسقط رأسه خجندة، وسيأتي الحديث بالتفصيل عن طلبه العلم ورحلاته ومكانته العلمية.

---

١ - المصدر السابق نفسه، ص: ٦١.

٢ - المصدر السابق والصفحة نفسها.

المطلب الثاني: أولاده ووفاته رحمه الله

لقد كان للعلامة المعصومي أولاد كثيرون متفرقون في أماكن متعددة من العالم، و كان سبب تفرق أبنائه في عدة أقطار أنه رحمه الله كان رحالة، وكان يطارد من طرف الشيوعيين، ولذلك كان يقيم في بعض البلاد متخفيا عن أعين الشيوعية، فيضطر لأن يتزوج في تلك الفترة خارج بلاده، وينجب أولادا في تلك البلاد، وسنذكر عدد أبنائه وأماكن ولادتهم ونشأتهم، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاده في خجندة مسقط رأسه:

لقد كان له رحمه الله أولاد في بلده ووطنه خجندة، وقد تركهم فيها عندما غادر البلاد حين حكم عليه بالإعدام رميا بالرصاص من قبل الثورة الشيوعية في البلاد الروسية، حيث نجاه الله من كيد الأعداء الشيوعيين وخرج متخفيا ولم يستطع الرجوع إليهم وهم:

عبد الكريم وعبد الله وعبد الرؤوف وعبد العزيز وعبد الحفيظ وعبد الرشيد وابنتان [1].

أولاده في بلاد غولجه من بلاد الصين:

لما قدم العلامة المعصومي بلاد الصين، وأقام بها مدة في بلدة غولجه التي وصل إليها هاربا من السجن الذي أودعه فيه الشيوعيون، ومتخفيا قد غير اسمه وسمته، واستقبله المسلمون فيها استقبالا حسنا في أواسط شهر ديسمبر

---

١ - مختصر ترجمة حال محمد سلطان، ص: ٧١.

سنة ١٩٢٨م، وأقام معهم مدة يقرؤهم العلم ويدعوهم إلى تصحيح العقيدة، وفي هذه الفترة تزوج امرأة منهم وأنجبت له عدة أبناء وهم:
عبد الرؤوف، وعبد الرزاق، وابنة واحدة[١].
وكان رحمه الله إذا تذكر أولاده بعد هجرته إلى بلد الله الحرام يبكي على فراقهم، ويدعو الله أن يحفظهم ويسهل السبيل إلى وصولهم لبلد الله الحرام[٢].

أولاده بالبلد الأمين:

لقد وصل المعصومي في هجرته الثانية إلى مكة المكرمة سنة ١٣٥٣هـ، فتديرها وجاور بها واتخذها موطنا ومقرا له وتزوج بها، وكان له بها عدد من الأولاد وهم إبنان وخمس بنات، أما الإبنان فهم عبد الرحمن والدكتور عبد الله.

وفاته:

شاء ا لله تعالى جلت قدرته أن يختم للعلامة المعصومي، وأن تكون بطاح مكة المكرمة آخر محطة له، وأن تفيض روحه ويدفن جثمانه بجوار بيت الله الحرام، حيث توفي رحمه الله في اليوم السابع من شهر جمادى الأولى من سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية، وصلى عليه جم غفير من الناس بالمسجد الحرام.

---

١ – مختصر ترجمة حال محمد سلطان، ص:٧١.

٢ – مختصر ترجمة حال محمد سلطان، ص:٧١، و أوضح البرهان في تفسير أم القرآن ص:٣٩٠

تقول ابنته الكبرى عائشة في مذكراتها الخاصة: «وحضر جنازته كثير من أهل العلم والفضل وأعيان مكة يؤمهم الشيخ عبد المهيمن أبو السمح، إمام وخطيب المسجد الحرام بعد صلاة الفجر من اليوم الثاني من وفاته، ودفن بمقبرة المعلاه، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته، إنه ولي ذلك والقادر عليه»[1].

وقد وهم جماعة ممن أخرجوا كتب العلامة المعصومي في تاريخ وفاته حيث أرخوا لها بسنة ١٣٧٩هـ[2]، وهو خلاف الصحيح الذي أثبتناه.

---

١ - انظر: مذكرات عائشة المعصومي، مخطوطة بتاريخ ١٠/٥/١٣٨١هـ وعندي نسخة منها أهدتها لي المؤلفة جزاها الله خيرا.و انظر جريدة الندوة ، العدد ٨٤٥ في ٩/٥/١٣٨١هـ.

٢ - منهم على سبيل المثال: محقق أجوبة المسائل الثمان وتمييز المحظوظين ومفتاح الجنة لاإله إلا الله، علي حسن عبد الحميد، حيث ذكر أنه توفي سنة ١٣٧٩هـ والدكتور محمد عبد الله الخميس في تحقيقه لكتاب حكم الله الواحد الصمد، والمشاهدات المعصومية. والشيخ سليم الهلالي في تحقيق كتاب: هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين.انظر جريدة الندوة العدد ٨٤٥في ٩/٥/١٣٨١هـ

المبحث الثاني

محنته على يد الشيوعيين

لقد تعرض العلامة المعصومي رحمه الله لمحنة عظيمة على أيدي الملاحدة الشيوعيين، وكانت له مواقف شجاعة في مقاومتهم والوقوف في وجه ضلالاتهم يعرف ذلك من درس حياته واستوعب سيرته، كما أنه رحمه الله كان يمثل العلماء الصابرين عند المحنة والتعذيب، وقد تحدث رحمه الله عن طرف مما دار بينه وبين الشيوعية بعد حدوث الإنقلاب الشيوعي في الممالك الروسية بقوله: «وإذا كنا كذلك مشتغلين بما هنالك إذ حدث الإنقلاب العظيم في الممالك الروسية بشؤم الحرب العالمية العمومية سنة (١٩١٧م) حيث أعلنوا الحرية والعدالة والمساواة[١]، ورفعوا أعلاما منقوشة فيها لاإله إلا الله، ومكتوب تحته الحرية والعدل والمساواة، فأسسوا في البلاد مجالس ومحاكم وسموها شورى إسلامية وانتخبوا أعضاءها من أفاضل البلاد وأعيانها حتى انتخبوني رئيسا على تلك المجالس والمحاكم وسافرت إلى موسكو غير مرة للاشتراك في مجالس الشيوخ والمبعوثين، ومضى على هذا تسعة أشهر، وبعده حدث النزاع بين الناس وظهرت الاشتراكية والشيوعية واللادينية وكان زعيمها لينين وتلميذه استالين، وعاثوا في الأرض فسادا فقتلوا الأمراء والعلماء وأصحاب الأموال والمعامل، ونهبت الأموال وصودرت الأملاك وأجري قانون الاشتراك، ورفعت أعلام اللادينية، ونشرت في

---

[١]- هذه الشعارات هي شعارات الماسونية ويبدوا أن هناك ارتباط تاريخي بين هذه المذاهب.

الجرائد أن الشرع شرع الطبيعة فلا دين ولا إله فسجنوا من سجنوا من العلماء ونجا من نجاه الله تعالى وفرّ إلى الممالك الخارجية، وأنا لما كنت متمسكا بالدين مصرًا على تعليم الناس دينهم، حبستني وأنا في خجنده سنة (١٣٤٢هـ)، وبعد شهرين نجاني الله بفضله، وفي سنة ١٣٤٤ هـ حبستني مرة ثانية، وكانت تشدد عليّ في محافظتي على الدين ونجاني الله تعالى أيضا، فتركت خجندة وهاجرت إلى مرغينان[1] وأقمت هناك فاستقبلني أهلها وعينوني قاضيا وخطيبا في الجامع وكانت الحكومة تراقبني مراقبة شديدة، فاستعفيت وتنحيت واعتزلت الناس لعدم إمكان الحكم بالحق».

وقد حصلت له بعض المناظرات مع الملاحدة في طاشقند حول إثبات وجود الله، ولما انتصر عليهم وقطع حجتهم وعاد إلى مرغينان من بلاد فرغانه هجم الملاحدة بعد يومين على داره وفتشوا كل الاماكن فكشفوا عن المخازن المبلطة وصادروا كل ما فيها من الأموال التي نافت على عشرين ألف جنيه وصادروا ما في المكتبة من كتب وحبسوه، ثم بعد أيام حكموا عليه بالإعدام رميا بالرصاص، إلا أن الله نجاه من كيدهم وتمكن من الفرار إلى الصين التي مكث فيها بضع سنين[2]، واستقبله مسلموها خاصة في بلدة غولجه استقبالا حسنا، وذلك كان أواسط شهر دسمبر ١٩٢٨م ، فبعد السكون والقرار التمس أهالي

---

١ – مرغينان بالفتح ثم السكون و غين معجمة مكسورة و الياء ساكنة و نون وآخره نون أخرى بلدة بما وراء النهر من اشهر البلاد من نواحي فرغانة خرج منها جماعة من الفضلاء. معجم البلدان ١٠٨/٥ لياقوت الحموي..

٢ – انظر: مختصر ترجمة حال محمد سلطان المعصومي ، ص: ٦٤-٧٣.

تلك البلدة على اختلاف أجناسهم من تارانجيين وأوزبكيين وكاشغريين والتونكان والنوغاي وغيرهم أن أقرأ لهم تفسير القرآن وصحيح البخاري في الجامع الكبير المشهور (دنك مسجد) فقرأت وقررت ووعظتهم ونصحتهم، فانتفع كثير منهم واهتدى جمع غفير، ووفقوا لتصحيح العقيدة عقيدة السلف الصالحين من أهل السنة والجماعة وأزيل كثير من البدع والرسوم الجاهلية، وإن كان جمهور المنسوبين إلى العلم والطريقة جهلة خرافية ومقلدة جامدة تعتقد كل جملة عربية قرآنا، والعوام تبع لهم، ولكن للحق نور وصولة، ولأهله صلابة وشوكة والحمد لله على ذلك[1].

ثم يذكر – رحمه الله- الحالة التي أدت إلى الخروج من بلدة غولجه في الصين فيقول: «فلما عاينت الحال تشبثت بالترحال، فتركت الأهل والأولاد والأموال كما كنت تركتها في خجندة ومرغينان ولم أستطع أن أحملهم معي لكوني شاردا ومختفيا.

والحاصل أني خرجت من غولجه في أوائل ذي القعدة سنة ١٣٥٢ هـ عازما على التوجه إلى الحرمين بعدما غيرت اسمي وسمتي»[2].

وعلى أي حال فإن العلامة المعصومي مرت عليه هذه المحنة وكان صابرا ومحتسبا، بل إنه فوق ذلك كله كان أثناء سلسلة المحن التي مر بها قائما بأداء رسالته العلمية والدعوية خير قيام، يعرف ذلك من درس سيرته وعرف

---

١ – المصدر نفسه، ص: ٧٠-٧١

٢ – المصدر السابق ، ص: ٧٠-٧١.

نشاطه وقوة إرادته وشخصيته، ويشير لهذا المعنى بقوله: «وحينما كنت في البلاد الصينية بذلت جهدي لإحياء السنة المحمدية وإجرائها وإماتة البدعة وإزالتها، فكم هدمنا من قبب الضرائح ومنعنا عن النذر لها بعد أن أظهرنا الحقيقة، وحتى ترك أكثرهم ظهر الإحتياط بعد الجمعة، والأذكار الغنائية التي يسمونها طريقة، ومنعنا عمل المولد والقيام عند أخذ المخاض، وكذا عن الإجتماع لإحياء ليلة النصف من شعبان بزعمهم أنها ليلة البراءة، وصاروا يشيرون بالمسبحة في تشهد الصلاة ويحترزون عن نداء الأموات والاستمداد منها والنذر لها.

وأفهمتهم بشرح نصوص الكتاب والسنة الصحيحة الصريحة أن اللازم على المسلم إنما هو العلم بما ثبت في الكتاب وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعتقاد بموجبه والعمل به وأن طاعة الله ورسوله سبب لسعادتي الدنيا والآخرة ومخالفتهما باعث لشقاوة الدارين كما هو المقرر المجرب، وألفت فيما يتعلق بذلك رسائل بلغتهم التركية وطبعتها ونشرتها حسبة لله تعالى[1].

وبعد هذه الإقامة بالصين والنشاط العلمي والدعوي رغم مشاعر القلق والخوف وعدم الإطمئنان على النفس والمال والأهل والأولاد، خرج العلامة المعصومي من الصين مختفيا عن أعين الشيوعيين البلاشفة التي تراقبه عن كثب وتريد

---

١ – المصدر السابق، ص:٧٢.

الفتك به متوجها إلى بلد الله الأمين فوصله في مستهل شهر ذي القعدة من عام ١٣٥٣هـ [١].

والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء الطريق.

---

١ – المصدر السابق، ص:٧٣.

الفصل الثالث:

حياته العلمية وثناء أهل العلم عليه

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: طلبه العلم و أطواره الفكرية

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: طلبه العلم

المطلب الثاني: أطواره الفكرية

المبحث الثاني: رحلاته العلمية

المبحث الثالث: شيوخه

المبحث الرابع: تدريسه وتلاميذه

المبحث الخامس: مكانته العلمية وثناء أهل العلم عليه

المبحث الأول

طلبه العلم و أطواره الفكرية

المطلب الأول: طلبه العلم

نشأ العلامة المعصومي رحمه الله تعالى في بيئة علمية ببلاده فتعلم القراءة و الكتابة على والديه، ثم تلقى علومه الأساسية و كون بنيته العلمية الأولى في مسقط رأسه و محل نشأته خجنده على علمائها لفترة طويلة، درس فيها متونا عديدة ذات أهمية في الأوساط العلمية في تلك البلاد، و يبدو – و الله تعالى أعلم– أن هذه الفترة في حياته كانت مهمة جدا، و أنه قد بدأ تعلمه بشكل جدي اتضح في إنتاجه العلمي و فكره المستقل و مؤلفاته العديدة، التي أثمرتها حياته المباركة فيما بعد، كما سنرى بحول الله وقوته.

يقول رحمه الله: «رباني الوالدان الكريمان عليهما الرحمة و الرضوان، و علماني القراءة و الخط، فقرأت كثيرا من الرسائل و الكتب المؤلفة باللغة الفارسية التي هي لغة أهل البلاد.

و كثيرا من الكتب باللغة التركية التي هي لغة أهل الصحاري و القرى. ثم شرعت في قراءة اللغة العربية من قواعد الصرف و النحو و اللغة، ثم البيان و المعاني و البديع، كرسالة العزى و الزنجاني و عوامل الجرجاني وكافية ابن الحاجب مع شرحها لعبد الرحمن الجامي والشيخ الرضى وغيرها. ثم توغلت في قراءة كتب المنطق ودراسة الفلسفة كما هو سنة أهل

العلم هناك، مثل إيساغوجي والشمسية وحاشيتها للقطب وسلم العلوم مع شرحها للقاضي مبارك وحكمة العين وشرحها والميبذي وحواشيها وإشارات الرئيس ابن سينا.

وقرأت كتب العقائد والكلام، مثل العقيدة النسفية وشرحها للتفتازاني وحواشيها، والعقيدة العضدية وشرحها للدواني وحواشيها وجوهرة التوحيد ومقاصد الكلام للتفتازاني والمواقف وشرحها للجرجاني والمسايرة والسنوسية والطحاوية وغيرها.

ومن كتب الفقه خلاصة الكيداني ثم مختصر الوقاية وشرح الوقاية كلاهما لصدر الشريعة، وكذا الهداية وحاشيتها فتح القدير، وعنايته وغيرها، ومن أصول الفقه أصول القفال الشاشي والتنقيح وشرحه التوضيح وحاشية التلويح وأصول البزدوي وابن الحاجب والتحرير لابن الهمام والمنار وشرحه نور الأنوار وغيرها.

وفي الآخر عند بلوغ النهاية وختم الكتب المتعارفة قرأت بعضا من أوائل مشكاة المصابيح و شيئا قليلا من تفسير الحسيني الفارسي والبيضاوي وروح البيان. وكل ذلك عند الأستاذ الشيخ محمد عوض الخجندي البخاري، والشيخ عبد الرزاق المرغناني البخاري و غيرهما»[1].

---

١ – مختصر الترجمة في كتاب حكم الله الواحد الصمد، ص:٤٨. وا نظر مقدمة أجوبة المسائل الثمان، ص: ١٠.

لقد ظل العلامة المعصومي رحمه الله يزاول دراسته العلمية الناجحة في بلاده حتى علت مكانته ورسخت قدمه في العلوم المتداولة في زمانه في تلك البلاد، وأصبح عالما من علماء عصره، وبدأت تظهر عليه علامات التحقيق والتمسك بالدليل من الكتاب والسنة، فاكتشف عن علم ودراية أغلاط المقلدة وتناقضاتهم، فبدأ في إعلان ذلك جهارا نهارا مما أثار عليه المتعصبة، فضيقوا عليه تضييقا بالغا، يقول المعصومي رحمه الله «ولكني لما حصلت العلوم والفنون بحول الله وقوته وهدايته وتوفيقه وحصلت لي ملكة المطالعة وحزت ختم الكتب المتعارف هناك، وكان عمري إذ ذاك ثلاثا وعشرين سنة ظهر لي خطأ بعض المؤلفين، وتعصبهم على ما عليه ائتلفوا، وتعارض ما حرروا ومناقضة بعضه بعضا. فأعلنت ذلك على الملإ من الناس، فصاح العلماء والمشايخ وحملة العمائم الكبار، وقالوا إنما نعمل بقول علمائنا، على ما وجدنا عليه مشايخنا وسلفنا، ولا يجوز الأخذ والعمل بالقرآن والحديث لأن ذلك وظيفة المجتهد، وقد انقرض وانسد باب الإجتهاد، فقلت إن الشيطان أغواكم فأدلاكم في الهاوية فكيف يقال إنه لايجوز العمل بالقرآن والحديث ويرجح قول الميتين غير المعصومين على قول المعصوم فما هذا إلا بلاء ومصيبة ابتلي بها من استحق غضب الله فإنا لله وإنا إليه راجعون»[1].

---

١ – ترجمة حال محمد سلطان، ص: ٥١–٥٣. وانظر: مقدمة أجوبة المسائل الثمان، ص: ١٠.

المطلب الثاني : أطواره الفكرية

ونقصد بأطواره الفكرية المراحل التي مر بها العلامة المعصومي –رحمه الله– بسبب تأثير البيئة التي نشأ بها وتربى فيها، فالمرحلة الأولى من حياته كان على منهج غير سلفي يتمثل أساسا في الأخذ بالعقيدة الماتريدية[1] والفكر الصوفي والتعصب المذهبي، ولكنه تأثر بمنهج السلف بفضل الله تعالى ثم بتوسعه في دراسة المصادر السلفية والتبصر في العلوم والإنفتاح على الحركة العلمية في العالم الإسلامي وكثرة المطالعة والقراءة في المكتبات الإسلامية وسنورد من كلامه ما يدل على ذلك.

يقول –رحمه الله– في تعريفه لنفسه في آخر كتاب العقود الدرية فيما ينسب إلى الأيام النيروزية: «محمد سلطان بن عبد الله الخجندي الماتريدي الحنفي النقشبندي»[2].

وكان هذا الكتاب من أول مؤلفاته رحمه الله حيث ألفه سنة ١٣٢٦هـ والسبب في ذلك دراسته في بداية حياته قبل الرحلة حيث درس المنطق وعلم الكلام وعلم الفلسفة وتضلع من هذه العلوم، شأنه في ذلك شأن علماء زمانه

---

١ – الماتريدية نسبة إلى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي نسبة إلى ماتريد (محلة بسمرقند) في ما وراء النهر وهو من أئمة علم الكلام، له مؤلفات كثيرة منها تفسيره المسمى تأويلات أهل السنة وله أيضا بيان وهم المعتزلة وغيرها، توفي سنة ٣٣٢هـ. الأعلام للزركلي ٢٤٢/٧ ومعجم المؤلفين لعمر رضا ٣٠٠/١١.

٢ – العقود الدرية، ص: ٨٢.

في ذلك الوقت الذي سادت فيه هذه العلوم وبلغت إنتشار المباحث الكلامية أوجها في تلك الأونة، وقد أشار لهذا الموضوع بقوله:

«ثم توغلت في قراءة كتب المنطق ودراسة الفلسفة كما هو سنة أهل العلم هناك، وقرأت كتب العقائد والكلام مثل العقيدة النسفية وشرحها للتفتازاني وحواشيها والعقيدة العضدية وشرحها للدواني وحواشيها، وجوهرة التوحيد ومقاصد الكلام للتفتازاني والمواقف وشرحها للجرجاني والمسايرة والسنوسية وغيرها»[1].

ولما درس العلامة المعصومي العلوم في أصول الدين وفروعه بدأ يتطلع لدراسة التصوف، ودرس كثيرا من كتبه، واعتنق الطريقة الصوفية النقشبندية المشهورة في تلك البلاد لأنها في نظر أصحابها خير الطرق الصوفية وأعدلها.

ومن المعلوم لدى كل باحث في الفكر الاسلامي أن كثيرا من الفقهاء وطلاب العلم في العصور المتأخرة في غالبية البلاد الاسلامية قد غلب عليهم الأخذ بالمنهج الكلامي الأشعري أو الماتريدي، والمسلك الصوفي - وللأسف - بل إن الكثير من الناس يرى في تلك الأزمنة أن من يريد أن يلبس لباس العلم والفقه ويتصدر للتدريس والإفتاء ينبغي له ويستحسن في حقه أن يعتنق إحدى الطرق الصوفية السائدة في تلك العصور، ويبايع أحد مشايخ عصره المشهورين، ويسلك مسلكه الديني، وهو ما نرى العلامة المعصومي يفعله وينص عليه حيث يقول: «ولما كان عامة العلماء والمشايخ قائلين بلزوم البيعة

---

١ - مختصر الترجمة، ص:٤٨.

على شيخ من مشايخ الطرق، وعاملين بها في عامة البلدان، وكنت أنا من جملتهم متوغلا في مطالعة كتب التصوف كالعوارف للسهروردي وقوت القلوب لأبي طالب المكي، وإحياء العلوم لأبي حامد الغزالي، والمكتوبات للشيخ أحمد السرهندي وغيرها، وكانت الطريقة النقشبندية[١] من بين سائر الطرق أعدلها وأقومها حسب دعوى أهلها أنها مبنية على اتباع الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة والجماعة مع اجتناب البدع، فبناء على تلك المقالات الحقة التي زخرفوا بها طريقتهم دخلت في هذه الطريقة[٢].

ومع أنه -رحمه الله- رضي بالدخول في التصوف واعتناق المشرب النقشبندي على وجه الخصوص، إلا أنه لم يطمئن كامل الإطمئنان للفكر الصوفي ، لذلك كله كان ينفر من بعض المظاهر المنحرفة التي لا يؤيدها عقل ولا نقل، وقد أشار لهذا المعنى بقوله:

«ولكن مع ذلك كان قلبي ينفر عن بعض تعاليمهم كتكرار الاسم المفرد والمراقبة والمرابطة، وملاحظة صورة الشيخ والاستمداد من روحانية مشايخهم

---

١ -النقشبندية إحدى الطرق الصوفية المنتشرة في كثير من البلاد بالمشرق الإسلامي و هي نسبة إلى الشيخ نقشبند الذي اشتق اسمها من اسمه - النقشبندية - و يصفونه بأنه الغوث الأعظم، و فيها بدع و انحرافات كثيرة و معتقدات فاسدة منها على سبيل المثال الغلو في مشايخهم و الإستغاثة بهم من دون الله و تقديس قبورهم و تقبيل أعتابها و الإكتحال بترابها، ومن اخطر عقائدهم القول بوحدة الوجود و غير ذلك من المعتقدات و البدع و الضلالات و المخالفات الشرعية التي توضح حقيقة ما تنطوي عليه هذه الطريقة و مشايخها من البعد عن منهج الإسلام الصحيح. أنظر كتاب النقشبندية عرض و تحليل، تأليف عبد الرحمن دمشقية ص: ٢٩ و ما بعدها، دار طيبة - الرياض

٢ - مختصر ترجمة حال محمد سلطان المعصومي، ص: ٥٥.

وأمثال ذلك، ولكن مع هذا التنفر ما كنت أقدر على إظهار ما في الوجدان لارتكاز عادة التقليد في القلب، بل كنت أفتخر أني نقشبندي المشرب وماتريدي المعتقد وحنفي المذهب»[1].

وفي بيانه لما كان عليه من التعصب المذهبي قبل تبنيه مذهب أهل السنة الذي حصل له فيما بعد قال: «كنا نعتقد أن المسلم هو الذي تمذهب بمذهب الحنفية، وأما أهل سائر المذاهب فمخطئون خارجون عن الحق، ومن نتائجه أنا كنا نعتبر أن غير الحنفي ليس بمسلم ولا يجوز العمل بغير مذهب أبي حنيفة[2].

---

١ – مختصر ترجمة حال محمد سلطان، ص:٥٦.

٢ – مختصر ترجمة حال محمد سلطان المعصومي، ص:٤٩.

وما ذكره المعصومي في هذا الموضوع من التعصب الأعمى المذموم الذي كان سائدا بين أتباع المذاهب في ذلك العصر وخاصة الحنفية منهم، هو السائد في المدارس التي درس فيها وتربى، وقد قال بهذا كثير من علماء الحنفية، منهم العلامة شمس الدين محمد القهستاني مفتي بخارى في زمانه في مقدمة شرحه على مختصر الوقاية، حيث قال: «واعلم أن المذهب أنه لايقلد أحد من الصحابة والتابعين غير أبي حنيفة رحمه الله تعالى.

كما ذكر خواجه محمد بارسا في كتابه الفصول أن عيسى عليه السلام حين ينزل من السماء يحكم بمذهبه «أي مذهب أبي حنيفة»، وكما قال في كتاب النكاح ولا يجوز نكاح المعتزلة لأنهم كفار عندي.

انظر: مختصر ترجمة محمد سلطان، ص:٤٩ وانظر كذلك: بدعة التعصب المذهبي بقلم محمد عيد عباسي، ص:٢٠٦ وما بعدها.

بداية اعتناقه مذهب أهل السنة[1]:

لما كان العلامة المعصومي -رحمه الله- من الرجال المجدين في طلب العلم وتحصيله و من الباحثين عن الحق رحل في ذلك إلى الحواضر الإسلامية والتقى بالعلماء والمصلحين المعاصرين له، وأخذ عن كثير منهم وناقشهم، وطالع في المكتبات الاسلامية على نطاق واسع، واشترى مكتبة زاخرة بالكتب النفيسة وخاصة كتب أئمة أهل السنة والجماعة وبالأخص كتب

---

١ - قال شيخ الإسلام بن تيمية: «السنة هي ما كان عليه الرسول صلى الله عليه و سلم و أصحابه اعتقادا و اقتصادا و قولا و عملا» الفتوى الحموية الكبرى ص:١٠٩، و يذكر أن مصطلح أهل السنة يطلق و يراد به معنيان: أحدهما المعنى الأعم، و هو ما يقابل الشيعة، و هذا المعنى تدخل فيه الفرق الإسلامية سوى الشيعة، فيقال المنتسبون للإسلام قسمان: أهل السنة و الشيعة.

أما المعنى الأخص، فهو يقابل المبتدعة، و أهل الأهواء عامة، وقد نص الإمام أحمد ابن حنبل، و علي بن المديني على أن من خاض في شيء من علم الكلام لا يعتبر من أهل السنة و الجماعة و إن أصاب بكلامه السنة حتى يدع الجدل و يسلم للنصوص، أنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة و الجماعة من الكتاب و السنة وإجماع الصحابة و التابعين و من بعدهم، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن الألكائي ج١ ص:١٦٦، ١٦٥، ١٥٧، تحقيق الدكتور: احمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر و التوزيع، الرياض، ١٤٠٢هـ، و مناهج الأشاعرة في العقيدة للدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي ص: ١٥-١٦ الطبعة الأولى الدار السلفية الكويت ١٤٠٧هـ، و المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضا و نقدا، تأليف: صادق سليم ص: ٩٧-١٠٠، الطبعة الأولى مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٥هـ، و انظر مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الموضوع في كتاب المحلى لابن حزم، ج١، ص:٤٢، ٤٠، و مجموع الفتاوى لشخ الإسلام ابن تيمية ج٧ ص: ٦٧١، و حاشية الصنعاني على احكام الأحكام، شرح عمدة الأحكام ج١ ص:٣٩٧، حققه و خرج حديثه و علق عليه، الد كتور عبد المنعم أمين قلعجي، الطبعة الأولى المحققة، القاهرة ١٤١٠هـ، و شرح الشفا للشيخ علي القاري، ج١ ص: ٤٤٩، و شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص: ٣٥٠ و معارج القبول للحكمي ج٢ ص: ٢٨٦-٢٨٨.

شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه شمس الدين إبن قيم الجوزية والإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي والشيخ محمد رشيد رضا وغيرهم، فقد حصل له توجه سلفي في جميع المجالات الدينية، فتابع رجال خير القرون في العقيدة والمنهج والسلوك وفي التمسك بالكتاب والسنة وعرض آراء الفقهاء عليهما فما وافقهما أخذ به وما خالفهما تركه، بغض النظر عن قائله حتى ولو كان أمامه الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله تعالى.

وقد أشار –رحمه الله– إلى هذا المعنى كثيرا في مؤلفاته وركز عليه وكرره ووضحه، ومن ذلك قوله «ولكني لما حصلت العلوم والفنون بحول الله وقوته وهدايته وتوفيقه وحصلت لي ملكة المطالعة، وحزت ختم الكتب المتعارف عليها «في بلد النشأة» هناك، وكان عمري إذ ذاك ثلاثا وعشرين سنة ظهر لي خطأ بعض المؤلفين وتعصبهم على ما عليه ائتلفوا، وتعارض ما حرروا ومناقضة بعضه بعضا، فأعلنت ذلك في الملإ من الناس وشرحت المسألة وما عليه أهل ما وراء النهر ومن وافقهم[1]. ولما أظهر –رحمه الله – المذهب الحق وبين السنة وعدل عن التعصب الأعمى، وأعلن على الملإ من الناس تبيين تعصب العلماء والمشايخ في تلك البلاد حيث قال في بيانه لهذا الموقف «فصاح العلماء والمشايخ وحملة العمائم الكبار، وقالوا : إنما نعمل بقول علمائنا على

---

١ – انظر: ترجمة حال محمد سلطان ص: ٥١–٥٢.

ما وجدنا عليه مشايخنا وسلفنا، ولايجوز الأخذ والعمل بـالقرآن والحـديث، لأن ذلك وظيفة المجتهد، وقد انقرض وانسد باب الاجتهاد»[١].

وقد رد على هؤلاء المتعصبين المعرضـين عـن الاخـذ بالسـنة بقولـه: «إن الشيطان أغواكم حتى جعلكم منكرين للسنة بل قـائلين ومعتقـدين بحرمتهـا، فأدلاكم في الهاوية وأنتم لاتشعرون، ولاشك أن من يحرم الحلال يكفر فكيف من يحرم السنة الثابتة، وكيف من يقول ويعتقد أنـه لايجـوز العمـل بـالقرآن والحديث، ويرجح قول الميتين غير المعصومين على قول المعصوم، فما هذا إلا بلاء ومصيبة ابتلى بها من استحق غضب الله فإنا لله وإنا إليه راجعون»[٢].

فلما آل الأمر أخيرا إلى الجدال عزمت على السفر إلى الحجاز وترك بلاد بخارى وما وراء النهر وقلت هذا فراق بيني وبينكم إلى أن يصلحني الله تعالى وإياكم[٣].

وفي أثناء رحلته فتح الله تعالى عليه بعلم القرآن العظيم و السـنة النبويـة المطهرة، حيث قال: «ثم فتح الله تعالى علي بعلم القرآن العظيم الذي لايأتيـه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بل هـو تنزيـل مـن رب العـالمين، وبعلـم السنة التي هي كلام سيد المرسلين وسيرته ﷺ، وما عملـه خلفـاؤه الراشـدون رضي الله عنهم، واستعنت بالله وانهمكت في مطالعـة كتـب التفسير وكتـب

---

١ – المصدر السابق نفسه، ص:٥٣.

٢– مختصر ترجمة حال محمد سلطان، ص:٥٣

٣– المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها.

الحديث»[١]. وبعد عودته -رحمه الله- من رحلاته العلمية[٢] الناجحة بدأ دعوته السلفية الاصلاحية في بلاد بخارى وما وراء النهر.

حيث قال: «وجاء أوان البحث والكشف عن منشإ كل مسألة ودليلها حسب المقدرة، فقابلت الكتب بالكتب ووزنتها بميزان الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، فشرعت في الرد على كثير من المعاصرين أو الغابرين الذين خالفوا أصول الدين كائنا من كان فألفت الرسائل ونشرت المجلات، فحصل التجدد في أهل بلاد ما وراء النهر، وشاع فكر الاصلاح الديني وعرف من هداه الله مضار البدع والخرافات ومفاسدها، فتابعنا كثيرا من متنوري الأفكار وقمنا بإصلاح ما أفسده الخرافيون وعرف من عرف بفضل الله حقيقة التوحيد والشرع الاسلامي فبدأ الناس يعودون فيتجنبون ما أحدثه المبتدعون من الطرائق الصوفية الخرافية والتوجه إلى القبور والبناء عليها والنذر لها والاستمداد من أهلها.

حتى وفقنا بحول الله وقوته إلى هدم كثير من القباب والضرائح والمشاهد، وأفهمنا الناس الحقائق ومنعنا كثيرا من الصوفية الجهلة عما يفعلونه من أفعالهم الخرافية وأذكارهم الغنائية، وشرعنا في إصلاح المدارس وتسهيل طرق التعليم، وقد وافقنا على ذلك وسلك مسلكنا جمع من الأفاضل والأعيان من عامة البلدان[٣].

١- المصدر السابق نفسه ص: ٥٦.

٢-سيأتي الكلام بالتفصيل عن رحلاته العلمية في مبحث مستقل في ص: ٥٩ من هذا البحث

٣- مختصر ترجمة حال محمد سلطان، ص: ٦١-٦٣.

ومن هذه النصوص التي سقناها من كلام العلامة المعصومي –رحمه الله– يتبين بجلاء رجوعه إلى مذهب أهل السنة الذي حصل لـه والتوجـه السـلفي الذي سار عليه ودعى له ونادى به في بلاده والتجديد الإصـلاحي الـذي أثـر في كثير من أهل تلك الـبلاد بمـا في ذلـك الأعيـان والأفاضـل مـن كافـة تلـك المناطق.

المبحث الثاني

رحلاته العلمية

رحل العلامة المعصومي من بلاده بعد أن درس كثيرا من العلوم والمعارف الإسلامية بها، واستفاد من علمائها، وأصبح شغوفا بالتحقيق العلمي والتنقيح والتدقيق وفق الأدلة الشرعية على منهج أهل السنة والجماعة، الشيء الذي أدى به إلى الإصطدام بطوائف المتعصبين السائدة في تلك البلاد إبان عصره ونتيجة لسيطرة المبتدعة والمتعصبين في تلك البيئة التي عاش بها، اضطر إلى السفر عن وطنه مهاجرا بدينه وطالبا للمزيد من تحصيل العلوم الشرعية والمعارف الإسلامية، وسنعطي نبذة عن كل رحلة من رحلاته على انفراد بادئين برحلته الحجازية.

١ - رحلته إلى بلاد الحجاز:

رحل العلامة المعصومي رحمه الله إلى بلاد الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج، والأخذ عن العلماء في مكة المكرمة والمدينة النبوية، وكان سفره من بلاده في شهر شوال سنة ١٣٢٣هـ، ووصل إلى مكة في غرة شهر ذي الحجة من العام نفسه فأدرك موسم الحج، وفي الحرمين الشريفين درس العلوم الشرعية وقرأها على كبار المشايخ في زمانه.

يقول -رحمه الله- في ترجمته في كتابه (حبل الشرع المتين وعروة الدين المبين): «أشرب في قلبي محبة زيارة الحرمين الشريفين، فعزمت متوكلا على الله عز وجل في يوم الإثنين السابع والعشرين من شوال سنة ثلاث

وعشرين وثلاث مائة وألف، فتشرفت ببلد الله الأمين يوم التروية، فبعد الوقفة في الموقف الشريف عرفات، أقمت فيها إلى ما شاء الله تعالى وأخذت عن علمائها الأعلام والواردين عليها من الأفاضل الكرام، كالشيخ شعيب الدكالي المغربي، والشيخ حسيب الله والشيخ محمد سعيد بابصيل والشيخ عبد الحي المكناسي وغيرهم، ثم بعد عامين سافرت إلى المدينة الطيبة فأقمت فيها مدة وأخذت عن علمائها أيضا كالسيد أحمد البرزنجي والشيخ عبد الله النابلسي القدومي والشيخ خليل الخربوطي وغيرهم»[1].

٢ – رحلته إلى الشام:

بعد أن أقام مدة طويلة في الحرمين الشريفين تزيد على ثلاث سنين وأكمل متطلبات رحلته الحجازية بالحج والزيارة للمسجد النبوي الشريف والأخذ عن مشاهير العلماء في البلاد المقدسة توجه العلامة المعصومي – الرحالة – إلى دمشق الشام، والتقى بعدد من مشايخها المشهورين إبان ذلك، يقول رحمه الله: «ثم سافرت إلى الشام عن طريق خيبر[2] والعلا، وكان الخط الحديدي وصل إلى محطة الأخضر فركبنا القطار (شمندفر) فوصلنا تبوك[3]،

---

١ – حبل الشرع المتين، ص:١٥. وحكم الله الواحد الصمد الترجمة، ص:٥٣ ستأتي ترجمة مشايخه في المبحث الآتي

٢ – ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام و تشتمل على سبعة حصون، و أما لفظ خيبر فهو بلغة اليهود الحصن. المعجم ٤٠٩/٢

٣ – بالفتح ثم الضم و واو ساكنة و كاف موضع بين واد القرى و الشام وبين تبوك والمدينة اثنتا عشرة مرحلة، المعجم ١٤/٢–١٥

ثم معان[١]، ثم الزرقاء[٢]، ثم درعا، ثم دمشق الشام، فنزلت في مدرسة دار الحديث الشرفية وكان المدرس فيها الشيخ بدرالدين يوسف الحسني والشيخ عبد الحكيم القندهاري، فأخذت عنهما علوما جمة، وكذا عن السيد أبي الخير ابن عابدين والسيد عارف المنير وغيرهم»[٣].

٣ – رحلته إلى بيت المقدس:

واصل العلامة المعصومي رحمه الله سلسلة رحلاته لتشمل بيت المقدس عن طريق بيروت حسب ما ذكره بقوله: «قدمت بيت المقدس وزرت المسجد الأقصى ثالث المساجد الثلاثة عن طريق بيروت التي أخذت بها عن الشيخ يوسف النبهاني والشيخ عبد الرحمن الدرويش الحوت، وأقمت هناك عدة أيام»[٤].

---

١ – بالفتح و أخره نون و هي مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء.

٢ – بلفظ تأنيث الأورق، موضع بالشام، بناحية معان، و الزرقاء أيضا بين خناصرة وسورية من أعمال حلب و سلمية ، المعجم ١٣٧/٣

٣ – حبل الشرع المتين، ص:١٥ وحكم الله الواحد الصمد، الترجمة، ص:٥٨–٥٩ ومقدمة أجوبة المسائل الثمان، ص:١١.

٤ – حكم الله الواحد الصمد، الترجمة، ص:٥٩–٦٠. وحبل الشرع المتين ص:١٥–١٦. ومقدمة تمييز المحظوظين، ص:١٢.

٤ – رحلته إلى مصر:

بعد أن أكمل العلامة المعصومي زيارته المسجد الأقصى توجه إلى مصر للإستفادة من علمائها ومكتباتها وما يروق له من المجلات التي تصدر بها، وقد حصل مكتبة ضخمة منها، وقد تحدث العلامة المعصومي في مؤلفاته عن هذه الرحلة وقال: «سافرت إلى مصر القاهرة من طريق بور سعيد والإسماعيلية ودخلت القاهرة وأقمت في الجامع الأزهر في الرواق السليماني بواسطة الأخ الصالح الفاضل الشيخ أحمد عمر المحمصاني البيروتي، فواجهت العلماء والمشايخ كالشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي المتوفى سنة ١٣٥٤هـ والسيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وغيرها المتوفى سنة ١٣٥٤هـ أيضا، واستفدت منهما واشتركت في مجلة المنار واشتريت مجلات المنار كلها، وكذا ما طبع من كتب شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما من محققي علماء المسلمين من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم، ومجموع الكتب التي اشتريتها من هناك أكثر من ألف مجلد سوى الرسائل والمجلات فبعد أن أقمت فيها برهة من الزمان وتفرجت على كل ما يتفرج عليه أنكرت ما يفعلونه في شبابيك سيدنا الحسين والإستغاثة، وما يرتكبونه في السيدة زينب والقرافة مما يخالف الدين الإسلامي والشرع المحمدي، وما يرتكبونه من كشف العورات في الحمامات وما يرتكبه النساء من التبرج»[1].

---

١ – حكم الله الواحد الصمد، الترجمة، ص:٦٠ وحبل الشرع المتين، ص:١٦. وانظر مقدمة تمييز المحظوظين، ص:١٢ ومقدمة أجوبة المسائل الثمان، ص:١٣–١٤.

٥ – رحلته إلى اسطنبول:

بعد نهاية رحلة العلامة المعصومي إلى البلاد المصرية التي بها الأزهر الشريف الذي يعتبر حين ذاك كعبة الرواد للعلوم الإسلامية، توجه رحمه الله إلى عاصمة الدولة العثمانية يومئذ، مرورا ببلاد اليونان، يقول رحمه الله في حديثه عن هذه الرحلة: «تركت مصر وسافرت إلى بلاد اليونان حتى عاصمتها آثينا، ثم من هناك إلى اسطنبول، فبعد أن أقمت في الروم مدة أشهر، وأخذت عمن كان موجودا من العلماء المشهورين فكلهم أجازوا لي بإجازات متعددة وإرشادات متوافرة رجعت إلى وطني خجندة»[1].

٦ – رحلته إلى مرغينان والصين:

تقدم أن العلامة المعصومي عاد إلى وطنه بعد رحلات عديدة كان آخرها رحلته إلى مدينة اسطنبول عاصمة العثمانيين في تلك الأيام، وقد عاد من هذه الرحلات بمكتبة عظيمة وأقبل على المطالعة والتنقيح والإستفادة والإفادة والتحقيق والتأليف، مفتيا للمحاكم الشرعية وذلك سنة ١٣٤٢هـ، ونتيجة لصراحته في بيان الحق والوقوف في وجه كل باطل فقد تعرض للمحن على أيدي الشيوعيين الملحدين فسجن سنة ١٣٤٢هـ إبان انقلابهم في روسيا ثم نجاه الله تعالى من كيدهم وشرهم، وسجن بعدها بسنتين فنجاه الله تعالى منهم أيضا. لذلك اضطر لترك بلاده خجندة وسافر إلى مرغينان وعين قاضيا

---

١ – حبل الشرع المتين، ص:١٦، وحكم الله الواحد الصمد، الترجمة، ص:٦٠-٦١، ومقدمة أجوبة المسائل الثمان، ص:١١، مقدمة تمييز المحظوظين، ص:١٢.

فيها، ولكن اشتدت عليه المحن فحكم عليه بالإعدام رميا بالرصاص إلا أنه فر إلى الصين وذلك سنة ١٣٤٧هـ وأقام فيها بضع سنين[1].

لقد تحدث العلامة المعصومي عن رحلته إلى مرغينان وبين أن سببها هو ما تعرض له من محن متتالية وشديدة على أيدي الملاحدة الشيوعيين – عليهم لعائن الله – وقال «لما كنت متمسكا بالدين بحول الله وتوفيقه مصرا على تعليم الناس دينهم حبسوني فنجاني الله تعالى، فتركت خجندة وهاجرت إلى مرغينان وأقمت فيها وكانت الحكومة تراقبني مراقبة شديدة فاستقبلني أهلها استقبال حسنا وعينوني خطيبا في الجامع العتيق ففعلت فيه مثل ما فعلت في خجندة من ترك ظهر الإحتياط وتبديل الخطبة من البدعية إلى السلفية، فخالفت علماءها، أثبت عليهم بحججي حتى بهتوا، وبعده عرف صلابتي كل أهل البلد فخلعوا قاضيها الذي عارضني وانتخبوني قاضيا فكنت أنظر إلى الدعاوى حسب المستطاع، ولكن الحكومة كانت تراقبني مراقبة شديدة فاستعفيت وتنحيت واعتزلت الناس لعدم إمكان الحكم بالحق[2].

ولم يزل الشيوعيون يراقبون الشيخ المعصومي ويتابعونه حتى زجوا به في السجن مرة ثالثة، وتوجه إلى بلاد الصين كما مر هاربا من السجن بأعجوبة، ولكنه على كل حال وصل إلى الصين واحتفى المسلمون به فيها، يقول رحمه

---

١ – انظر: حكم الله الواحد الصمد، ص: ٦١ وما بعدها، ومقدمة أجوبة المسائل الثمان، ص١١-١٢.

٢ – حكم الله الواحد الصمد، الترجمة، ص: ٦٥.

الله «واستقبلني مسلموا تلك البلدة في بلاد الصين استقبالا حسنا، وذلك كان أواسط شهر ديسمبر ١٩٢٨م، فبعد سكون القرار التمس أهالي تلك البلدة على اختلاف أجناسهم أن أقرأ لهم تفسير القرآن وصحيح البخاري في الجامع الكبير المشهور، فقرأت وقررت ووعظتهم ونصحتهم فانتفع كثير منهم واهتدى جمع غفير، ووفقوا لتصحيح العقيدة عقيدة السلف الصالحين من أهل السنة والجماعة، وأزيل الكثير من البدع والرسوم الجاهلية، وإن كان جمهور المنسوبين للعلم والطريقة جهلة خرافية ومقلدة جامدة تعتقد كل جملة عربية قرآنا، والعوام تبعا لهم، ولكن للحق نور وصولة ولأهله صلابة وشوكة والحمد لله على ذلك[1].

٧ – رحلته الثانية إلى الحرمين الشريفين:

ظل الشيوعيون يبحثون عن العلامة المعصومي في تلك المنطقة وكان أيام إقامته في الصين يعتبر نفسه شاردا ومختفيا عن الثورة الشيوعية في تلك الأصقاع لذلك قرر الخروج من تلك البلاد والتوجه للمرة الثانية إلى بلاد الحرمين الشريفين.

يقول –رحمه الله–: «والحاصل أني خرجت من غولجة في أوائل ذي القعدة سنة ١٣٥٢هـ، عازما على التوجه إلى الحرمين بعدما غيرت اسمي وسمتي فتعديت جبال الثلوج (موز آقصو داوان) راكبا حصانا ووصلت بلدة (آقصو)، وكانت الفتنة هناك متراكمة والهرج والمرج مشتدين.

---

١ – حكم الله الواحد الصمد، الترجمة، ص: ٧٠.

وفي هذه الرحلة يقول المعصومي –رحمه الله– «ناظرت المبتدعين ورددت عليهم وحررت وقررت وأفدت واستفدت إلى أن أوصلني الله تعالى إلى حرمه الشريف وذلك في مستهل شهر ذي القعدة سنة ١٣٥٣هـ فالحمد لله على ذلك»[1].

كان ذلك عرضا عن مرحلة طلب العلم في حياة العلامة المعصومي، ورحلاته التي قام بها في العالم، والتي كان لها أثر واضح في تكوين حياته العلمية والفكرية وقوتة الشخصية والمواقف الجريئة والشجاعة، وفي المبحث الآتي سنتحدث عن شيوخه رحمهم الله الذين أخذ عنهم العلم واستفاد منهم.

والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء الطريق.

---

١ – حكم الله الواحد الصمد، الترجمة، ص: ٧١–٧٣. ومقدمة أجوبة المسائل الثمان، ص: ١٢.

المبحث الثالث

شيوخه

لقد بدأ العلامة المعصومي نشأته العلمية عند أبويه حيث قال «رباني الوالدان الكريمان عليهما الرحمة والرضوان إلى أن علماني الخط و قراءة الكتب الفارسية والتركية و القرآن الكريم »[١].

تقدم أن العلامة المعصومي رحمه الله قضى فترة طويلة من عمره في الدراسة والبحث و التحصيل العلمي الجاد في مسقط رأسه خجندة و في رحلاته العلمية العديدة، و قد أخذ في هذه الفترة الطويلة عن جم غفير من العلماء، يتعذر استقصاؤهم لكثرة ترحاله و لأنه استوطن بلاد الحرمين الشريفين و هي بلاد تهوى إليها أفئدة المؤمنين و يأتي إليها الناس من كل فج عميق، و بينهم علماء فضلاء، و لكنهم يسكنون فيها مدة محدودة مؤقتة ينهل طلاب العلم من ينابيع معارفهم وعلومهم بمقدار ما تمكنهم ظروفهم من البقاء في هذه البلاد المقدسة.

• وقد أشار لهم رحمهم الله بعد أن سرد أسماء جماعات من مشايخه في عدد من البلدان التي زارها و أخذ العلم عن علمائها حيث قال «و بالجملة إنني أخذت عن مائة شيخ تقريبا»[٢].

---

١ – حبل الشرع المتين ص: ١١٥ و مختصر ترجمة محمد سلطان، ص٤٧

٢ – حبل الشرع المتين ص:١٦.

لقد أخذ العلامة المعصومي رحمه الله علوما كثيرة في بلاده بعد نشأته في بيت تربيته الأولى وقرأ كتبا كثيرة بلغات عديدة كالعربية والفارسية والتركية، وكان كل ذلك عند الشيخ محمد عوض الخجندي البخاري والشيخ عبد الرزاق المرغيناني البخاري وغيرهما[1].

أما شيوخه خارج بلاده فهم كثيرون، وفيما يلي بيان أسمائهم:

١- الشيخ العلامة شعيب[2] بن عبد الرحمن المغربي الدكالي رحمه الله:

قال عنه المعصومي «وكان علامة مشهورا قرأت عليه في المسجد الحرام صحيح البخاري وصحيح مسلم وموطأ الإمام مالك قراءة بحث وتحقيق، وكنت حضرت في بيته في درسه لمشكاة المصابيح واستفدت منه كثيرا وانتفعت به عظيما، وقرأت لديه مصطلح الحديث في أيام الصيف في الطائف وكان من أهل العمل بالكتاب والسنة ويحذرني من التعصب، ويحرضني على العمل بالكتاب والسنة، وكتب لي بيده سندا وأجازني[3].

---

١ – مختصر ترجمة حال محمد سلطان، ص:٤٨

٢ – هو العلامة شعيب بن عبد الرحمن الدكالي المغربي، أول من أحيى الروح السلفية من المتأخرين بالمغرب، رحل إلى مصر وجاور بالأزهر ست سنوات وسافر إلى مكة وكان نديم الشريف عون، ثم رجع إلى المغرب وتولى القضاء ثم وزارة العدل ثم استعفى وانقطع للتدريس، ت١٣٥٦هـ. الآعلام للزركلي ١٦٧/٣ سير وتراجم علماء مكة، ص:١٤٠

٣ – مجلة الحج، ص:٢١٦–٢١٧ شوال ١٣٧١هـ، مختصر ترجمة حال محمد سلطان ، ص:٥٥.

٢- الشيخ محمد[1] صالح كمال الحنفي الفقيه:

ذكره العلامة المعصومي أثناء تعداده لمشايخه بمكة المكرمة، وقال: «ومن العلماء الذين عرفتهم في مكة في ذلك الوقت، مفتي الأحناف الشيخ محمد صالح كمال، قرأت عليه الأوائل العجلونية، وكتاب الهداية لبرهان الدين الفرغاني من كتاب الصلاة إلى آخر كتاب البيع، وأحبني وكناني بأبي الأنوار، وكان يكره وينكر بعض المظاهر المخالفة للشرع بالبلد الأمين في أيامه[2].

٣ - الشيخ محمد سعيد[3] بابصيل الشافعي:

مفتي الشافعية ورئيس العلماء في الحرم المكي، ذكره العلامة المعصومي وأثنى عليه كثيرا وقال: «قرأت عليه كتاب بداية الهداية لأبي حامد الغزالي وكان صوفي المشرب ورعا زاهدا وكتب بيده وقلمه نصائح كالدرر البيضاء وكتب لي سند الإجازة[4].

---

١ - هو العالم الفقيه الحنفي محمد صالح كمال مفتي الحنفية بالمسجد الحرام في أيامه، توفي عام ١٣٣٢هـ، انظر سير وتراجم علماء مكة في القرن الرابع عشر، ص: ٢٢٤ ومختصر النور والزهر، ص: ٢١٩ ونظم الدرر، ص: ١٨٢

٢ - مجلة الحج، ص: ٣٥٣ ذي الحجة ١٣٧١هـ، مختصر ترجمة حال محمد سلطان، ص: ٥٥.

٣ - هو العلامة محمد سعيد بابصيل مفتي الشافعية ورئيس العلماء بالبلد الأمين في أيامه، انظر: سير وتراجم علماء مكة في القرن الرابع عشر، ص: ٢٧٧ توفي سنة ١٣٣٠هـ، نثر الدرر ذيل نظم الدرر، ص: ٥٦، مخطوط عندي صورة منه.

٤ - مجلة الحج، ص: ٢١٧ شوال ١٣٧١هـ.

٤ – الشيخ أحمد[١] الحضراوي:

الزاهد الورع الصوفي المشرب على ما ذكره الشيخ المعصومي ضمن مشايخه وقال: «وكنت أقرأ لديه سنن الإمام أبي عيسى الترمذي وشمائله وكتاب أوائل اسماعيل العجلوني وكان ناصحا منصفا غير متعصب ولا متعنت، وكان يشتغل بالتصحيح والتأليف، وأحيانا كان يعرض علي ما كتبه وكنت أشترك معه في التصحيح، وقد كتب لي بيده وقلمه أسانيده ومشايخه وأجازني إجازة عامة شاملة وناولني كتابه العقد الثمين[٢].

٥ – الشيخ عبد الجليل برادة[٣]:

العالم الأديب، ذكره العلامة المعصومي وأثنى عليه وقال:

---

١ – هو العلامة أحمد بن محمد الحضراوي المصري الأصل، هاجر مع والده إلى مكة وكان عمره سبع سنين ونشأ بها وتلقى العلم واشتغل بالعلم والتأليف، ت ١٣٢٧هـ انظر: مجلة الحج، شوال ١٣٧١هـ وسير وتراجم، ص: ٦٠ ومجلة المنهل، شعبان ١٣٦٦هـ. ومختصر النور والزهر، ص: ٨٤، والأعلام ٢٤٩/١ والأعلام الشرقية في أعلام المائة الرابعة عشر الهجرية ٨٥٢/٢ وموسوعة أعلام القرن الرابع عشر ٦٢٥/٢، نظم الدرر، ص: ١٦٦ وانظر: اعلام الحجاز، ص: ٧٥.

٢ – مجلة الحج، ٢١٩–٢٢٠ شوال ١٣٧١هـ ، مختصر ترجمة حال محمد سلطان، ص: ٥٥.

٣ – هو الشيخ الأديب عبد الجليل بن عبد السلام بن عبد الله البراده مغربي الأصل هاجر جده عبد السلام من مدينة فاس إلى المدينة النبوية، ولد عام ١٢٤٣هـ وعاش في المدينة وتوفي راجعا من مكة إلى المدينة ودفن بالمدينة بالبقيع سنة ١٣٢٦هـ ، انظر الأعلام للزركلي ٢٧٥/٣، مجلة الحج، شوال ١٣٧١هـ مجلة المنهل، جمادى الأولى ١٣٩٠هـ بقلم عبيد مدني أعلام من أرض النبوة ١٢١/١، جريدة المدينة، ٢١ ربيع الثاني و ٤ جمادى الأولى ١٣٧٩هـ ، محمد سعيد دفتردار.

«العلامة الجليل والفاضل النبيل، والأديب الألمعي الشيخ عبد الجليل برادة المدني إمام المسجد النبوي بالمدينة المنورة، وقال قرأت عليه كتاب الكامل للإمام المبرد وكذا صحيح البخاري إلى النصف منه تقريبا»[١].

٦ – الشيخ محمد سليمان حسب الله[٢]:

قال عنه العلامة المعصومي «كان من أكابر ذلك العصر، فكان محدثا جليلا ومفسرا نبيلا وأديبا كاملا حضرت دروسه في المسجد الحرام، وقرأت عليه أكثر صحيح البخاري، كما قرأت عليه تدريب الراوي في مصطلح الحديث، وكان رحمه الله ورعا زاهدا قوالا بالحق لايخاف في الله لومة لائم»[٣].

٧ – الشيخ محمد مراد[٤] بن عبد الله الرمزي القازاني:

المكي الحنفي، ذكره الشيخ المعصومي وأثنى عليه كثيرا، وقال:

---

١ – مجلة الحج، شوال ١٣٧١هـ، مختصر ترجمة حال محمد سلطان، ص: ٥٥.

٢ – هو العلامة محمد سليمان حسب الله، المتوفى سنة ١٣٣٥هـ، انظر مجلة الحج، شوال ١٣٧١هـ وسير وتراجم ص: ٢٥٩. ومختصر النور والزهر، ص: ٤١٩ ونظم الدرر، ص: ١١٠

٣ – مجلة الحج، شوال ١٣٧١هـ.

٤ – هو الشيخ محمد مراد بن عبد الله الرمزي القازاني من أهل بلدة قازان، توطن في الحجاز منذ عهد بعيد وكان محدثا أديبا ومؤرخا لبيبا له مؤلفات كثيرة، منها تعريبه لكتاب الرشحات من الفارسية إلى العربية وكتاب مشايعة حزب الرحمن في مدافعة حزب الشطان وغير ذلك، ت ١٣٥٢هـ، انظر مجلة الحج، ذو الحجة ١٣٧١هـ، وانظر ترجمته لكتاب رشحات عين الحياة للشيخ علي بن حسين الواعظ الهروي، ص: ١.

«قرأت عليه صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري وكتبا أخرى، وكان رحمه الله عالما صوفي المشرب، ولكنه كان منصفا يذعن للحق ولا يتعصب للباطل[١].

٨ - الشيخ احمد بن إسماعيل[٢] البرزنجي:

ذكره الشيخ المعصومي وأشاد به وقال: «قرأت مع جماعة عليه صحيح الإمام البخاري والأوائل للحافظ إسماعيل العجلوني فأجازني إجازة خاصة وعامة وكتب لي سند الإجازة وكان فاضلا وأديبا بليغا له عدة مؤلفات»[٣].

٩ - الشيخ عبد الله القدومي[٤] النابلسي الحنبلي:

ذكره العلامة المعصومي ضمن مشايخه بالمدينة المنورة وأثنى عليه وقال: «قرأت عليه أجزاء من مشكاة المصابيح، وأجزاء من سنن أبي

---

١ - مجلة الحج، ذو الحجة ١٣٧١هـ.

٢ - هو أحمد بن اسماعيل بن زين الدين المدني البرزنجي أديب من أعيان المدينة المنورة ومن أسرة كبيرة أصلها من شهروز بجبال الأكراد، ولد بالمدينة وتعلم بها وبمصر وكان مدرسا بالمسجد النبوي، ت ١٣٣٧هـ، انظر الأعلام للزركلي ٩٩/١ وانظر: أعلام من أرض النبوة ١٠٩/١ ومجلة الحج، ربيع الثاني ١٣٧٢هـ.

٣ - مجلة الحج، ربيع الثاني، ١٣٧٢هـ ، مختصر ترجمة حال محمد سلطان، ص: ٥٩.

٤ - هو عبد الله بن عوده بن عبد الله بن عيسى القدومي فقيه حنبلي باحث من أهل فلسطين ولد في قرية كفر قدوم من أعمال نابلس وتعلم في دمشق وهاجر إلى المدينة وهو صاحب الرحلة الحجازية والرياض الأنسية في الحوادث والمسائل العلمية، ت١٣٣١هـ، انظر الأعلام للزركلي ١١١/٤ ومجلة الحج، ربيع الثاني ١٣٧٢هـ والأعلام الشرقية ٣٤٣/١، ومقدمة الرحلة الحجازية.

داوود وأجزاء من تفسير الإمام محيي السنة البغوي وأجـزاء مـن مسـند الإمام أحمد بـن حنبـل وأوائـل العجلـوني وأجـازني وكتـب لـي سـند الإجازة[1].

١٠- الشيخ محمد خليل الخربوطي[2] الحنفي:

ذكره العلامة المعصـومي وتحـدث عنـه وقـال حضـرت دروسـه في كتـاب الهدايـة وكتـاب الـدر المختـار وكتـاب مراقـي الفـلاح في الفقـه الحنفي وكان حينذاك مفتيا للأحناف وناقشته في مسائل كثيرة ممـا في تلك الكتب وغيرها من كتب الأحناف من الأغلوطات والمسائل الركيكة المخالفة لما جاء به رسول اللهﷺ[3].

١١- الشيخ أبو التاج بدر الدين محمد بن يوسـف الحسـني[4]:

علامة عصره في الشام ومحدثه، ذكره الشيخ المعصومي ضمن شيوخه في مدينة دمشق وأثنى عليه وقال:

---

١ – مجلة الحج، ربيع الثاني ١٣٧٢هـ .

٢ – هو الشيخ محمد خليل الخربوطي مفتي الأحناف بالمدينة المنورة في أيامه بها، وهو تركي الأصل من بلدة خربوط بالأناضول توفي رحمه الله بالمدينة سنة ١٣٢٧هـ، انظر مجلة الحج، ربيع الثاني ١٣٧٢هـ و مختصر ترجمة حال محمد سلطان، ص: ٥٩. وحبل الشرع المتين، ص: ١٥.

٣ – مجلة الحج، ربيع الثاني، ١٣٧٢هـ وحكم الله الواحد الصمد، الترجمة، ص: ٥٩.

٤ – هو العلامة المحدث أبو التاج بدر الدين محمد بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب الحسني المغربي المراكشي الدمشقي المسكن والوفاة محدث الشام في عصره حفظ الصحيحين غيبا بأسانيدهما ونحو عشرين ألف بيت من متون العلوم المختلفة، ت ١٣٥٤هـ. انظر الأعلام للزركلي ١٥٨/٧ وتاريخ علماء دمشق، ص: ٤٧٣ وأعلام دمشق، ص: ٢٤٣. وقد أفردت سيرته رحمه الله

«قرأت عليه صحيح البخاري وموطأ مالـك مـن روايـة يحيـي بـن يحيى قراءة بحث وتحقيق وأجـازني بإجـازة كتبهـا لـي نجلـه التـاج بإملاء الشيخ عليه وناولني إياها وأوصاني بوصايا حسنة[١].

١٢- الشيخ عبد الحكيم القندهاري[٢]:

ذكره العلامة المعصومي وعده من مشايخه في دمشق، وتحدث عنه وذكر أنـه حنفـي المـذهب صـوفي المشـرب، وقـال: «حضـرت دروسـه بأجمعها في تلك الفترة وصاحبته وناولني كتابه كشـف الحقـائق شـرح كنز الـدقائق في الفقـه الحنفـي، وأجـازني بروايتـه وجميـع مـا يجـوز روايته من التفاسير والأحاديث والفقه عنه[٣].

بكتاب بعنوان: «بدر الدين الحسني» بقلم تلامذته وعارفيه لمؤلفه محمد الرشيد طبع بدار المعارف بالرياض.

١ - مجلة الحج، رجب ١٣٧٢هـ ومختصر ترجمة حال محمد سلطان، ص: ٥٩، وحبل الشرع المتين، ص: ١٥.

٢ - هو عبد الحكيم القندهاري الأفغاني فقيه حنفي ورع زاهد سكن دمشق وتوفي بها، عرف الناس علمه فأقبلوا على الأخذ عنه وكان يتفرغ للتدريس تطوعا ولا يقبل من أحد شيئا وإنما ياكل من عمل يده ولم يدخل في الوظائف الرسمية. له مؤلفات منها شرح الشاطبية وحاشيته على شرح البخاري وغير ذلك، ت ١٣٢٦هـ انظر: الأعلام للزركلي ٢٨٣/٣ والأعلام الشرقية ٣٢٤/١ وتاريخ علماء دمشق، ص: ٢٤ وأعلام دمشق ص: ١٦٤ وأعيان دمشق، ص: ٤٢٧.

٣ - مجلة الحج، رجب ١٣٢٧ و مختصر ترجمة حال محمد سلطان، ص: ٥٩، وحبل الشرع المتين، ص: ١٥.

١٣- الشيخ محمد أبو الخير[١] بن عابدين:

ذكره العلامة المعصومي أثناء سرده لمشايخه في دمشق وأثنى عليه وقال: «وممن صاحبته وانتفعت به الشيخ أبو الخير علاء الدين بن عابدين وقرأت عليه رسائل عديدة كرسالة الأوائل للعجلوني، واستفدت منه في كثير من المسائل وكتب لي بقلمه إجازة خاصة وعامة، وكان هذا في أواخر عهد السلطان عبد الحميد الثاني العثماني[٢].

١٤- يوسف النبهاني[٣]:

ذكره العلامة المعصومي ضمن العلماء الذين أخذ عنهم في بيروت وقال: «كانت لديه مكتبة قيمة مشتملة على كتب نفيسة فقرأت عليه[١]

---

١ – هو محمد بن أحمد بن عبد الغني أبو الخير المعروف كأسلافه بابن عابدين، فقيه حنفي من أعيان دمشق ولد وعاش بها وتولى الإفتاء ودفن بدمشق سنة ١٣٤٣هـ، الأعلام للزركلي ٢٢/٦ والأعلام الشرقية ٢٥٤/١ وتاريخ علماء دمشق، ص:٤٠٣.

٢ – مجلة الحج، رجب ١٣٧٢هـ. ومختصر ترجمة حال محمد سلطان، ص:٥٩.

٣ – هو يوسف بن اسماعيل بن يوسف النبهاني شاعر وأديب من رجال القضاء ولد ونشأ في شمال فلسطين وتعلم بالأزهر بمصر وهو صاحب كتاب جامع كرامات الأولياء ويعتبر من غلاة الصوفية، وقد رد عليه العلامة الألوسي في كتاب سماه «غاية الأماني في الرد على النبهاني» وقال عنه صاحب معجم الشيوخ «له كتب كثيرة خلط فيها الصالح بالطالح وحمل على أعلام الإسلام كابن تيمية وابن القيم حملات شعواء وتناول بمثلها الإمام الألوسي المفسر». الأعلام للزركلي ٢١٨/٨ والأعلام الشرقية ٦٠٠/٢ وانظر الدليل المشير، ص:٤٠١.

أجزاء من سنن الإمام النسائي وكذلك الأوائل العجلونية لتعارف طلبة العلم على قراءتها في ذلك العصر. فأجازني وكتب لي بيده أسانيده وشيوخه وناولنيها مع كثير من مؤلفاته المطبوعة، وكان صوفي المشرب كما هو المعروف المشهور.وقد غلب عليه مشرب ابن عربي الطائي فكان يظهر المحبة للرسول ﷺ حبا زائدا يؤدي إلى الغلو والتجاوز عن الحد المشروع[٢].

١٥- الشيخ عبد الرحمن الحوت[٣]:

---

١ – قراءته عليه لم تمنعه رحمه الله من كشف حاله والتحذير منه حيث حذر في كتابه «تمييز المحظوظين» ص:٢٥٣ من كتابه صلوات الثناء واصفا إياه بأنه من البدع المنكرة،وأن فيه المنكرات بل الأكاذيب والكفريات» وقال رحمه الله «واحترز أيها المؤمن من الصيغ المحدثة المبتدعة= =والأحزاب المؤقتة التي فيها المنكرات بل الأكاذيب والكفريات (كدلائل الخيرات) للجزولي و(صلوات الثناء) للنبهاني فإنها من البدع المنكرة لايحل لمن يؤمن بالله وبكتابه ورسالة رسوله محمد ﷺ وسنته أن يفعل ذلك أو يعتقد جوازه فإنه مما لم يأذن به الله ولا رسوله ولا أحد من أئمة المسلمين فالحذر الحذر». هكذا فلتكن الصراحة في الحق وعدم المداهنة والمواربة فيه.

٢ – مجلة الحج، رمضان ١٣٧٢هـ. ومختصر ترجمة حال محمد سلطان، ص: وتمييز المحظوظين، ص:١٢.

٣ – هو عبد الرحمن بن درويش الحوت البيروتي إمام وخطيب المسجد الجامع المنسوب إلى النبي يحيى عليه السلام، وكان يدرس فيه ويعظ الناس، قال عنه المعصومي الأستاذ الكامل والجهبذ العامل شيخنا الشيخ عبد الرحمن الحوت، كان أحسن من رأيته وصاحبته من علماء بيروت في آخر عهد السطان عبد الحميد العثماني، انظر مجلة الحج، رمضان ١٣٧٢هـ وترجمة حال محمد سلطان، ص:٦٠ وحبل الشرع المتين ص:١٦ ومقدمة تمييز المحظوظين، ص:١٢

ذكره العلامة المعصومي أثناء عرضه لمشايخه في بيروت وأثنى عليه وقال «قرأت عليه أجزاء من سنن ابن ماجه القزويني وكذا أجزاء من رياض الصالحين للنووي فأجازني وكتب لي بيده سند الإجازة[١]».

١٦- الشيخ عبد الرحمن الشربيني[٢] :

شيخ الأزهر في مصر، ذكره المعصومي في عدد من مؤلفاته وقال «وأخذت عنه»[٣].

١٧- الشيخ محمد بخيت المطيعي[٤] :

مفتي الديار المصرية، ذكره المعصومي وقال «قدمت القاهرة وأخذت عن الشيخ محمد بخيت المطيعي وصاحبته واستفدت منه وكنت أتذاكر معه في كثير من المباحث الأصولية والفروعية[٥]».

---

١ – مجلة الحج، رمضان ١٣٧٢هـ

٢ – هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشربيني شيخ الأزهر، فقيه شافعي أصولي له مؤلفات عديدة منها «تقرير على جمع الجوامع لابن السبكي» وكان ورعا زاهدا لم يتزلف لأحد، ت ١٣٢٦هـ، الأعلام للزركلي ٣/٣٣٤ والأعلام الشرقية ١/٣٢٧.

٣ – العقود الدرية السلطانية في ما ينسب إلى الأيام النيروزية، ص:٩.

٤ – هو الشيخ محمد بخيت بن حسن المطيعي، الحنفي مفتي الديار المصرية ومن كبار فقهائها له مؤلفات كثيرة منها إرشاد الأمة إلى أحكام أهل الذمة لزم بيته في آخر حياته يفتي ويفيد إلى أن توفي سنة ١٣٥٤هـ بالقاهرة. الأعلام ٦/٥٠ والأعلام الشرقية ٢/٤٩٧.

٥ – مجلة الحج، رمضان ١٣٧٢هـ. العقود الدرية السلطانية، ص:٩.

١٩-الشيخ إسماعيل حقي[١] :

من أكابر أهل العلم في تركيا في ذلك العهد،

ذكر العلامة المعصومي أنه أخذ عنه في مدينة اسطنبول أيام زيارته لها[٢].

٢٠- العلامة عبد الحي الكتاني[٣] :

المحدث الفقيه الأصولي محدث أهل المغرب، ذكره المعصومي وقال إنه التقى به مرتين إحداهما في موسم حج عام ١٣٢٤هـ والثانية في دمشق أثناء رحلته إلى الشام، قال المعصومي: «فاغتنمت صحبته وقرأت عليه الأوائل العجلونية، وقد أجازني إجازة عامة وكتب لي بيده سند الإجازة بسرد أسماء مشايخه ومن أخذ العلم عنه[٤].

كان هذا بيانا عن المشايخ الذين نص العلامة المعصومي في مؤلفاته على أنه أخذ عنهم العلم، وقد تقدم أنه أخذ عن مائة شيخ بطريقة إجمالية،

---

١ – هو الشيخ إسماعيل حقي عبد الله المناستري الرومي نزيل القسطنطينية كان يدرس العلم بمسجد السلطان فاتح، له مؤلفات كثيرة منها تلخيص الكلام في براهين عقائد الإسلام، ت١٣٣٠هـ انظر موسوعة أعلام القرن الرابع عشر ٨٦٨/٣ والأعلام الشرقية ٧٠/١. هدية العارفين٢٢٢/١ ودائرة المعارف التركية ٣٠٧/٢٠.

٢ – العقود الدرية، ص:٩.

٣ – هو العلامة المحدث محمد عبد الحي بن عبد الكبير الحسني المعروف بعبد الحي الكتاني عالم بالحديث ورجاله مغربي ولد وتعلم بفاس وله مؤلفات كثيرة من أشهرها فهرس الفهارس، ت١٣٨٢هـ، الأعلام ١٨٧/٦ وانظر مقدمة فهرس الفهارس، ص:٢ وانظر الدليل المشير، ص:١٤٨.

٤ – مجلة الحج، ذو الحجة ١٣٧١هـ.

ولكن الذين ذكر أنه درس عليهم وتلقى منهم العلم بطريقة واضحة موثقة هم الذين ذكرتهم.

ومن المعلوم أنه رحمه الله يعتبر رحالة، وقد زار بلادا كثيرة ومتباعدة والتقى بأكثر مشاهير أهل العلم في عصره واستفاد منهم وحاورهم وناقشهم واستفاد من مؤلفاتهم ومن أبرز هؤلاء العلامة المصلح محمد رشيد رضا حيث قال: «وممن عرفتهم وانتفعت بهم وبعلومهم الشيخ محمد رشيد رضا[١] وقد انتفعت بكتبه انتفاعا عظيما، وبما ينشره في مجلة المنار فجزاه الله خيرا»[٢]، حيث التقى به في أثناء رحلته فاستفاد منه وتزود منه بكتب وبمجلات المنار كما أنه في هذه الرحلة حصل في القاهرة على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وكتب الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب وغيرهم من علماء السنة رحمهم الله.

ومنهم الشيخ السيد منير عارف زاده[٣] حيث قال المعصومي: «وممن لاقيتهم وصاحبتهم في دمشق السيد عارف منير زاده وكان رئيس المحكمة

---

١ – هو العلامة الشيخ المصلح محمد رشيد بن علي رضا بن محمد الحسيني البغدادي الأصل صاحب مجلة المنار وأحد رجال الإصلاح الاسلامي، له مؤلفات كثيرة منها تفسير المنار ومن أشهر آثاره مجلة المنار، توفي بالقاهرة سنة ١٣٥٤هـ وقد أفردت سيرته بكتاب بعنوان: «محمد رشيد رضا ودوره في الحياة الفكرية والسياسية» للدكتور أحمد مهدي الشوابكه. الأعلام للزركلي ١٢٦/١ والأعلام الشرقية ١٠٧٥/٣.

٢ – مجلة الحج، رمضان ١٣٧٢هـ .

٣ – هو محمد عارف بن أحمد بن سعيد المنير الحسيني فاضل من فقهاء الشافعية له مؤلفات عديدة منها الحصون المنيعة في براءة عائشة الصديقة باتفاق أهل السنة والشيعة، توفي بدمشق سنة

ومدرسا بالجامع الأموي وكنا نتذاكر معه مذاكرات عديدة في مسائل دقيقة وهذا إبان رحلتنا إلى الشام[١].

ومنهم الشيخ علي كمال الحنفي المكي[٢] مفتي الأحناف بمكة المكرمة التقى به إبان رحلته الأولى إلى الحجاز واستفاد منه[٣].

١٣٤٢هـ، الأعلام للزركلي ١٨٠/٦ والأعلام الشرقية ٣٢٠/١ وتاريخ علماء دمشق ص: ٣٩٩ وأعلام دمشق ص: ١٥٩.

١ – مجلة الحج، رجب ١٣٧٢هـ.

٢ – هو العلامة الفقيه الحنفي المفتي في أيامه بمكة المكرمة، ت ١٣٣٥هـ. انظر سير وتراجم علماء مكة في القرن الرابع عشر، ص: ١٥٨، ومختصر النور والزهر، ص: ٣٧٢ وانظر نظم الدرر، ص: ٢٠١-٢٠٢.

٣ – انظر العقود الدرية السلطانية، ص: ٨.

المبحث الرابع

تدريسه وتلامذته

المطلب الأول: تدريسه

تقدم أن العلامة المعصومي برع في كثير من العلوم والمعارف المتداولة في عصره، ورغم أنه عاش فترة من عمره في حالة اضطراب وعدم استقرار وعدم أمن واطمئنان أدى به إلى كثرة التنقل والترحال بالإضافة الى جهوده في التأليف التي استغرقت الكثير من وقته.

إلا أنه مع ذلك كله كان له نصيب من التدريس في الحلقات العلمية وفي المدارس النظامية، يشير لهذا المعنى قوله: «اشتغلت بالمطالعة والتدريس والجمع والتأليف فبنى والدي رحمة الله تعالى عليه لأجلي مدرسة كبيرة عالية ذات غرف كثيرة وخصصنا غرفتين عظيمتين للمكتبة»[1].

وفي أيام إقامته بالصين في مدينة «غولجه»، قام بتدريس العلم والدعوة خير قيام، يقول -رحمه الله-: «والتمس أهالي تلك البلدة على اختلاف أجناسهم... أن أقرأ لهم تفسير القرآن الكريم وصحيح البخاري بالجامع الكبير المشهور، فقرأت وقررت ووعظتهم ونصحتهم فانتفع كثير منهم واهتدى جمع غفير ووفقوا لتصحيح العقيدة، عقيدة السلف الصالحين من أهل السنة والجماعة.

---

١ - مختصر ترجمة حال محمد سلطان ، ص: ٦١.

وأزيل كثير من البدع والرسوم الجاهلية، لأن للحق نور وصولة ولأهله صلابة وشوكة والحمد لله على ذلك[١].

وجاء في آخر عقد الجوهر الثمين بقلم نجله قوله: «أوصله الله -يعني والده- إلى البلد الأمين قبلة المسلمين، فبعد أن اطمأن فيها شرع في التدريس والوعظ والإرشاد والتأليف والتصنيف على الوجه الأتم الأكمل[٢].

ويذكر العلامة المعصومي أنه كان مدرسا بالمسجد الحرام وبمدرسة دار الحديث المكية[٣].

وورد بقلم تلميذه الأستاذ محمد حسن جنزي شنوي الصيني في أسئلته للعلامة المعصومي التي أجاب عليها كلها وصارت كتابا مطبوعا بعنوان: «أجوبة المسائل الثمان في السنة والبدعة والكفر والإيمان» بعض الأماكن التي درس بها بقوله: «المدرس بالمسجد الحرام ومدرسة دار الحديث المكية الخيرية[٤].

ثم إنه لما وصل إلى مكة المشرفة في شهر ذي القعدة سنة ١٣٥٣هـ عمل مدرسا في المسجد الحرام ودار الحديث المكية ثم دار الحديث المدنية»[٥].

قال المعصومي -رحمه الله-:

---

١ - حكم الله الواحد الصمد، ص: ٧٠.

٢ - عقد الجوهر، ص: ٢١٩.

٣ - حكم الله الواحد الصمد، ص: ١ وأجوبة المسائل الثمان، ص: ٢٦.

٤ - أجوبة المسائل الثمان، ص: ٢٢.

٥ - أجوبة المسائل الثمان، ص: ١٢ ومقدمة مفتاح الجنة، ص: ٥.

«وأقمت فيها ستة أشهر –يعني المدينة المنورة– مدرسا بمدرسة دار الحديث المدنية»[١].

و كان – رحمه الله – يقوم بالتدريس و بيان العقيدة الصحيحة في دروسه بالمسجد الحرام و المسجد النبوي الشريف و في مسجد ابن عباس بالطائف في أيام المصيف و ذلك بخمس لغات كان يجيدها و هي: العربية والفارسية و البخارية و التركية و الأردية بالإضافة إلى دروسه التي تذاع في الإذاعة السعودية[٢].

---

١ – المشاهدات المعصومية، ص:٨.

٢ – أنظر المذكرات الخاصة لعائشة المعصومي ص: ٩ و قد ذكرت أن والدها كان يقوم بالتدريس في بيته لأفراد أسرته بعد صلاة الفجر و بعد صلاة العصر حيث يقوم بتعليمهم القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة و ذلك حين يكون موجودا بالمنزل.

المطلب الثاني: تلامذته

لقد كان الشيخ المعصومي رحمه الله كثير التجوال في العالم ولذلك فإن تلامذته الذين أخذوا عنه تصعب معرفة الكثير منهم، لبعد المسافة بين تلك البلاد ومقر إقامته الأخير في مكة الذي صار هو موطنه الأخير الذي توفي فيه رحمه الله، ولاشك أن شهرته العلمية وتواضعه ومقامه الطويل بالبلد الأمين، كل ذلك من أسباب توجه الطلبة إليه وأخذهم عنه، ولاسيما أنه درس بالمسجد الحرام ودار الحديث الخيرية بمكة المكرمة، بالإضافة إلى تدريسه في دار الحديث المدنية، ورغم ذلك كله فإن المصرح بأخذه عنه عدد غير كثير وهم:

١ – الشيخ محمد أمين قاضي مخدوم:

ولد رحمه الله في سنة ١٣٠٩هـ وتربى في حجر والده ورحل به والده إلى الحجاز وأقام في المدينة المنورة، ثم انتقل إلى مكة المكرمة وجاور بها وتتلمذ على عدد من علمائها ومن أبرزهم العلامة محمد سلطان المعصومي رحمه الله حيث تلقى عليه علوما ومعارف إسلامية ولازمه، وذلك نظرا لأنه من أهل بلده، وظل يزاول دراسته عليه وعلى غيره من علماء البلد الأمين حتى حاز نصيبا وافرا من العلم حتى تم تعيينه من طرف فضيلة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة مدرسا بالمسجد الحرام، وذلك عام ١٣٧٢هـ، له مؤلفات من أشهرها كتاب «الردود اللامعة على البوتي ومن شايعه» وقد دافع في

هذا الكتاب عن شيخه المعصومي، ورُد على البوتي في نقده للشيخ المعصومي في موقفه من مسألة نداء الأموات» توفي -رحمه الله- سنة ١٣٨٩هـ في مكة، وصلي عليه في الحرم المكي[1].

٢ – الشيخ محمد بن عبد الله الصومالي، رحمه الله:

المدرس في المسجد الحرام منذ عام ١٣٧٢هـ إلى عام ١٤٠٠هـ تقريبا، قال رحمه الله بعد أن سرد عددا من شيوخه، قال: « وقرأت التفسير على الشيخ محمد سلطان المعصومي من بلاد بخارى، وبعد فترة من التدريس في المسجد الحرام، اعتزل العمل وجلس في بيته»، وقد أثنى على شيخه المعصومي بقوله: «كان من أهل السنة يقول الحق ولا يخاف في الله لومة لائم»[2]، وقد توفي -رحمه الله- في الليلة الرابعة من شهر رمضان من عام ١٤٢٠هـ[3].

٣ – الشيخ علي بن محمد بن عبد العزيز الهندي:

المدرس بالمسجد الحرام، ولد بحائل عام ١٣٣٠هـ وقرأ القرآن وحفظه على الشيخ عبد الظاهر أبو السمح، وقرأ التفسير والحديث على الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، وقرأ الفقه وأصوله والعقيدة على

---

١ – انظر: جهود بعض علماء البلد الحرام في تقرير العقيدة السلفية رسالة ماجستير قدمها عبد المحسن الحربي في قسم العقيدة بجامعة أم القرى، ص: ٤٣٥.

٢ – مقابلة أجريتها مع الشيخ محمد عبد الله الصومالي قبل وفاته رحمه الله في منزله بمكة المكرمة قرب المسجد الحرام في الشهر العاشر من عام ١٤١٩هـ.

٣ – انظر: جريدة البلاد، بتاريخ ١٤٢٠/٩/٦هـ.

عدة مشايخ من علماء البلد الحرام، وقد أخذ عن الشيخ المعصومي أثناء دراسته بدار الحديث الخيرية، كما حدثني بذلك الشيخ محمد الطيب اليوسف رئيس محكمة القضاء بمدينة الطائف سابقا[١].

٤ – الشيخ محمد الطيب اليوسف:

رئيس المحكمة الكبرى بالطائف المولود سنة ١٣٣٧هـ ذكر في ترجمته حفظه الله أنه درس على العالم العلامة الشيخ محمد سلطان المعصومي موطأ الإمام مالك رواية ودراية وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي[٢]، وأخبرني أن الشيخ المعصومي كان من المشايخ الفضلاء الذين تلقى العلم على أيديهم في البلد الحرام وقال: كان من أهل السنة ومحاربة البدعة في زمن فشت فيه البدع وانتشرت فيه الخرافات فتصدى لها في كثير من البلاد التي زارها[٣].

---

١ – مقابلة أجريتها مع الشيخ محمد الطيب اليوسف في منزله بالطائف في الشهر الحادي عشر من عام ١٤٢٠هـ، وانظر ترجمته في كتاب زهر الحمائل في تراجم علماء حائل للشيخ علي الهندي رحمه الله، وانظر جريدة البلاد، بتاريخ ١٣٨٠/٢/٥هـ بقلم عمر عبد الجبار.

٢ – ترجمة الشيخ محمد الطيب اليوسف، بقلمه مخطوطة،عندي صورة منها اهداها لي حفظه الله بمنزله في الطائف.

٣ – مقابلة أجريتها مع الشيخ الطيب اليوسف في منزله بالطائف في الشهر الحادي عشر من عام ١٤٢٠هـ ولديه مكتبة قيمة تعتبر من أبرز معالم الطائف الثقافية يرتادها طلاب العلم للإستفادة منها.

٥ – الشيخ عبد القادر بن ابراهيم التركستاني:

المدرس بالمسجد الحرام، وهو يعد من أبرز تلاميذ الشيخ المعصومي رحمه الله.

حيث تولى التدريس بالمسجد الحرام عام ١٤٠٥هـ ثم أعفي بسبب مرض قلبي، وقد قابلته في منزله بمكة المكرمة وقد تجاوز عمره خمسا وثمانين سنة، له مؤلفات أهداني عددا منها، ومن أهم مؤلفاته ترجمة قام بها لمائة مسألة من كتاب حبل الشرع المتين لشيخه المعصومي إلى اللغة التركية، وقام بطباعته وتوزيعه على المسلمين للإستفادة منه[١].

٦ – الشيخ محمد أحمد أمين أحمد:

إمام وخطيب مسجد معالي الشيخ عبد الله بن عمار بجدة وقد قابلته وتحدثت معه، وقال «قرأت على الشيخ محمد سلطان المعصومي في آخر حياته، وأنا إذ ذاك ابن ست عشرة سنة، وكنت أقرأ عليه في المسجد الحرام صحيح البخاري وتفسير ابن كثير، والجواب الكافي فاستفدت منه فائدة عظيمة»[٢].

٧ – الشيخ حافظ برهان:

المدرس بالمسجد الحرام حاليا.

---

١ – مقابلة أجريتها معه في منزله بمكة المكرمة من عام ١٤٢٠هـ من الشهر العاشر.

٢ – مقابلة أجريتها معه في مسجده بجدة من عام ١٤١٩هـ في الشهر السابع منها.

ذكر لي أنه كان يحضر دروس الشيخ المعصومي في حلقته بالمسجد الحرام، وأنه استفاد منه كثيرا ودرس عليه عدة فنون[1].

كان هذا بيانا عن تلاميذ العلامة المعصومي رحمه الله الذين درسوا عليه بالبلد الأمين وتم الوقوف على أخذهم عنه وتلمذتهم عليه، ونظرا لأنه كثير الترحال فربما أخذ عنه جم غفير من الطلاب ولم يدون ذلك في المراجع والمصادر المتوفرة، أو دون ولكنني لم أقف عليها، مع أنني بذلت في ذلك جهدا غير هين.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

١ – مقابلة أجريتها معه في المسجد الحرام سنة ١٤٢١هـ في شهر محرم.

المبحث الخامس

مكانته العلمية وثناء أهل العلم عليه

المطلب الأول: مكانته العلمية

إن الدارس للحياة العلمية عند العلامة المعصومي رحمه الله يتبين له بجلاء مدى ما وصل إليه مستواه العلمي من درجة عالية من خلال اطلاعه الواسع على المكتبة الاسلامية وتدوينه للعلوم والمعارف المختلفة مما جعله في الطبقة الأولى من علماء زمانه، والواقع أنه رحمه الله ظل يزاول دراسته ويواصل جهوده العلمية الناجحة حتى علت مكانته ورسخت قدمه في العلوم المتداولة في عصره[1] وأصبح من أعلام العلماء المحققين، حيث آتاه الله بسطة في العلم ومنحه دقة في الفهم حتى حاز قصبات السبق في علوم كثيرة متنوعة وهو ما يزال حينذاك في إبان شبابه، يقول -رحمه الله-: «ولكني لما حصلت العلوم والفنون بحول الله وقوته وهدايته، وحصلت ملكة المطالعة وحزت ختم الكتب المتعارف هناك، وكان عمري إذ ذاك ثلاثا وعشرين سنة ظهر لي خطأ بعض المؤلفين وتعصبهم على ما عليه ائتلفوا[2]».

والمطالع في مؤلفاته القيمة العديدة يلمس شخصية العلماء الصالحين ويستطيع أن يقرر أنه كان بحرا زاخرا بالعلوم والمعارف الإسلامية المنقحة من شوائب

---

١ – انظر: حكم الله الواحد الصمد، الترجمة، ص: ٤٨، ٦١ وما بعدها.

٢ – المصدر السابق نفسه، ص: ٥١.

البدعة[1]، مع ما عرف عنه من قوة وجرأة وشجاعة في بيان الحق حيث كان، لايخشى في بيانه لومة لائم، ولايبالي بما يصيبه في سبيل الله[2] شأن الذين أخلصوا دينهم لله وآثروا مرضاته على مرضاة الناس، وهذا أمر معروف عنه لدى الكثيرين من الباحثين والعلماء، خاصة المهتمين بالعقيدة السلفية.

وهو فوق ذلك كله ذو نظرة شاملة لدين الله وفهم عميق لجذور البلاء ومكامن الخطر فيصرف الدواء على بصيرة من تشخيص الداء، ويعطي كل قضية حجمها من دين الله، فلا يبالغ في ما خطبه يسير ولا يهون من شأن أمر خطير والاتصاف بهذه الشمولية وبهذا التوازن في التعامل مع قضايا هذا الدين صفة العلماء الراسخين في العلم، والله أعلم.

يقول رحمه الله في حديثه عن مكتبته التي جمعها في بلاده بعد رحلاته في العالم «جمعت ثمانية آلاف مجلد، منها كثير من الكتب النادرة الخطية، وكان شأني الانهماك في المطالعة وعلى الخصوص مطالعة كتب شيخ الاسلام بن تيمية وابن القيم ومحققي العلماء كابن الهمام[3] وابن عبد البر ومجلات المنار فانتشر العلم وحصل بذلك التجديد، وشاع فكر الإصلاح الديني وعرف من هداه الله مضار البدع والخرافات ومفاسدها فتبعنا كثير من الناس على

---

[1] – انظر المصدر السابق نفسه، ص: ٥٦–٥٧، ٧٣، ٦٣، ٦١.

[2] – انظر المصدر السابق نفسه، ص: ٢، ٥٢، ٦٦ وما يليها.

[3] – محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد المعروف بابن الهمام إمام من علماء الحنفية عاف بأصول الديانات و التفسير و الفقه ولد بلأسكندرية، من كتبه فتح القدير ولد (٧٩٠–٨٦١) توفي بالقاهرة، الأعلام ٦/٢٥٥.

هذا المنوال وعينت مفتيا من سنة ١٣٢٨هـ فكنت صدرا في المحاكم الشرعية[١].

وقد ذكر رحمه الله أسانيده العديدة وقال: «أروي كتاب الله الكريم قراءة السبع المشهورة لكن أقتصر هنا على سند عاصم بن أبي النجود من رواية حفص للاختصار عن شيخي الشيخ عبد الجليل بن عبد السلام براده، وكذلك عن شيخي الشيخ محمد صالح بن صديق كمال المكي، وعن شيخي الشيخ شعيب بن عبد الرحمن الدكالي، ثم سرد سنده إلى النبيﷺ.

وكذلك سنده في رواية صحيح البخاري قراءة وإجازة فيرويه عن شيخه الشيخ محمد سعيد بابصيل المكي، وعن شيخه الشيخ محمد صالح كمال، وعن شيخه الشيخ محمد عارف، ثم ساق سنده رحمه الله إلى الإمام البخاري، وأما صحيح مسلم فيرويه بالسند السابق الى الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني إلى الحافظ مسلم بن الحجاج النيسابوري، وأما أسانيده إلى الأئمة الأربعة، فهو مذكور مفصل في ثبته المسمى الدر المصون في أسانيد علماء الربع المسكون»[٢].

---

١ – حكم الله الواحد الصمد، الترجمة، ص:٦٣،٦١ بتصرف.

٢ – حبل الشرع المتين، ص: ٢١–٢٣.

المطلب الثاني: ثناء أهل العلم عليه

تقدم بيان المكانة العلمية الرفيعة التي كان يتمتع بها العلامة المعصومي -رحمه الله- والتي تستحق الثناء الكثير من العلماء، ورغم ذلك فإنني لم أقف على نصوص كثيرة في الثناء عليه ولعل ذلك يعود إلى أمرين:

الأمر الأول: أنه كان من العلماء البارزين المعادين للبدعة وأهلها الناقدين من انحرف عن الجادة والمحجة البيضاء كائنا من كان، والكثير من أهل العلم في عصره لايكاد يسلم من تأثير المبتدعة ومناهجهم الشيء الذي يجعلهم غير راغبين في الثناء على من يرد على المبتدعة، ويظهر زيف ما عندهم من مناهج ومعتقدات.

الأمر الثاني: أنه عاش في عصر متأخر جدا ومن المعلوم أن الكثير من الأقران قلما يسلم من نزعة حسد قد تحول دون إظهار الثناء والتأييد لمعاصريه كما لايخفى، ولم يأت بعد وفاته زمن طويل يكفي لظهور علماء كثيرين، مؤيدين له ولمنهجه السلفي ومظهرين للثناء عليه بقدر كبير يتناسب مع مكانته العلمية العالية.

وعلى أي حال فقد أثنى عليه وعلى مؤلفاته جماعة من أهل العلم وصفوه بصفات حميدة وقد أثنى عليه العلامة المحدث أحمد محمد شاكر[1]

---

١ - هو العلامة المحدث أحمد محمد شاكر عالم بالحديث والتفسير له مؤلفات كثيرة أشهرها شرح مسند الإمام أحمد بن حنبل وعمدة التفسير ولم يخلفه مثله في علم الحديث بمصر توفي رحمه الله ١٣٧٧هـ كتاب الأعلام ٢٥٣/١.

وذكر بعض مؤلفاته ووصفه بصفات حميدة، وقال فيه «الشيخ محمد سلطان المعصومي الخجندي حفظه الله عالم فاضل من إخواننا علماء الحجاز السلفيين»[١].

وجاء في رسالة وجهت إليه من الشيخ ابراهيم الفرغاني باسم بعض طلاب العلم في الهند ما نصه: «نرفع إلى خدمة الأستاذ العلامة والحبر البحر الفهامة فقيه العصر ومحقق الدهر إمام المجاهدين وصدر المهاجرين الذي فدى في الله نفسه وأهله ونفيسه، وقال الحق غير خائف من لوم اللائم أعني أبا عبد الكريم محمد سلطان المعصومي الخجندي الحنفي سلمه الله تعالى ورعاه من كل سوء ومكروه وقاه»[٢]. وأثنى عليه وعلى مؤلفاته العلامة الجليل الشيخ عبد الخبير الطورفاني وقال في أثناء تقريظه لكتابه: «أجوبة المسائل الثمان في السنة والبدعة والكفر والإيمان» «حضرة العلامة الكبير والأخ في الله السلفي الخبير الشيخ محمد سلطان المعصومي المدرس بالمسجد الحرام ومدرسة الحديث بمكة المكرمة، كما كان سابقا مدرسا بمدرسة دار الحديث بالمدينة أيضا[٣]. وأثنى عليه وعلى كتابه «حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد» الشيخ العلامة محمد عبد الرزاق حمزة[٤]

١ – كلمة الحق، ص: ٢٧٦ تقديم عبد السلام محمد هارون، مكتبة رياض الجنة.

٢ – حكم الله الواحد الصمد، ص: ٢.

٣ – أجوبة المسائل الثمان، ص: ١٨.

٤ – هو الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة كان مدرسا بالحرم المكي، ولد بمصر وتعلم بالأزهر طلبه الملك عبد العزيز لتدريس العلم في الحرم المكي ومن الذين أسسوا دار الحديث الخيرية=

المدرس بالمسجد الحرام ودار الحديث، والذي كان معاصرا للشيخ المعصومي رحمه الله، وقال: «كان جديرا بالثناء والتشجيع أكثر الله من أمثاله الدعاة إلى الله المنكرين لبدع أهل الضلال وبارك في رسالته وضاعف أجره عليها آمين»[1].

وقرظ الشيخ محمد عبد الظاهر أبو السمح[2] إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة ومدير دار الحديث بعض كتب العلامة المعصومي كمفتاح الجنة، والبرهان الساطع في تبرئ المتبوع من التابع، ووصفه بالعلامة[3].

وذكره الشيخ محمد نصيف[4] رحمه الله وجيه جدة في أيامه وقال: «وكان -رحمه الله- صريحا يصدع بالحق ولايخاف في الله لومة لائم»[1].

=وهو أول مدرس بها توفي رحمه الله ١٣٩٢هـ. انظر: نثر الدرر في ذيل نظم الدرر في تراجم علماء مكة من القرن الثالث عشر إلى القرن الرابع عشر، عبد الله بن غازي المكي المتوفى سنة ١٣٧٠هـ ص: ٦٥ مخطوط شخصي عندي نسخة منه.

١ - حكم الله الواحد الصمد، ص: ٤٠.

٢ - هو الشيخ محمد عبد الظاهر أبو السمح، ولد بمصر وتعلم بالأزهر طلبه الملك عبد العزيز رحمه الله وعينه إماما وخطيبا للمسجد الحرام بواسطة الشيخ محمد رشيد رضا وأسسا دار الحديث الخيرية وهو أول مدير لها وأحد العلماء السلفيين في البلد الحرام توفي رحمه الله ١٣٧٠هـ. انظر نثر الدرر ص: ٥١.

٣ - البرهان الساطع، ص: ٥ ومفتاح الجنة، ص: ٨٧.

٤ - هو الشيخ محمد حسين نصيف وجيه جدة في أيامه له مكتبة عظيمة وقد اعتنى بنشر الكتب السلفية وتوزيعها، وكان ملتقى العلماء والأدباء من كل مكان، توفي رحمه الله ١٣٩١هـ. الأعلام ١٠٩/٦.

وأثنى عليه محمد عيد عباسي أثناء رده على فرية الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في إنكاره لوجود شخصية العلامة المعصومي بقوله: «إن المعصومي رحمه الله شخصية حقيقية لاخيالية، وقد كان مدرسا بالمسجد الحرام بمكة المكرمة، واجتمع به شيخنا[٢] منذ عشرين سنة تقريبا فيها وهو عالم سلفي فاضل»[٣].

والواقع أن العلامة المعصومي رحمه الله يعتبر أحد العلماء البارزين المحققين في عصره وهو أمر اتفقت عليه كلمة كل من قابلتهم ممن عاصروه أو درسوا حياته وسيرته العلمية العطرة، أو طالعوا في مؤلفاته، وفي هذا الصدد فقد قابلت بعض المشاهير الذين التقوا به وجالسوه وعرفوا مكانته العلمية ومنهجه السلفي، ومن الذين قابلتهم واستفدت منهم في هذا الموضوع الشيخ عثمان الصالح[٤] الأديب المشهور في منزله بمدينة الرياض في٢٠/١١/١٤١٨هـ وحدثني عنه وعن سيرته باسهاب وأثنى عليه كثيرا وقال: «التقيت به عدة مرات في مجالس العلم، وكان عالما شهما متواضعا ناشرا للحديث والفضيلة

---

١ – نشرت رسالة الشيخ محمد نصيف هذه في كتاب «المذهبية المتعصبة هي البدعة أو بدعة التعصب المذهبي» بقلم محمد عيد عباسي، ص: ٢٧٦.

٢ – يعني بذلك شيخه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، رحمه الله.

٣ – بدعة التعصب المذهبي، ص: ٢٧٥.

٤ – هو الأديب الشيخ عثمان الصالح المعمر، منزله ملقى للأدباء والمفكرين وتعقد في بيته جلسة أدبية تجمع أهل الأدب والثقافة والفكر. انظر ترجمته في مجلة المنهل، صفر ١٣٩٠هـ بقلم عبد الله رشيد.

وقائما بالوعظ والدعوة، وإذا تناول الكلام تحدث بسلاسة وطلاقة يصر على منهجه العلمي ويتشبث بمبدئه السلفي، ويدعو إليه بقوة، وقد رزقه الله سبحانه وتعالى الهيبة، لما يتمتع به من إصرار على بيان الحق بصدق وإخلاص،الشيء الذي كساه ثوبا من الإحترام عند العارفين به،وكان رحمه الله فضلا عن هذا كله سلفيا يحب السلفيين وينأى بنفسه عن سفاسف الآراء الجائرة المنحرفة وقد حذا المعصومي في ذلك حذو شيخ الاسلام ابن تيمية والإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي،لهذا كله أحبه جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله، وقربه إليه وأمر بطبع كتبه[1]. والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء الطريق.

---

١ – مقابلة أجريتها مع الشيخ عثمان الصالح في منزله بالرياض بتاريخ ١٤١٨/١١/٢٠هـ.

الفصل الرابع :

مؤلفاته وآثاره العلمية

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: مؤلفاته المنشورة

المبحث الثاني: مؤلفاته غير المنشورة

المبحث الثالث: مقالاته المنشورة

المبحث الأول:

مؤلفـــــــاته

يعد المعصومي رحمه الله ضمن العلماء المكثرين من التآليف فقد ألف في مجالات متعددة من العلوم وقد انتشرت مؤلفاته وتعددت طبعات كثير منها، فقد ترك لنا رحمه الله ثروة نفيسة غالية من المصنفات بلغت أكثر من ستة وثمانين كتابا بالإضافة إلى مقالاته الكثيرة في مجلة الحج، وسنتناول في هذا المبحث بيانا لما تم نشره من هذه المؤلفات وفيما يلي ذلك:

١ - حبل الشرع المتين وعروة الدين المبين:

وقد صنف هذا الكتاب في أول حياته في مدينة خجندة بعد رحلاته إلى كثير من البلاد، ويقع في أربعمائة صفحة، وقد قسم المؤلف الكلام فيه على مسائل في أصول الدين وفروعه. ونظرا لأن هذا الكتاب ألفه المعصومي في أول حياته قبل معرفته الكاملة بمذهب السلف واعتناقه له فقد ظهر فيه بعض التأثر بمناهج المتكلمين(١)، وقد طبع هذا الكتاب عام ١٣٧٥هـ بالمطبعة السلفية بمصر.

٢ - حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد: ألفه رحمه الله في الهند، وهو عبارة عن جواب لاستفتاء بعض طلبة العلم

---

١ - مثال ذلك قوله إن النظر في معرفة الله عز وجل واجب وهو أول ما يجب على المكلف، ص:٢٨ ثم رجع عن ذلك في كتابه مفتاح الجنة لاإله إلا الله، ص:٤٣ حيث قال: «ولاشك أن أول ما فرض الله تعالى على عباده الإيمان بالله والكفر بالطاغوت».

المقيمين هناك عن حكم رسالتين لرجل يسمى محمود خان الطرازي، وقد أجاز مؤلف هاتين الرسالتين الإستمداد من أرواح الأموات والحلف بغير الله، فأجاب رحمه الله جوابا كافيا شافيا وافيا، وهو مطبوع طبعتين، الطبعة الأولى بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر عام ١٣٥٦هـ واشترى منها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله ألف نسخة ووزعها على المسلمين، وتقع في أربع وأربعين صفحة.

والطبعة الثانية اعتنى بها وخرج أحاديثها الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس، وطبعت بدار العاصمة سنة ١٤١٤هـ بالرياض وتقع في سبع وسبعين صفحة.

٣- تمييز المحظوظين عن المحرومين في تجريد الدين وتوحيد المرسلين:

وهو تفسير لآيات الخطابات الإلهية المصدرة بيا أيها الناس ويا أيها الذين آمنوا، ذكر فيه الأحاديث التي تحث على فهم الكتاب والسنة وتدبر معانيهما وفق منهج السلف، وما درج عليه أئمة السنة والجماعة، وذكر فيه أمورا كثيرة مما مر عليه من المسائل، وتوجيهات علمية مفيدة وتنبيهات عملية، وقد طبع طبعتين الأولى على نفقة المؤلف عام ١٣٦٨هـ بمطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، والطبعة الثانية بتحقيق وتعليق علي حسن عبد الحميد، وقد طبعت في دار ابن

الجوزي في الدمام عام ١٤١٢هـ وتقع في ست وثمانين وثلاثمائة صفحة.

٤ – المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية:

وهو عبارة عن مشاهداته لسنوات عديدة بالمدينة المنورة ورأى فيها مخالفات وانحرافات كثيرة تقع عند قبر النبي عليه الصلاة والسلام فذكرها وبين وجه المخالفة فيها، ورد عليها وأبان الحق وفق السنة في ذلك، وقد طبعت طبعات عديدة الأولى منها كانت في حياة المؤلف سنة ١٣٦٨هـ بمطبعة مصفى الحلبي بمصر، وطبعت طبعة حجرية في باكستان، وطبعت على نفقة الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، وتم نشرها وتوزيعها وطبعت أخيرا بتحقيق الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس بدار العاصمة بالرياض وتقع في ست وثمانين صفحة.

٥ – هدية السلطان إلى مسلمي بلاد اليابان:

وهو كتاب جيد رد فيه على أصحاب التعصب المذهبي والتقليد الأعمى، وبين الحق فيما يجب على المسلم أن يدين الله عز وجل به، وكان سبب تأليفه سؤال ورد إليه من مسلمي اليابان وهو: ما حقيقة دين الإسلام، ثم ما معنى المذهب، وهل يلزم من تشرف بدين الإسلام أن يتمذهب على أحد المذاهب الأربعة المشهورة أو لايلزم؟

فأجاب الشيخ رحمه الله في هذه الرسالة إجابة علمية بين فيها شؤم التقليد والمقلدين، وأن الواجب على المسلم اتباع الكتاب والسنة

كما أبان المنزلة العالية للأئمة الأربعة رحمهم الله وأنهم سائرون على هدي السلف الصالح، وقد وصف ابنه عبد الرحمن الأكبر هذه الرسالة بأنها رسالة بديعة لم ينسج على منوالها ناسج[1].

وقد طبعت هذه الرسالة في حياة مؤلفها سنة ١٣٦٨هـ بمطبعة مصطفى الحلبي في مصر، وطبعت طبعات أخرى بغير هذا الإسم بعنوان: «هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين من هذه المذاهب الأربعة؟» منها طبعة الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، وطبعت بعناية الأستاذ محمد عيد عباسي عام ١٣٩٨هـ وقد ترجم هذا الكتاب نظرا لأهميته إلى اللغة الإنجليزية وطبع بلندن في بريطانيا عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م في دار الهداية للطباعة و التوزيع.

٦ – مفتاح الجنة لاإله إلا الله أو مفتاح دار السلام:

وقد ذكر فيه معنى لاإله إلا الله وشرحها شرحا وافيا وبين شروطها وما ينافيها، وهو كتاب جيد جمع فيه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما فرق في مواضع كثيرة، وقد طبع مرتين الأولى في حياة المؤلف عام ١٣٦٥هـ واشترى منه جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله ألف نسخة وأمر بتوزيعها على المسلمين، ثم بعد ذلك اشترى منه جلالة الملك سعود ألف نسخة وأمر بتوزيعها أيضا. وأما الطبعة الثانية

---

١ – انظر: عقد الجوهر الثمين، ص: ٢٢٣.

فقد طبعت بالمكتبة الاسلامية في عمان عام ١٤٠٨هـ بعناية وتحقيق علي حسن عبد الحميد وتقع في تسعين صفحة.

٧ - أوضح البرهان في تفسير أم القرآن:

ألفه -رحمه الله- في مكة المكرمة وهو عبارة عن تفسير شامل لسورة الفاتحة، ذكر فضلها ومعناها وقرر فيه أنواع التوحيد وحكم الإستغاثة بالأموات والبناء على القبور وختمه ببيان صفات المؤمنين وصفات أهل الضلال، وقد طبع على نفقة الملك عبد العزيز رحمه الله بالمطبعة الحكومية سنة ١٣٥٧هـ ويقع في ثلاثة عشر وأربعمائة صفحة.

٨ - البرهان الساطع في تبرؤ المتبوع من التابع:

قال عنه نجل المعصومي عبد الرحمن: «هو كتاب لانظير له في تحقيق مذاهب الأئمة الأربعة، وغلو المنتسبين إليهم ونسبتهم إليهم كثيرا من المسائل التي هم بريئون منها، وعلى الخصوص متأخري غلاة الأحناف»[١].

وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٣٦٥هـ في مصر ثم طبع بمطبعة دار الراية بالرياض بعناية عبد الملك شاكر سنة ١٤١٢هـ ويقع في ثمان وتسعين صفحة.

---

١ - عقد الجوهر الثمين، ص: ٢٢٢

٩ - أجوبة المسائل الثمان في السنة والبدعة والكفر والإيمان:

وقد أجاب فيها على ثمانية أسئلة وجهها إليه تلميذه حسن جنزي شأن، واحتوى هذا الكتاب على مسائل مهمة تفيد عموم الأمة بأدلتها من الكتاب والسنة وفق منهج سلف هذه الأمة، وقد طبع هذا الكتاب على نفقة تلميذه محمد حسن جنزي الصيني المدرس بالمسجد الحرام عام ١٣٧٩هـ في مصر بالمطبعة السلفية، وطبع مرة أخرى بتحقيق علي حسن عبد الحميد بدار الراية بالرياض سنة ١٤١٧هـ ويقع في مائة وإحدى عشرة صفحة.

١٠- العقود الدرية السلطانية في ما ينسب إلى الأيام النيروزية:

ذكر فيه حكم الإحتفال بأعياد النيروز وبين معنى النيروز وقصته وأنواعه وعقد فيه فصلا جديدا للعيدين الشرعيين للمسلمين وذلك لما رأى في بلاده من البدع والمنكرات التي تقام في أيام النيروز، بالإضافة إلى أن النيروز نفسه عيد المجوس لاصلة له بالإسلام وقد ألف هذا الكتاب في عام ١٣٢٦هـ، كما أشار لذلك بقوله: «ووافق الفراغ من جمعها في وقت العصر في يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر صفر سنة ١٣٢٦هـ»[1] وقد طبع مرتين، مرة في حياة المؤلف سنة ١٣٢٨هـ ويقع في ثلاثين صفحة، في دار الكتب العربية الكبرى بمصر، وتوجد منه نسخة في مكتبة مكة المكرمة القريبة من الحرم وهي نسخة بالية

١ - انظر: العقود الدرية، ص:٨٣.

قديمة، وطبع مـرة أخـرى في دار ابـن حـزم بـبيروت عـام (١٤١٨هـ) بتحقيـق محمـد خـير رمضـان يوسـف، ويقـع في إحـدى عشـر ومائـة صفحة.

١١ – مختصر ترجمة حال محمد سلطان المعصومي:

وهي ترجمة ترجم بها المؤلـف لنفسـه في سـنة ١٣٥٥هـ وطبعـت ملحقة بكتابه حكم الله الواحد الصمد، وهي في الأصـل مقدمـة لكتـاب أوضح البرهان في تفسير أم القرآن، ذكر فيها بيان حاله وكيفية أطـواره وأدواره ونبذا من الوقائع التي حصلت له في بلاد التركستان[1] وما وراء النهر وبعض ما حصل له في رحلاته[2].

١٢ – تنبيه النبلاء من العلماء إلى قول حامد الفقي أن الملائكة غير عقلاء:

وقد رد فيه على الشيخ حامد الفقي وبين القـول الصـحيح في هـذه المسألة، وهو وجوب اعتقاد أن الملائكة عقلاء، وقد عرض هذا الكتـاب على رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشـيخ فأيـده علـى مـا فيه، وطبع عـام ١٣٧٤هـ بالمطبعـة السـلفية بمصـر ملحـق بـه رسـالة أخرى بعنوان: «الرد الوفي على تعليقات حامد الفقي» وذلك على نفقـة المؤلف رحمه الله[3].

---

١ – هم إسم جامع لجميع بلاد الترك المعجم ٢٣/٢

٢ – انظر: عقد الجوهر الثمين، ص: ٢٢١ وحكم الله الواحد الصمد، ص: ٢٥ وتمييز المحظوظين، ص: ١٦٠-١٦٦، ٣١٧

٣ – عقد الجوهر الثمين، ص: ٢٢٣

١٣ – القول السديد في تفسير سورة الحديد:

ألفه –رحمه الله– في بلاد أقصو من بلاد التركستان الشرقية وهو باللغة التركية الأزبكية في عام ١٣٥٢هـ، وطبع بالمطبعة السلفية في مصر سنة ١٣٧٥هـ[١].

١٤ – تحفة الأبرار في بيان فضائل سيد الاستغفار:

وهي منظومة باللغة التركية، نظمها رحمه الله في بلاد غولجة من بلاد التركستان الشرقية وطبعها في مطبعة الحكومة الصينية سنة ١٣٥٠هـ ووزع منها ألفي نسخة[٢].

١٥ – تحفة الخواص في تفسير معاني آية الكرسي والمعوذتين والإخلاص:

ألفها جوابا لسؤال من مسلمي بلاد الشرق الأقصى، وهي باللغة الأزبكية حذا فيها حذو تفسير شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس بن تيمية لهذه الآيات، وقد طبع بالمطبعة السلفية عام ١٣٧٥هـ[٣].

١٦ – تحفة السلطان في وتر رمضان:

ألفها حينما شاهد ما في المسجد الحرام من خلاف واختلاف بين الأحناف في صلاة الوتر من رمضان وتفرقهم تفرقا شديدا، هل تصلى

---

١ – انظر: عقد الجوهر الثمين، ص: ٢٢١

٢ – عقد الجوهر الثمين، ص: ٢٢١.

٣ – انظر: عقد الجوهر الثمين، ص: ٢٢٣.

بتسليم واحد أم لابد من الفصل بينهما بسلامين فبين الشيخ أن كلا الصورتين صحيحة، وذكر الأدلة من السنة للصورتين.

وقد ترجم إلى اللغة الفارسية واللغة التركية وطبعه جلالة الملك عبد العزيز -رحمه الله- عام ١٣٥٧هـ بالمطبعة الحكومية بمكة المكرمة وتوجد نسخة منه في مكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم ٢ و ٢١٦/م م ر[1].

١٧ - إجابة السلطان في ترجمة معنى الفاتحة أم القرآن:

ألفها رحمه الله حينما قدم إلى الهند عام ١٣٥٣هـ باللغة التركية وقد بين فيها معاني الفاتحة وحقيقة التوحيد، وبعد أن قدم إلى مكة المكرمة طبعها في مطبعة مصطفى البابي الحلبي في عام ١٣٥٦هـ وتوجد نسخة منه عندي[2].

---

١ - عقد الجوهر الثمين، ص: ٢٢٢.

٢ - انظر: عقد الجوهر الثمين، ص: ٢٢١.

المبحث الثاني

مؤلفاته غير المنشورة

وقد ذكرها العلامة المعصومي رحمه الله في ثنايا كتبه، وفيما يلي بيان بأسمائها:

١٨ – إتحاف الإخوة المؤمنين في شرح حبل الشرع المتين:

شرح فيه كتاب حبل الشرع المتين، وذلك لما بلغه قول بعض معاصريه في بلاد فرغانه[1] أن المعصومي ادعى الإجتهاد وباب الإجتهاد مسدود منذ أربعمائة عام فبيانا وإظهارا لجهلهم وإيضاحا لحقيقة منشإ كل مسألة ومأخذها، كتب رحمه الله هذا الشرح المفصل العظيم وهو يقع في (سبع وعشرين مجلدا)، وقد فقد هذا الكتاب وللأسف بعد تعرضه للفتنة الشيوعية الطاغية وصودرت جميع كتبه من مكتبته في خجندة وكان عددها أكثر من ثمانية آلاف مجلد[2].

١٩ – النصائح الإيمانية والدرر السلطانية:

وقد فسر فيها كثيرا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تفسيرا وشرحا واضحا جليا بأمثلة عصرية.

٢٠ – فشو الظلام من موافقة العلماء للعوام:

---

١ – بالفتح ثم السكون و غين معجمة و بعد الألف النون، مدينة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان المعجم ٢٥٣/٤.

٢ – عقد الجوهر الثمين في تكملة حبل الشرع المتين، ص: ٢٢٤.

ألفه لبيان ضرر تساهل العلماء ومداهنتهم.

٢١ – إرشاد الأمة الإسلامية في التحذير من مدارس النصرانية.

٢٢ – سيف الأدب في من غير النسب:

قد أقام القيامة على رؤوس الذين غيروا أنسابهم بدعوى السيادة الفاسدة لتخدير عقول الجهلة وجعلهم كالعبيد والأسارى.

٢٣ – أسامي البلدان من تحرير السلطان «في الجغرافية».

٢٤ – اللآلي العالية في الرحلة الحجازية.

٢٥ – الدرر الفاخرة في الآثار الخالية «في التاريخ».

٢٦ – التحف الدرية في البدع العصرية «باللغتين العربية والتركية»:

ألفها لبيان ودفع البدع الدينية المضرة حينما كان رئيسا لمجلس الشورى الإسلامي بخجندة في عام ١٩١٧ و ١٩١٨م. وكان أرسلها للطبع إلى بلده طاشكند ولكن حدثت فتنة البلاشفة فضاعت.

٢٧ – بيان المقام في دار الحرب ودار الإسلام،

في تحقيق حكم الدارين باللغتين أيضا.

٢٨ – إيضاح أمر الماكينة في ذبح الشاه دفعة بتسمية واحدة.

٢٩ – هداية المستفتين في أجرة القضاة والمفتين.

٣٠ – الواقعات السلطانية والأجوبة الخجندية.

٣١ – السيف الصارم الحتوف في تخطئة موسى بيكيوف باللغتين أيضا.

٣٢ – تنبيه الوسنان في ترميم الأسنان.

٣٣ – إبطال التشديد في مسألة التقليد.

٣٤ – أنباء النبيين في بيان حدوث الإشتراكيين وفرقهم.

٣٥ – رفع التشكيك عن مظالم البولشوويك «أو المكاشفة عن حالات البلاشفة».

٣٦ – البرهان والسلطان في الحكايات والعرفان.

٣٧ – رحلة السلطان في الأماكن والبلدان ومن لاقاه وصاحبه من أولي الفضل والعرفان، ولو وجد هذا الكتاب لكان فريدا في بابه.

٣٨ – السيف الصارم السلطاني لقطع عنق البلشوفيك الشيطاني:

ألفه في دلهي عاصمة بلاد الهند في عام ١٣٥٣هـ باللغة الفارسية بموجب التماس رئيس الهند البريطاني «واي سيراي» فهو أخذه ووعده أنه يترجمه باللغة الأردية والإنجليزية فيطبعه وينشره.

٣٩ – تاريخ سينَجان سين:

في وقعات تلك البلاد واستيلاء البلاشفة على تلك البلاد باسم «شنذو بن الروس الأبيض»، ألفه حينما كان في بلده آقصو وخوتن.

٤٠ – الهدية المعصومية في المناسك النبوية في بيان الحج المسنون.

٤١ – إنما يؤثر الجن والشيطان للمشركين وعبدة الأوثان:

٤٢ – رسالة منشإ التكايا والزوايا والأربطة «في المماليك الإسلامية».

٤٣ – العبارات في بيان التغيرات.

٤٤ – السفرية المعصومية إلى الظهران والبحرين وكراشي والسند وغيرهما.

٤٥ – الدرر المكية في الوقائع العربية من عام ١٣٥٣هـ إلى عام ١٣٧٥هـ .

٤٦ – اللطائف في شؤون اللطائف، «تاريخ صحيح للطائف».

٤٧ – الأحاديث المعصومية المذاعة في الإذاعة المكية السعودية.

٤٨ – الدرر السلطانية التي نشرتها الجرائد الهندوستانية.

٤٩ – المستدرك عن الأسانيد المستهلك.

٥٠ – الحكم السلطانية والنصائح القرآنية.

٥١ – دليل الحياة في آداب إمامة الصلاة

كذلك ألفه في الصين.

٥٢ – تحفة النبلاء في سماع غناء الأحباء

ألفه حينما كان في بلاد الصين أيضا.

٥٣ – تحفة السلطان في تربية الشبان

ألفها حينما كان في بلاد الصين.

٥٤ – جلاء البوس في انقلاب بلاد الروس.

٥٥ – الختنيات في ما هناك من الخرافات.

٥٦ – الأزهار المعصومية والرياحين الخجندية:

منظومة فارسية حكيمة تاريخية.

٥٧ - تفليس إبليس أي المشرك البخيس أي آلتون خان الخبيث.

٥٨ - الآيات البينات في بيان الشرك والخرافات.

٥٩ - الأجوبة المعصومية في المسائل الشرعية.

٦٠ - الذهب الأصيل في الحوض المدور والطويل:

ألفه حينما اختلف علماء بخارى في احكام الحياض والمياه، فحاكم بينهم محاكمة استوعبت جميع أحكام المياه.

٦١ - القول الحنيف في بيان يتي شريف:

باللغة التركية مستدلة بالمسائل العربية في بيان وإبطال ما يعتقده أهل تلك البلاد من الخرافات.

٦٢ - نظام التجارة والكسب والصناعة في الشريعة الإسلامية:

فسر الآيات وشرح الأحاديث وبين أقوال العلماء المحققين باللغة التركية.

٦٣ - هدية السلطان إلى قراء القرآن في آداب التلاوة وأخذ الأجرة عليها:

ألفها حينما كان في خجندة.

٦٤ - الدرة الثمينة في حكم الصلاة في ثياب البذلة:

ألفها حينما اختلف علماء بخارى في أداء الصلاة في ثياب المهنة بلا ضرورة، عندما اختلف داملا أكر الدين السلفي وداملا خال مراد الصوفي الخرافي.

٦٥ - الدرر الفاخرة والفوائد الرابحة في ذيل الرحلة الحجازية.

٦٦ – الدر المصون في أسانيد علماء الربع المسكون.

٦٧ – تبيين الأمور في أخذ الكفرة والظلمة الزكاة والخراج والمكوس والعشور.

٦٨ – رحلة فرغانية ودرر سلطانية.

٦٩ – الدرر المنظومة في ذكر أفاضل خجندة.

٧٠ – الفوائد الشريفة السلطانية في الكلمات الآدابية.

٧١ – سند الإجازة لطالب الإفادة.

٧٢ – تنبيه النبيه الخبير في الذبح لقدوم الأمير.

٧٣ – الديوان الفارسي.

٧٤ – الديوان التركي.

٧٥ – السهام المعصومية في نحور الشيوعية.

٧٦ – أعمال أهل الجنة وصفاتهم.

٧٧ – الفرقة الناجية والمذاهب.

٧٨ – رسالة رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في: { لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا}[1].

٧٩ – ميزان الحق في حكم بلاد لايغيب فيها الشفق.

٨٠ – الأمن في الإيمان والسلم في الاسلام.

---

١ – سورة النور، و الآية: ٦١

٨١ – إيضاح القول في رجوع الظالمين إلى الرسول.

٨٢ – ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا.

٨٣ – المشهد السادس المعصومي في المسجد والروضة النبوية.

٨٤ – الهدية المعصومية إلى سعود ملك المملكة العربية السعودية.

٨٥ – تنبيه النابهين لدفع اعتراض بعض المنافقين.

٨٦ – آيينه تور كستان در مظالم بو لشويكان:

منظومة تركية مشتملة على حوادث بلاد الروس، وحدوث البلاشفة وما فعلت من المظالم والنكبات والمنكرات، وما جرى على المعصومي من النكبات من عام ١٣٣٤هـ إلى عام ١٣٥٣هـ[١].

كان ذلك بيانا لمؤلفات العلامة المعصومي، و الجدير بالذكر أن مؤلفاته التي لم يتم طبعها ونشرها قد بحثت عنها فلم أعثر عليها و لا على خبر يمكن أن يوصلني إليها، و أغلب الظن – و الله أعلم – أنها ضاعت أثناء حياته المضطربة و المليئة بالتنقلات و الرحلات أو أنها ضاعت بعد وفاته، والله تعالى أعلم.

---

١ – انظر خاتمة كتاب عقد الجوهر الثمين، ص:٢٢٨.

المبحث الثالث:

مقالاته المنشورة

لقد كتب العلامة المعصومي رحمه الله مقالات عديدة نشرتها مجلة الحج من عام ١٣٦٨هـ إلى عام ١٣٧٩هـ وبلغت هذه المقالات ما يقارب ثلاثين مقالا، منها على سبيل المثال:

١- «بعض الأوهام الواردة في الإسرائيليات»:

و قد رد في هذا المقال على بعض الأوهام من الخرافات و الإسرائيليات التي دخلت في كتب المسلمين و انتشرت فيها و هي مخالفة للعقل الصحيح و النقل الصريح و الفهم المستقيم، ومنها أن المطر نازل من السماء الرابعة، وأن نملة سليمان كالذئاب، و غيرها و قد بين في ذلك الحق بيانا شافيا معتمدا على الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية الشريفة، و ما اختاره المحققون من أئمة العلم[1].

٢- «بطلان نسبة الشرك إلى آدم و حواء عليهما السلام»:

و قد كتب هذا المقال جوابا لسؤال ورد عليه من بعض الأفاضل من أهل الرياض ذكر فيه أنه قد أشكل عليه تفسير قوله تعالى{ فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون}[2].

---

١ - مجلة الحج ربيع الأول ١٣٧١هـ

٢ - سورة الأعراف الآية رقم: ١٩٠

فبين – رحمه الله – القول الصحيح فيما ذكره علماء التفسير في تفسير هذه الآية، بنفي الشرك عن آدم و حواء عليهما السلام، مجانب للروايات الضعيفة في تفسير الآية[1].

٣–«النظرة العابرة في التحفة اللطيفة »:

رد فيه على كتاب التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة لشمس الدين السخاوي حيث بين الأخطاء المتعلقة بالعقيدة و الفضائل كمثل أن الأماكن المقدسة تقدس ساكنيها، و التوسل بالمخلوق و غيرهما، فبين – رحمه الله – المنهج الصحيح بالأدلة النقلية الصريحة بما لا يدع مجالا لشك لطالب الحق في المسائل التي تناولها[2].

٤– «رفع الإلتباس فيما يقال حول الخضر و إلياس»:

بين فيه القول الصحيح بأن الخضر قد مات منذ زمن بعيد اعتمادا على النصوص الشرعية من الكتاب و السنة، و رد على الإسرائيليات و من يعتمد عليها من الصوفيين و الخرافيين[3].

٥– «زلة العالِم زلة العالَم»:

بين فيه القول الصحيحة وفق عقيدة أهل السنة و الجماعة في وجوب الإعتقاد في ملائكة الرحمن بأنهم عقلاء، و هو رد على الشيخ محمد حامد الفقي في قوله: إن الملائكة غير عقلاء [1]

---

١ – مجلة الحج محرم ١٣٧٣هـ

٢ – مجلة الحج رجب سنة ١٣٧٨هـ

٣ – مجلة الحج شعبان و رمضان ١٣٦٨هـ

٦- «عرفت هؤلاء الرجال»:

و هي عبارة عن خمسة مقالات ذكر فيها مشاهير أهل العلم الذين تعرف عليهم وشرف بصحبتهم في الحجاز والشام وبيت المقدس ومصر وفي اسطنبول بتركيا، وذلك في أثناء رحلاته المشهورة[٢] وغير ذلك من مقالاته القيمة المفيدة.

وله كلمة مطبوعة أعدها وألقاها نيابة عن جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله في المؤتمر الاسلامي العالمي الثاني المنعقد في كراتشي في جمادى الأولى ١٣٧٠هـ وعندي نسخة منها.

وكذلك له كلمة بعنوان «هداية السلطان إلى الأحباء والخلان» ألقاها في المؤتمر الاسلامي في باكستان بتاريخ ١٣٦٨/٠٣/١٤هـ وكان مندوبا عن جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله وعندي نسخة منها.

كان ذلك بيانا لبعض مقالات العلامة المعصومي التي تم نشرها و هي مقالات كثيرة قيمة تناول فيها مسائل عديدة معتمدا فيما ينشره على نصوص الكتاب و السنة و فق منهج أهل السنة.

و الله الموفق للصواب و الهادي إلى سواء السبيل.

---

١ -مجلة الحج ربيع الأول ١٣٦٩هـ

٢ - انظر: مجلة الحج، شوال ١٣٧١هـ و ذو الحجة ١٣٧١هـ. وربيع الثاني ١٣٧٢هـ ورجب ١٣٧٢هـ ورمضان ١٣٧٢هـ.

البـــاب الثــــــــاني:

منهجه في تلقي العقيدة

وجهوده في تقرير أنواع التوحيد

الفصــل الأول: منهجه في تلقي العقيدة

الفصل الثاني : جهوده في تقرير أنواع التوحيد

الفصل الأول

منهجه في تلقي العقيدة

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيـــــــد: في بيان مصادر السلف في تلقي العقيدة ودراستها

المبحـــث الأول: التزامه بمنهج السلف في تلقي العقيدة

المبحث الثـاني: موقفه من مصادر السلف في العقيدة

المبحث الثالث: موقفه من بعض الكتب الخلفية في عصره

تمهيد:

في بيان مصادر السلف في تلقي العقيدة ودراستها

قبل الدخول في منهج المعصومي– رحمه الله– في تلقـي العقيـدة أريـد أن أعطي فكرة عامة عن منهج السـلف ومصـادرهم في تلقـي العقيـدة ودراسـتها، ليتبين لنا بذلك موقفه –رحمـه الله– ممـا قـرره رجـال خـير القـرون في هـذا الجانب الذي يعتبر الأساس الأول لبناء فكر عقدي سالم مـن شـوائب البدعـة والإنحراف، فأقول وبالله التوفيق :

لقد جرى عمل السلف الصالح في حياة الرسول ﷺ على اتباع كتـاب الله المنزل و سنة رسـوله الكـريم ﷺ، و الرجـوع إليـه في كـل مـا شـجر بيـنهم، معتصمين بحبل الله لا يتقدمون بين يـدي الله ورسـوله،وإذا أراد أحـد مـنهم معرفة شيء في الدين والإسلام نظر فيما قاله الله ورسوله، فمنـه يـتعلم، وبـه يتكلم و فيه ينظر و يتفكر و به يستدل[1].

و قد نهى النبي ﷺ أصحابه عن الجدل، و صـرفهم عنـه إلى مـا يتصـل بالأمور النافعة .

فقد أخرج الإمام أحمد –رحمه الله – في مسنده، عن عمـرو بـن شـعيب عن أبيه عن جده، قال:جلست أنا و أخي مجلسا ما أحب أن لي بـه حمـر النعم : أقبلت أنا و أخي و إذا مشيخة مـن صـحابة رسـول الله ﷺجلـوس

---

١ – الفرقان بين الحق و الباطل لشيخ الإسلام ابن تيمية ص:٤١، وانظر تاريخ المذاهب الإسلامية لمحمد أبو زهرة ص ٩٨

عند باب من أبوابه فكرهنا أن نفرق بينهم،فجلسنا عجزة إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول اللهﷺ مغضبا قد احمر وجهه، يرميهم بالتراب ويقول : «مهلا يا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم و ضرب الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا، بل يصدق بعضه بعضا، فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم فردوه إلى عالمه»[1].

و قد أخرجه البخاري في كتابه «خلق أفعال العباد» بلفظ آخر، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، قال «سمع النبي ﷺ قوما يتدارؤون[2] فقال : إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا، فلا تضربوا بعضه ببعض، ما علمتم منه فقولوا وما لا فكلوه إلى عالمه»[3].

و أخرج الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما ضل قوم بعد هدي كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه

---

١ – مسند الإمام أحمد تحقيق أحمد محمد شاكر رقم ٦٧٠٢، ٢٢٨/١٠، طبعة دار المعارف بمصر ١٣٧٠هـ-١٩٥١م، قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح و هو أيضا رقم ٦٦٦٨، بلفظ «خرج رسول اللهﷺ ذات يوم و الناس يتكلمون ...».

٢ – التدارؤ : التدافع و الاختلاف ، ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ١٠٩/٢، تحقيق محمود محمد الطناحي و طاهر احمد الزواوي الطبعة الثانية ، دار الفكر بيروت ١٣٩٩هـ.

٣ – خلق أفعال العباد ضمن عقائد السلف ص: ١٥٤، تحقيق علي سامي النشار، و عمار جمعي الطالبي، الناشر منشأة المعارف الأسكندرية ١٩٧١م.

الآية: {ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون}»[١]، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح[٢].

على هذا المنهج الذي رسمه رسول الله ﷺ و الذي يعتمد على الكتاب و السنة والوقوف عند نصوصهما، و الإبتعاد عن الجدل في الدين سار سلف هذه الأمة، فابتعدوا عن المناقشات الجدلية، و كرهوا البحث والتنقيب عن الأشياء الغامضة، فلم يتكلموا إلا فيما جاء فيه العلم و بينه الرسول ﷺ[٣].

ويذكر المقريزي[٤] ذلك بقوله «و لم يكن عند أحد منهم -أي الصحابة- ما يستدل به على وحدانية الله تعالى و على إثبات نبوة محمد ﷺ، سوى كتاب الله و لا عرف أحد منهم شيئا من الطرق الكلامية، و لا مسائل الفلسفة ومضى عصر الصحابة -رضي الله عنهم- على هذا»[٥].

١- سورة الزخرف، الآية ٥٨.

٢ - سنن الترمذي ٥/٥٥ مراجعة عبد الرحمن محمد عثمان الطبعة الثالثة دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، و مسند الإمام احمد بن حنبل و بهامشه كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال ٥/٢٥٦، فهرس محمد ناصر الدين الألباني لرواته من الصحابة، الطبعة الخامسة المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٥هـ١٩٨٥م، و جامع بيان العلم وفضله و ما ينبغي في روايته و حمله لإبن عبد البر ٢/١١٩، طبعة دار الفكر بيروت (د.ت)، والآية رقم ٥٨ من سورة الزخرف.

٣- خلق أفعال العباد ضمن عقائد السلف البخاري ١٥٤.

٤ -احمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس تقي الدين المقريزي، مؤرخ بالديار المصرية أصله من بعلبك ولد و مات بالقاهرة، وولي فيها الحسبة و الخطابة و الإمامة، من كتبه الخطط و اسمه المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار ولد ٧٦٢،ت ٨٤٥ هـ بالقاهرة، الأعلام ١/١٧٧.

٥ -الخطط ٢/٣٥٦

و يصور الشهرستاني[١] موقف أهل السنة وتمسكهم بالكتاب و السنة عند ظهور بدع المعتزلة بقوله : «إن السلف من أصحاب الحديث لما رأوا توغل المعتزلة في علم الكلام ومخالفة السنة التي عهدوها من الأئمة الراشدين، تمسكوا بمنهاج المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث، منهم مالك بن أنس و أحمد بن حنبل و غيرهما ، فسلكوا طريق السلامة وقالوا نؤمن بما ورد به الكتاب و السنة و لا نتعرض للتأويل[٢]، بل نعلم قطعا أن الله عز وجل لا يشبهه شيء من المخلوقات، و أن كل ما تمثل في الوهم أنه خالقه و مقدره»[٣].

هذا هو نهج الصحابة –رضي الله عنهم– و أئمة الإسلام الذين ساروا على طريقتهم في دراسة العقيدة وفي تلقي الإسلام وفهمه، فكانوا جميعا لا

محمد بن عبد الط- ١

٢ – لفظ التأويل يستعمل لثلاث معان :

أحدها أن التأويل هو صرف اللفظ عن الإحتمال الراجح إلى الإحتمال المرجوح لدليل يقترن به و هذا المعنى للتأويل هو المقصود هنا وهو الذي اصطلح عليه كثير من متأخري المتكلمين و الأصوليين.

المعنى الثاني : أن التأويل بمعنى التفسير ، و هذا هو الغالب في اصطلاح المفسرين للقرآن الكريم كما يقول ابن جرير و أمثاله من المصنفين في التفسير : واختلف علماء التأويل .

و المعنى الثالث : من معان التأويل هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام وهذا هو الإستعمال القرآني لهذه اللفظةكما قال تعالى { هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ...}سورة الأعراف الآية ٥٣ شيخ الإسلام بن تيمية الرسالة التدمرية ص: ٢٩ الطبعة الثالثة، نشر قصي محب الدين الخطيب المطبعة السلفية ١٤٠٠هـ، و الفتوى الحموية الكبرى ص٤٠–٤٢ و ابن أبي العز الحنفي شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٣٢–٤٣٥.

٣ – الملل و النحل ١/١٠٣–١٠٤

يتجاوزون الكتاب و السنة، و لا يبحثون عن الدليل في الطرق الكلامية و لا مسائل الفلسفة، لتصديقهم بأن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق، وهو ما كان عليه المؤمنون الأولون من المهاجرين والأنصار.

لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «و لم يستوعب الحق إلا من اتبع المهاجرين و الأنصار و آمن بما جاء به الرسول ﷺ على وجهه»[١].

و قد درج علماء المدرسة السلفية على هذا النهج على امتداد التاريخ الإسلامي، لإيمانهم العميق بأنه لا نجاة إلا باتباع الكتاب و السنة وما أجمع عليه سلف الأمة. و ما استجد بعد ذلك من أصول عند المتأخرين، مبتدع في الإسلام مسبوق بإجماع السلف على خلافه، و النزاع الحادث بعد إجماع السلف مقطوع بخطئه[٢].

و بهذا المنهج الذي يعتمد على الكتاب و السنة، وقف علماء المدرسة السلفية في و جه المتكلمين و الفلاسفة، واستعاضوا بأدلة القرآن والحديث عن التأويلات الكلامية لدى شيوخ المعتزلة والأشاعرة [٣].

١– الفرقان بين الحق و الباطل ص٨٥ ، وراجع عقيدة باب بن الشيخ سيدي ص: ٤ مخطوط شخصي عندي صورة منه و هو كتاب قيم لمؤلفه الإمام العلامة السلفي باب بن الشيخ سيدي الشنقيطي، المتوفى عام ١٣٤٢م.

٢ – شيخ الإسلام ابن تيمية الفرقان بين الحق والباطل ص ٤١،١٦، ٤٢، والدر النضيد في علم الكلام وحقيقة التوحيد لبداه بن البصيري ص:١ مخطوط شخصي عندي صورة منه، وهو من أهم الكتب المتأخرة في بيان عقيدة أهل السنة.

٣ –قواعد المنهج السلفي لمصطفى حلمي ص: ٢٦٣

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «إن العلوم الإلهية والدينية سمعيها و عقليها، إنما تؤخذ من الرسول ﷺ ، و يجعل ما جاء به هو الأصول، لدلالة الأدلة اليقينية البرهانية على أن ما قاله حق جملة وتفصيلا.

و أيضا فإن الأنبياء و الرسل إنما بعثوا بتعريف هذا ، فهم أعلم الناس به و أحقهم بقيامه و أولاهم بالحق فيه»[1].

و قد أكمل الله عز وجل هذا الدين و أتمه في حياة الرسول ﷺ ، فلم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا و قد بين كلما يحتاج إليه الناس في أمر الدين وبلغه البلاغ المبين، يقول تعالى {اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام دينا}[2].

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية «أخبر الله نبيه و المؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا، و قد أتمه فلا ينقصه أبدا، و قد رضيه فلا يسخطه أبدا»[3].

و كان من أبرز ما تميز به علماء المدرسة السلفية، هو أنهم طوعوا المفاهيم العقلية لنصوص الكتاب و السنة، لإيمانهم الراسخ بأن الرسول ﷺ جاء بالهدى و دين الحق، و أن القرآن يهدي للتي هي أقوم، و أنه ما من مسألة من مسائل

---

١ – راجع الفرقان بين الحق و الباطل، المصدر السابق ص:٩٢

٢ – سورة المائدة الآية ٣.

٣ – رواه ابن جرير الطبري بسنده : جامع البيان عن تفسير آي القرآن ٦/٦٩

الدين التي بعث الله بها رسوله ﷺ إلا و قد جاء بيانها في الكتاب أو السنة و كان للسلف الصالح فيها كلام»[١].

قال الخطابي[٢] -رحمه الله تعالى- في رسالة «الغنية عن الكلام» ما نصه«لم يترك رسول الله ﷺ شيئا من أمر الدين، قواعده و أصوله و شرائعه، و فصوله، إلا بينه و بلغه على كماله وتمامه»[٣].

وسنرى في المبحث الآتي -إن شاء الله تعالى - مدى التزام المعصومي -رحمه الله- بمنهج السلف في تلقي العقيدة ودراستها.

والله الموفق للصواب والهادي إلى سبيل الرشاد.

١- الفرقان بين الحق و الباطل لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص: ١٧-١٨ و الفتوى الحموية الكبرى ص:١١-١٢، و الرسالة التدمرية ص: ________

٢ -حمد بن محمد بن إبراهيم من نسل زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب من أهل سبت من بلاد كابل محدث له معالم السنن ولد ٣١٩ و توفي ٣٨٨هـ ، الأعلام للزكلي ٢٧٣/٢

٣ - الغنية عن الكلام للخطابي، تلخيص السيوطي في صون المنطق ١٤١/١.

المبحث الأول:

التزامه بمنهج السلف في تلقي العقيدة

لقد تبين منهج السلف في تلقي العقيدة ودراستها من خلال التمهيد السابق، و سنرى بحول الله و قوته أن العلامة المعصومي -رحمه الله- هو أحد العلماء السنيين البارزين المتمسكين بالكتاب و السنة الملتزمين باتباع منهج السلف الصالح في تلقي العقيدة والرد على المبتدعة و الضلال المنحرفين عن منهج الإسلام السوي، يقول -رحمه الله-: «فآخر ما ثبت في قلبي واستقرت عليه عيني و اطمأن به فؤادي ، و أدين الله تعالى به في ديني و دنياي ومعادي ، و كذلك يجب على كل مسلم عاقل، أن كتاب الله تعالى القرآن هو دستور الهداية ،و أن أحاديث رسول الله الثابتة بالأسانيد الصحيحة هي شرح للقرآن، فيجب العمل بمحكمهما و ظاهرهما و تدبر معانيهما، لأنه تعالى صرح في كتابه بأنه {هدى للمتقين}[1] و أنه {تبيانا لكل شيء}[2] وأنه {يهدي إلى الرشد}[3]، و قال فيه جل من قائل {و اعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقوا}[4] و قال {و أطيعوا الله و أطيعوا

---

١ – سورة البقرة، الآية:٢

٢ – سورة النحل، الآية: ٨٩

٣ – سورة الجن، الآية :٢

٤ – سورة آل عمران، الآية :١٠٣

الرسول و ألي الأمر منكم}[١] و قال { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}[٢] و غيرها من الآيات، و قد ثبت عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله و سنة رسوله ﷺ»[٣].

و قد ركز –رحمه الله– في تفسيره «تمييز المحظوظين عن المحرومين في تجريد الدين و توحيد المرسلين» على التمسك بالكتاب و السنة والإلتزام باتباع منهج السلف في تلقي العقيدة، و في فهم تعاليم الإسلام و تطبيق نصوصه، و في هذا المعنى أورد قول الله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا أطيعو الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله و الرسول إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر ذلك خير و أحسن تأويلا}[٤].

وقال: «قد نادى الله تعالى عباده المؤمنين وخاطبهم عموما، آمرا إياهم بأن يطيعوا الله تعالى، والطاعة هي العمل بكتابه العزيز، ويطيعوا الرسول،

---

١ – سورة النساء، الآية: ٥٩

٢ – سورة الحشر، الآية: ٧

٣ – حكم الله الواحد الصمد ص: ٧٣-٧٤ و الحديث رواه مالك في الموطأ برقم (١٦١٩).

و قال الحافظ بن عبد البر في التمهيد(٣٣١/٢٤) «و هذا محفوظ معروف مشهور عن النبي صلى الله عليه و سلم عند أهل العلم شهرة يكاد يستغنى بها عن الإسناد، و روي في ذلك من أخبار الآحاد أحاديث من أحاديث أبي هريرة و عمرو بن عوف »

٤ – سورة النساء،/ الآية: ٥٩.

وهي العمل بسنته لأنه هو الذي يبين للناس[1] ما أنـزل الله تعـالى إلـيهم مـن الكتاب. وقد أعاد الله تعالى لفظ الطاعة لتأكيد طاعة الرسـول ﷺ ، لأن ديـن الإسلام دين توحيد محض، لايجعل لغير الله أمرا ولا نـهيـا، ولا تشـريعا ولا تأثيرا، والرسول ﷺ إنما يبين ما شرعه الله تعالى لنا من الدين والشرع»[2].

وفي تفسيره للآية الآنفة الذكر قال رحمه الله: «وقد خاطب الله تعالى أمة الاسلام كلها بإقامة القواعد الأربـع المنصوصـة في هـذه الآيـة: إطاعـة كتـاب الله، وإطاعة سنة رسول الله ﷺ، وإطاعة أولي الأمر من أنفسـهم، ورد الأمـر عنـد التنـازع إلى كتـاب الله وسـنة رسوله، فالواجـب علـى مجمـوع الأمـة الاسلامية المطالبة بذلك»[3]. وفي هذا المعنـى يقـول: «فالـذين يعتصـمون بهـذا القرآن يدخلهم الله تعالى في رحمـة خاصـة بـه لايـدخل فيهـا سواهم، وفضـل خـاص لايتفضـل بـه علـى غيرهـم. فياخسـارة المعرضـين! ويـا طـوبى للمعتصمين!»[4].

لها ﷺ١ – يقول المعصومي رحمه الله في كتابه تمييز المحظوظين في شأن رحمة الأمة برسالة النبي وبيانه لحقيقة كل ما تحتاجه البشرية في أمر دينها ودنياها «وإنما أرسل الله تعالى هذا الرسول برهان عظيم وجلي يبين لكم ﷺالعربي الأمي لرحمتكم أيها الناس وتربيتكم وتزكية نفوسكم، فهو ﷺحقيقة الإيمان الصحيح بالله عز وجل وجميع ما تحتاجون إليه من أمر دينكم ودنياكم وهو برهان في دعوته العلمية الشرعية». ﷺبسيرته العملية برهان وحجة، كما أنه

٢ – تمييز المحظوظين، ص: ١٣٤–١٣٥.

٣ – تمييز المحظوظين، ص: ١٣٩.

٤ – يقول المعصومي في شأن القرآن الكريم: «واعلم أن هذا الكتاب جامع لكل ما يحتاج إليه البشر، من موعظة حسنة لإصلاح أخلاقهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة وحكمة بالغة لإصلاح خفايا=

وقد صدق وعد الله للصادقين ففاز من اعتصم به من الأولين، وخاب وخسر من أعرض من الآخرين، فعسى أن يعتبر بذلك المنتمون إلى هذا الدين في هذا العصر. وعن هذا قال بعض العارفين:

العلم قال الله قال رسوله وما سوى ذلك وسواس الشياطين

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين[١]»

وقد درج العلامة المعصومي في مؤلفاته على بيان الأساس للرسالة الإسلامية التي جاء بها النبي الكريم محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، من عند الله عز وجل، وهو الكتاب والسنة وما تضمنته نصوصهما من الأوامر والنواهي التي هي مدار الاسلام، لهذا يقول رحمه الله في بيانه لمنهجه في تلقي العقيدة «إن الله تعالى أرسل محمدا بالتوحيد الخالص والدعوة إليه، ونفي الشرك والكفر والتحذير منه، فهو ﷺ رسول الله إلى الناس كافة، يبين لنا مراد الله وما يرضيه وما يسخطه. والشرك والكفر من اكبر ما يسخط الله ويغضبه، فكل ما أمر الله بفعله فهو مما يرضيه وكل ما نهى عنه فهو مما يسخطه.

=أنفسكم، وشفاء أمراضها الباطنة، وهداية واضحة للصراط المستقيم الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة، ورحمة خاصة للمؤمنين هي شجنة من رحمة رب العالمين العامة للخلق أجمعين، يتراحمون بها فيما بينهم، فتكمل بها رحمته تعالى لهم ورحمته تعالى للعالمين برسوله إليهم». تمييز المحظوظين، ص:٥٧.

١ – تمييز المحظوظين، ص: ٤٢-٤٣. وهذا الشعر ينسب للإمام الشافعي رحمه الله، انظر: ديوان الشافعي، ص:١٣٨

وقد قال الله تعالى: {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول}[١]، و {من يطع الرسول فقد أطاع الله}[٢]، وقال: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله}[٣].

فالخير -يقول الشيخ المعصومي- إنما هو في التمسك والعمل بالكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف هذه الأمة، والإجتناب كل الإجتناب عن المحدثات في الإعتقادات والعبادات[٤].

وقد زاد -رحمه الله- هذا الموضوع بيانا وتوضيحا، فأكد أن المؤمنين يجب عليهم اتباع كتاب الله المنزل وسنة رسوله الكريم ﷺ، مبينا النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله وذلك في تفسيره لقول الله تعالى: {ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم}[٥]، حيث قال:

«قد نادى الله تعالى وخاطب المؤمنين، ناهيا إياهم عن التقدم بين يدي الله ورسوله، وهذا أَدَبٌ أَدّبَ الله تعالى به عباده المؤمنين وهو ألا يشرعوا في أمر من الأمور قبل صدور أمر الله ورسوله، ولا يسرعوا فيه بهواهم أو تقليدا لغير المعصوم من المؤلفين، بل لابد أن يكونوا تبعا له في جميع الأمور.

---

١ – سورة النساء، الآية: ٥٩.

٢ – سورة النساء، الآية: ٨٠.

٣ – سورة آل عمران، الآية: ٣١.

٤ – أجوبة المسائل الثمان، ص: ٨-٣١، ٢٩.

٥ – سورة الحجرات، الآية: ١.

و في الحديث[1] عن معاذ رضي الله عنه أنه حين بعثه النبي ﷺ إلى اليمن، قال له: «بم تحكم»؟ قال: بكتاب الله تعالى، قال ﷺ: «فإن لم تجد؟» قال: بسنة رسول الله ﷺ، قال ﷺ: «فإن لم تجد؟»، قال: أجتهد رأيي. فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لمايرضي رسول الله ﷺ».

فالغرض منه أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «{لاتقدموا بين يدي الله ورسوله}: لاتقولوا خلاف الكتاب والسنة[2]، ولا تقضوا أمرا دون الله ورسوله من شرائع دينكم». ولهذا قد أجمعوا على أن مبنى الدين والإيمان والعبادات على الإتباع لا على الإبتداع[3]. وقد أورد –رحمه الله– نصوصا كثيرة في لزوم فهم معاني الكتاب والسنة وقال: «وذلك أن الله تعالى أمر رسوله محمدا ﷺ ببيان ما أنزله الله تعالى إلى الناس، فقال جل جلاله: {وأنزلنا إليك الذكر لتبين

---

١ – أخرجه ابن أبي شيبة ٥٤٢/٤

٢ – رواه ابن جرير (١١٦/٢٦)، وأورده السيوطي في الدر (٥٤٦/٧) وزاد نسبته لابن منذر وابن أبي حاتم، وابن مردويه وأبي نعيم.

٣ – تمييز المحظوظين، ص: ٢٦٤-٢٦٥.

للناس ما نزل إليهم}[1]، وهو ﷺ قد بين بيانا واضحا، فالأحاديث النبوية كلها -قولية كانت أم فعلية- بيان لما في القرآن وتفسير له كما لايخفى»[2].

وفي بيانه لمنهجه الإسلامي بوجه عام - والعقدي بوجه خاص- ذكر أنه يجب على كل مسلم معرفة معاني القرآن والحديث، وقال: «ولاشك أن العلم المفروض طلبه إنما هو علم التوحيد والحلال والحرام، وهو المبين في الكتاب والسنة لاغير.

فإذن يجب على كل إنسان مسلم معرفة معاني القرآن والحديث وخصوصا ما يتعلق بالتوحيد، ثم الحلال والحرام، ولا يعذر أحد بتركه والجهل به، وهو فرض عين بلا خلاف، وكذا علم ما يحتاج إليه الإنسان في حياته ومعاشه، فمن ذلك الصنائع الضرورية، ومعرفة لغة العرب وإعداد آلات الجهاد والدفاع، وحفظ دار الإسلام»[3].

ويرى العلامة المعصومي أن دراسة القرآن وفهم معانيه أمر واجب لايعذر أحد عاقل بالغ بتركه، وأن من لم يتدارس أحاديث رسول الله ﷺ فهو لم يعرف من الدين والإسلام إلا اسمه، وقد أشار لهذا المعنى بقوله: «فيجب على كل إنسان عاقل بالغ تعلم القرآن[4] وفهم معناه والعمل بمقتضاه، ولا

---

١ – سورة النحل، الآية: ٤٤.

٢ – تمييز المحظوظين، ص: ٣٢٥.

٣ – المصدر السابق نفسه، ص: ٣٢٦.

٤ – يقول المعصومي: إن للقرآن العظيم وقعا في نفوس التالين له، وتأثيرا عجيبا في عقول المتدبرين لأوامره ونواهيه.

يعذر أحد في ترك ذلك. فعليك أيها الإنسان أن تتعلم القرآن والأحاديث النبوية بالتدبر[١] والتفكر والتفهم والتأمل، لتقف على حقائق الدين والإسلام كما هي، وتكون من المحظوظين الفائزين، رزقني الله تعالى وإياك فوز الدارين.

فمن لايعلم معنى القرآن، ولم يتدارس أحاديث رسول الله ﷺ، ولم يطلع على كتب السنة والصحاح والمسانيد والسنن، فهو لم يعرف من الدين والإسلام إلا اسمه، كمن اغتر بالقشر الخالي عن اللب، وهذا لاشك من المحرومين، لأنه محروم من فهم الدين، ومحروم من فهم كلام رب العالمين، ومحروم من فهم معاني أحاديث رسول الله ﷺ[٢].

وقد بين –رحمه الله– ما كان عليه سلف هذه الأمة من الإتباع والإلتزام وكراهية الإبتداع والتحذير منه، ذاكرا ما كان لهم من حظ وافر بسبب ذلك وقال: «والمحظوظون إنما كانوا المسلمين الأولين من الصحابة والتابعين وتابعيهم، الذين اقتفوا سنة رسول الله ﷺ، فنالوا رضى الله، حتى رضي الله عنهم ورضوا عنه، فنالوا الخلافة في الأرض ورفعوا علم الإسلام في شرق

وقد أمرنا ربنا جل وعلا بتدبر آياته، وتأمل محتوياته فقال سبحانه وتعالى في سورة محمد: ٢٤ {أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها}، فكانت هذه الآية الكريمة زاجرة لكل من يقرأ بلا تدبر ويتلو دون تأمل وتفكر، تقرع الأسماع وتهز الأفئدة والقلوب، تمييز المحظوظين، ص: ٥.

١ – المصدر السابق نفسه، ص: ٢٠ ، ٦٤. هذا الحكم يعذر فيه الشيخ المعصومي نظرا لأنه كان في زمن يكثر فيه العلماء الجهلة الذين لا يعرفون أحكام الدين ولا معاني القرآن الكريم.

٢ – المصدر السابق نفسه، ص: ٥٨، ٣٢٦.

الأرض وغربها، مع ما نالوا من الأجر والغنيمة، فهم المحظوظون من الإيمان والإسلام بالحظ الأوفر[١].

وفي معرض حديثه -رحمه الله- عن الحث على اتباع الكتاب والسنة وفق المفهوم الذي درج عليه سلف الأمة ذكر نهي الأئمة الأربعة، عن الأخذ بقولهم من غير معرفة دليله وقال: «وقد ثبت عن الأئمة الأربعة رضي الله عنهم النهي عن الأخذ بقولهم من غير معرفة دليلهم، والأمر بترك أقوالهم لكتاب الله أو سنة رسول الله إذا ظهر مخالفته لهما أو لأحدهما[٢].

لأن الله تعالى ورسوله ﷺ لم يأمرا أحدا أن يلتزم مذهب أحد من الأئمة بل نهى عن ذلك، وإنما الإلزام المحتم على كل مسلم أن يلتزم اتباع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فالإمام الذي يجب اتباعه والتزام مذهبه إنما هو سيدنا رسول الله ﷺ لاغيره»[٣].

ومهما يكن من شيء فإن العلامة المعصومي -رحمه الله- كان متمسكا بالكتاب والسنة وما درج عليه سلف الأمة في الإعتقاد والعبادات وفي السلوك أيضا، فهو على كل حال له منهج إسلامي سلفي متكامل، يقوم على فكر ناضج، وسالم من المؤثرات الخارجة عن تعاليم الاسلام الصافية، وهذا واضح

---

١ - المصدر السابق نفسه.

٢ - لمعرفة أقوال الأئمة في ذلك، انظر: الرسالة للشافعي و (جامع بيان العلم وفضله) لابن عبد البر، و (المؤمل للرد على الأمر الأول) لابي شامه، و (إيقاظ همم أولي الأبصار) للقلاني، و(الإنتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء) لابن عبد البر. وهدية السلطان إلى مسلمي بلاد اليابان للمعصومي

٣ - البرهان الساطع، ص:٢٣، ٦٨-٦٩.

لكل من درس أو طالع في مؤلفاته رحمه الله، يشير إلى هذا المعنى قوله: «فمن يأت في الدين بشيء لم يكن في عصر النبي ﷺ ولا الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فقد عارض الله ورسوله وظن الدين ناقصا»[1].

ولذلك فإن السلف كلهم يحذرون من البدعة في الدين ومن التقليد لغير المعصوم، والمعصوم إنما هو النبي ﷺ وحده وأما غيره فغير معصوم أيا كان، فيؤخذ من قوله ما لايخالف الكتاب والسنة، ويترك ما خالفهما أيا كان»[2].

ونختم هذا المبحث بالخطاب الذي وجهه العلامة المعصومي –رحمه الله– إلى إخوانه المسلمين، وبين لهم فيه ما انتهى إليه فكره بعد المطالعة والتدبر والتفكر في العلوم والمعارف الاسلامية ونصحهم فيه باتباع السلف، وهذا النص في حد ذاته يكفي في معرفة منهجه في تلقي العقيدة وفي الفكر الإسلامي بوجه عام، وفيما يلي نص كلامه:

«فيا إخواني المسلمين، وفقني الله تعالى وإياكم لما يحبه ويرضاه، إني قد طالعت وتدبرت وتفكرت في الكتاب والسنة وكتب التفاسير والأحاديث، وشرحها والأصول والفروع والتصوف، والتاريخ وغيرها، فحصل في قلبي آخرا حصولا كليا راسخا أن الحق الواجب على كل مكلف وجوبا عينيا إنما هو اتباع الكتاب والسنة الثابتة الصحيحة، وماسنه الخلفاء الراشدون والصحابة المفلحون والسلف الصالحون رضي الله تعالى عنهم أجمعين، والإجتناب عما

---

١ – يقول المعصومي رحمه الله: «واعلم أن من شرط المؤمن ألا يرى رأيه وعقله واختياره فوق رأي النبي ﷺ ويكون مستسلما لما أتى به رسول الله ﷺ». تمييز المحظوظين، ص:٢٦٦-٢٦٧.

٢ – أجوبة المسائل الثمان، ص: ٣١-٣٢.

يخالفها من البدعيات والمخترعات الدينية كالتعصب لمذهب بعينه، أو الإنتساب إلى طريقة، أو الإشتغال بالأوراد والأذكار المنسوجة المنسوبة إلى بعض المشايخ، فإن كل هذه تجر إلى الضلالة، وهي تجر إلى الهلاك نعوذ بالله من ذلك.

فكونوا يا أيها الإخوان مسلمين موحدين محمديين عاملين بما عمله السلف الصالحون، مجتنبين البدعة في الدين، لأن كتاب الله هو الهدى الكافي لهداية العالمين من الأولين والآخرين، وأوضحته الأحاديث الصحيحة وآثار الصالحين، فاعملوا بفرائض دينكم وواجباته وسننه الثابتة»[1].

والواقع أن العلامة المعصومي -رحمه الله- كان في منهجه متمسكا بالكتاب والسنة مقتفيا لآثار سلف الأمة في تلقي العقيدة والمنهج الاسلامي بطريقة موضوعية وواعية ودقيقة.

وسنرى في المبحث الآتي -إن شاء الله تعالى- موقفه من مصادر السلف في العقيدة وبذلك تزداد معالم منهجه الفكري وضوحا.

وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق.

---

١ - حكم الله الواحد الصمد، ص: ٩١.

المبحث الثاني

موقفه من مصادر السلف في العقيدة

لقد تبين من خلال المبحث السابق منهج العلامة المعصومي في تلقي العقيدة، ورأينا التزامه الكامل بالمنهج السلفي الأصيل، وفي ذلك برهان على استفادته من مصادر السلف، وتلقيه لها بالقبول، وفي الحقيقة أنه كان -رحمه الله- عالما باحثا في مجالات العلوم الشرعية، والفرق والأديان والمذاهب الفكرية المعاصرة، وحسب اطلاعي على مؤلفاته وكتاباته في المجال الإعلامي الصحفي، من خلال المقالات التي نشرها، فإنه لم يخرج عن مصادر السلف في جميع المسائل التي تبناها وقررها.

ومن المعلوم أن مصادر السلف الأولى هي الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة[1]، وهذا هو ما حرره العلامة المعصومي وسار عليه مستعينا بالله تعالى ثم بدراسة مؤلفات العلماء السلفيين المحقيقين الذين لاترقى التهم إلى عقيدتهم.

وسنأتي من كلامه بما يصلح شاهدا على ما نحن بصدده، ويلقي الضوء على موقفه من هذه المصادر بما لا يدع مجالا للشك في موقفه الإيجابي والمؤيد لها، وفيما يلي بيان ذلك:

---

١ - انظر: الفرقان بين الحق والباطل لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص:١٦، ٤١-٤٢. والدر النضيد في علم الكلام وحقيقة التوحيد للشيخ بداه بن البصيري الشنقيطي، مخطوط شخصي، ص:١

يقول -رحمه الله- في مقدمة كتابه: (حبل الشرع المتين وعروة الدين المبين) «اعلموا يا إخواني الأجلة والفضلاء الأحبة، وسائر الفرقة الناجية، وكافة الأمة الإسلامية، وفقني الله تعالى وإياكم لما فيه رضاه، أن أس الأساس هو التمسك بالكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة، والإتباع لما حرره السلف الصالحون كالأئمة الأربعة ومحققي علماء الأمة، وقد كان الواجب علينا معشر الأمة الاسلامية العمل بمقتضى الشرع الاسلامي الشريف، مع الاتفاق والاتحاد في الأمور كلها دنيوية وأخروية كما أرشد الله تعالى إليه بقوله الكريم: {واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا}[1].

وفي كتابه مفتاح الجنة بين أن الميزان الحقيقي للدين الاسلامي هو الكتاب والسنة، وما زاده أهل البدع على ذلك باطل كاسد، وفي هذا المعنى يقول: «وميزان هذا المفتاح ومعياره إنما هو ما جاء به سيدنا محمد رسول الله ﷺ وهو كتاب الله تعالى القرآن، وسنة رسول الله الصحيحة، الثابتة بالعيان، في دواوين أهل العلم والعرفان، وأما أهل البدعة فقد زادوا على ماجاء به رسول الله ﷺ أشياء: عقيدة كما وكيفا، باستحسان عقولهم القاصرة، بل الفاسدة أو قياساتهم الكاسدة الباطلة[2].

وفي كتابه (حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد) زاد هذا الموضوع بيانا وتوضيحا وقال: «فالخير كل الخير إنما هو في التمسك

---

١ - حبل الشرع المتين، ص: ٤، و الآية رقم ١٠٣ من سورة آل عمران.

٢ - مفتاح الجنة، ص: ٧٦-٧٨.

بالكتاب والسنة، وما أجمع عليه سلف هذه الأمة، والإجتناب تمام الإجتناب عن المحدثات في الإعتقاد والعبادات، لأن الدين قد كمل تمام الكمال، لأنه تعالى شهد بذلك بقوله الذي أنزله يوم عرفة في حجة الوداع، {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا}[١].

فمن يخترع في الدين شيئا لم يكن في عصر النبي ﷺ ولا الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم فقد عارض الله ورسوله»[٢].

لقد كان موقف العلامة المعصومي من مصادر السلف موقف القبول والعمل والتأييد والدعوة إلى الإتباع لما تضمنته من عقيدة صافية، والتحذير من ترك العمل بها، يشير لذلك قوله: «كونوا عاملين بالوحي المنزل، ومقتدين بالنبي المرسل ﷺ، واتقوا في كل ما تأتون وتذرون من الأقوال والأعمال، لأن الله تعالى سميع عليم، فمن حقه أن يتقى ويراقب».

وما دام المسلمون تاركين العمل بكتاب الله ربهم، وسنة رسوله ﷺ وراضين بهذا الجهل المركب، فإن حالتهم لاتتغير عما هم عليه من الاختلاف والانشقاق والإساءة، فإن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فتنبه[٣].

---

١ – سورة المائدة ،الآية: ٤

٢ – حكم الله الواحد الصمد، ص: ٧٥.

٣ – تمييز المحظوظين، ص: ١٣٩ ، ٢٦٦.

لقد دأب العلامة المعصومي -رحمه الله- على الأخذ من المصادر السلفية الأصيلة - كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ - والدعوة إلى التمسك بما جرى عليه عمل السلف الصالح من هذه الأمة، ومن طالع في مؤلفاته يرى ذلك واضحا جليا، وفي هذا الصدد أورد بعض الآيات القرآنية الكريمة، ومنها قوله تعالى: {يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون}[1] وقال: «فالآية الجليلة تصرح بأنه يجب على كل فرد من أفراد الإنسان أن يعلم أن الله عز وجل قد أرسل محمدا ﷺ إلى جميع الثقلين، الإنس والجن، وأوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به، وطاعته، وأن يحللوا ما حلل الله ورسوله ويحرموا ما حرم الله ورسوله، وأن يوجبوا ما أوجبه الله ورسوله، فمن لم يؤمن به فهو كافر[2].

وأثناء كلامه على الإلتزام بالمصادر السلفية الصافية الأصيلة بين أنه لايجوز للمسلم أن يأخذ أقوال الناس بدون دليل مقنع فقال: «وقد اتفق الصحابة والتابعون والأئمة الأربعة رضي الله عنهم على أنه لايجوز لأحد أن يأخذ بقول أحد في الدين ما لم يعرف دليله ويقتنع به، ولكن جاء بعدهم أناس أعرق في التقليد فمنعوا الناس أخذ أي حكم من الكتاب والسنة، وعدوا

١ - سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

٢ - تمييز المحظوظين، ص: ٥٢، ٥٠.

من يحاول فهمهما والعمل بهما زائغا، وهذا غاية الخذلان وعداوة الدين، وقد تبعهم الناس في ذلك فكانوا لهم أندادا من دون الله وسيتبرأ بعضهم من بعض كما أخبر الله تعالى[1].

ولاشك كما يقول العلامة المعصومي -رحمه الله- «أن سبب الضلال عدم فهم كلام رب العالمين الذي أنزله الله تعالى لهداية جميع العالمين، والحال أنهم مخاطبون ومكلفون بفهمه وتدبره والعمل والإتعاظ به وبالسنة المبينة له»[2].

وأثناء كلامه على مسألة التمذهب عرض لنصوص تبين تمسكه بمصادر السلف، وذلك أن اللازم العيني المحتم أن يتمذهب المسلم بمذهب رسول الله ﷺ ثم خلفائه الراشدين بعده، وهذا هو الحق الصريح، وليس بعد الحق إلا الضلال، وهذا هو مذهب الإمام أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وكافة أئمة الهدى من أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى ورضي الله تعالى عنهم، فكلهم يقول: «إذا قلت قولا فاعرضوه على كتاب الله وسنة رسوله فإن وافقهما فاقبلوه، وإلا فاضربوا بقولي عرض الحائط».

قيل لأبي حنيفة -رحمه الله تعالى-: إذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه، قال: اتركوا قولي إذا خالف كتاب الله تعالى، فقيل: إذا كان قول رسول الله ﷺ يخالفه، قال: اتركوا قولي لقول رسول الله ﷺ، فقيل: إذا كان قول

---

١ - البرهان الساطع، ص:٢٢-٢٣ وفي هذا المعنى يقول الله عز وجل: {إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا} البقرة، الآية:١٦٦

٢ - تمييز المحظوظين، ص:٢٠، ٣٢٥-٣٢٦.

الصحابة رضي الله عنهم يخالفه، قال: اتركوا قولي لقول الصحابة رضي الله عنهم[١].

ويتساءل العلامة المعصومي تساؤلا إنكاريا قائلا: «أما يكفي ما ورد في القرآن، وما صح بالأسانيد الصحيحة عن سيد الكائنات سيدنا محمد رسول الله ﷺ، فطرق الدين والعبادات الصحيحة إنما هي ما بينه الذي خلق الخلق على لسان رسوله محمد ﷺ، ومن زاد على هذا أو نقص فقد خالف الحكيم الخلاق العليم بتركيبه الأدوية من عند نفسه وربما صار دواؤه داء وعبادته مصيبة وهو لايشعر لأن الدين قد كمل تمام الكمال[٢].

لقد ركز العلامة المعصومي -رحمه الله- في ثنايا مؤلفاته القيمة على الحث على التمسك بالكتاب والسنة والاقتداء بالسلف الصالح في المعتقد والمنهج وبين أن الخير كل الخير مرهون بذلك.

وقال: «إن كل واحد ممن يحفظ عنه العلم والدين من أئمة السلف يتمسك بظاهر الكتاب والسنة، ويرغب الناس في التمسك والعمل بهما ولكنهم يحذرون من البدعة والتقليد لغير المعصوم، والمعصوم إنما هو النبي ﷺ وأما غيره فغير معصوم، فيؤخذ من قوله ما لايخالف الكتاب والسنة، وينبذ ما خالفهما أيا كان[٣].

---

١ - البرهان الساطع، ص: ٢٤ ، ٦٥-٦٦ ، ٦٩

٢ - انظر: مفتاح الجنة، ص:٥٨-٦٠.

٣ - حكم الله الواحد الصمد، ص:٧٥-٧٦.

ولكن يقول المعصومي: « فالعجب العجاب أن كثيرا من متأخري المنتسبين إلى المذاهب قد اخترعوا أشياء وابتدعو بدعا وتفلسفوا سفاسف، فقالوا يلزم تقليد مذهب بعينه، ومن لايتمذهب بأحد المذاهب الأربعة المشهورة فهو خارجي لادين له»[1].

وقد فات على هؤلاء أن ما كان دينا في عهد النبوة فهو الدين إلى يوم القيامة، وما ليس بدين في ذلك اليوم فليس بدين أبدا، فلهذا صارت البدعة في الدين ضلالة ومردودة، والمبتدع مفتر على ربه ومكذب إياه[2].

وبعد هذا البيان عن موقف المعصومي من مصادر السلف الأولى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ وعمل السلف الصالح، أريد أن ألقي الضوء على موقفه من أقوال الصحابة والعلماء السلفيين ومؤلفاتهم، التي هي مرجع أهل السنة والجماعة في شرح مسائل العقيدة، وبيان قواعد منهج السلف بطريقة علمية وواضحة.

وأما الأخذ بأقوال الصحابة رضي الله عنهم أو تقديمها على أقوال من جاؤوا بعدهم، فإن المرجع في ذلك يعود إلى ما خصهم الله به من صحبة رسول الله ﷺ ومعاصرتهم للوحي الإلهي، فهم خير القرون وأفضل الأمة، وأكرم الخلق على الله بعد النبيين، خصهم بما خصهم به من الفضائل الكثيرة.

---

١ – البرهان الساطع، ص: ٦٩–٧٠.

٢ – مفتاح الجنة، ص: ٢٦.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[١].

هذا مع ما يمتازون به من الفهم اللغوي لنصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، فهم أعرف الناس بما يليق بالله تعالى، وما ينزه عنه جل وعلا، ذلك أنهم الجيل المثالي في فهم الإسلام وتطبيقه، وقد بلغوا الذروة في ذلك استيعابا وتنفيذا بالإضافة إلى أنهم أنصح الأمة للأمة.

لقد كان رحمه الله أحد أبرز العلماء السلفيين الذين نافحوا عن العقيدة السلفية بالقلم واللسان، فقد رد على الشبهات التي يثيرها المبتدعة حول أهل السنة في عصره، وألف الكتب في ذلك[٢]، وأجاب عن الإستشكالات والاستفسارات التي وردت عليه، خاصة فيما يتعلق بأصول الدين، وبالدعاوى الباطلة التي تحاك ضد أهل السنة والجماعة السلفيين من طرف معارضيهم من الخلفيين، كما أنه أشاد بالعلماء السلفيين ونوه بمؤلفاتهم ووجه الناس إليها وأحال إليها ورغب في الأخذ عنها.

---

١ – جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ١٩/٢ و الرسالة التدمرية، لابن تيمية، ص: ٦٥.

٢ – من الأمثلة على ذلك كتابه: «أجوبة المسائل الثمان في السنة والبدعة والكفر والإيمان» و «حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد»، و «مفتاح الجنة».

ومع أن هذا مشهور عنه –رحمه الله– فإنني سوف أقتطف من مؤلفاته أمثلة على ذلك، تكون بمثابة برهان على ما نحن بصدده.

لقد حث رحمه الله – كعادته – على اتباع السنة وقال «لا يخفاك أن إمام الفقهاء على الإطلاق إنما هو سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ، ثم بعده أبو بكر الصديق ثم بعده عمر الفاروق رضي الله عنهما، ثم من الفقهاء عثمان وعلي وعبد الله بن مسعود وحذيفة وسائر الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، ثم تابعوهم بإحسان، ومن هذه الأمة الإمام شيخ الاسلام احمد بن تيمية، وابن قيم الجوزية، ومحمد بن عبد الوهاب النجدي، وأمثالهم ممن أنعم الله تعالى عليهم بالعلم النافع والعمل الصالح، جعلنا الله تعالى منهم، وحشرنا في زمرتهم، فهؤلاء هم فقهاء ملة الاسلام وهداة الأنام، وهم وإن كانوا قليلين عددا ولكنهم كثيرون درجة ورفعة عند الله تعالى[1].

وفي هذا المجال يذكر إجابة له على سؤال ورد إليه يطلب فيه رأيه في قول بعض الناس بأن الوهابيين[2] مشركون، وقد أجاب –رحمه الله– بما

---

١ – تمييز المحظوظين، ص: ٣٤٠-٣٤١.

٢ – هكذا يسمي أهل البدع والخرافات دعاة التوحيد تنفيرا عنهم وتحذيرا منهم، ولا تزال هذه النسبة المنفرة تتوارث إلى هذه الساعة عند كثير من هؤلاء!!

=ودعاة التوحيد ولله الحمد مخلصون للعلي الوهاب سبحانه وتعالى في حقيقة دعوتهم وأمرهم ونهيهم، لايبتغون من الناس إلا الهداية للتوحيد الخالص النقي من الشوائب والشركيات، ومن المعلوم أن إمام الدعوة السلفية في العصر الحديث المنسوبة إليه، هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي المتوفى عام ١٢٠٦هـ رحمه الله، وكانت دعوته السلفية الإصلاحية قائمة على التمسك بالكتاب والسنة وهادفة إلى تصحيح العقيدة الإسلامية، وتطهيرها مما علق بها من أدران الشرك

يدل بوضوح على تأييده ورضاه عن أهل السنة والجماعة السلفيين والكتب والمصادر التي تعتمد عليها في عقيدتها ومنهجها الاسلامي بصفة عامة، وفيما يلي نص كلامه: «اعلم أن الوهابيين سنيون، على عقيدة أهل السنة والجماعة الحقة والسلف الصالح، وفي الفروع حنبليون[1] على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وهو أحد الأئمة الأربعة المشهورين رحمه الله تعالى.

والبدع والخرافات، وقد كان لهذه الدعوة أعداء وخصوم، أطلقوا عليها لقب الوهابية، على الرغم من أن صاحب هذه الدعوة وأنصارها لم يختاروا هذا اللقب لأنفسهم ولم يقبلوا إطلاقه عليهم..وكان غرض أعداء هذه الدعوة وخصومها من هذا اللقب هو تنفير الناس منها وإيهام السامعين بأنها مذهب يخالف المذاهب الإسلامية الأربعة الكبرى،واللقب الذي يرضاه أتباع هذه الدعوة وأنصارها لأنفسهم أنهم أتباع السلف الصالح من (أهل السنة والجماعة) وهم جديرون بذلك.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا في حديثه عن هذه الدعوة ما نصه: « وقد كان مما استعمل الله تعالى به الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد الدين في نجد وما حولها أن أحيا مدارسة السنة النبوية فيها، للإهتداء بها لا لمجرد التبرك بألفاظها،ولا لأجل الإستقلال فيها دون ما كتب المحدثون والفقهاء في شرحها، والإستنباط منها،بل نرى من هداهم الله تعالى بدعوته وأنقذهم من الجهالة التي عادت إلى أكثر أهل جزيرة العرب مازالوا يحيون كتب فقه شيخ السنة الأكبر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله،مع خيار كتب التفسير والحديث، لغير الحنابلة من علماء السنة، فكانوا من أجدر المسلمين بلقب أهل السنة، مقدمة كتاب مجموعة الحديث النجدية ص:أ – ب، الطبعة الثالثة، دار الكتب القطرية ١٣٨٢هـ، وراجع كتاب الدكتور محمد بن عبد الله بن سليمان، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، ص:٣٣ وما بعدها، الطبعة ١٤٠٧هـ بواسطة وكالة الفرقان.

١ – في الحقيقة أنهم حنبليون ولكن من غير تعصب مذهبي ذميم، ولاتقليد مظلم مقيت، وإنما اتباعهم – من قبل ومن بعد – للكتاب والسنة حسب علمي والله أعلم.ولذلك لا يترددون في مخالفة بعض مسائل المذهب إذا كان الدليل على خلافها.

ولكن الأعداء افتروا عليهم وأشاعوا عنهم بعض أمور منكرة وهم بريؤون منها قطعا، كما تشهد على براءتهم كتبهم المتداولة، فاطلبوها وطالعوها كـ «مجموعة التوحيد» و «فتح المجيد» كلاهما للإمام المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب التميمي، و «شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، وكذا كتب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وابن قيم الجوزية وغيرها من كتب العلماء المحققين، تظهر لكم الحقيقة بحول الله وقوته»[١].

وقد جاء في المسألة التاسعة من كتاب الشيخ المعصومي «أجوبة المسائل الثمان في السنة والبدعة والكفر والإيمان» سؤال نصه: «هل يطعن الوهابيون في النبي ﷺ ؟!» فأجاب بقوله: «إن هذا الكلام افتراء عليهم قطعا، وبهتان عليهم جزما، من افتراءات المفترين أصحاب الأغراض الفاسدة، ومن بهتان الكذابين من أهل الزيغ والضلال، كما هو مصرح به في كتب الوهابيين، وقد ذكرها العالم النجدي الشيخ سليمان بن سحمان في عدد من مؤلفاته المطبوعة المنشورة.

قاتل الله أهل الأغراض الفاسدة والمتعصبين من أهل المذاهب البدعية، قد ألقوا ستار الحياء عن وجوههم، والحق أن الوهابيين من أهل السنة والجماعة المستقيمين على الصراط المستقيم.اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه بمنك وفضلك يا أرحم الراحمين»[٢].

---

١ – أجوبة المسائل الثمان، ص: ٢٧-٢٨.

٢ – أجوبة المسائل الثمان، ص: ٧٩.

وقد أكثر –رحمه الله– من النقل عن العلماء السلفيين مرتضيا لمنهجهم ومعتقدهم ومستشهدا بكلامهم بالإضافة إلى وصفه لهم بالصفات والألقاب التي تناسب مقامهم العلمي كقوله: «قال العلامة شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية في الرسالة السنية...»[1]

وكقوله: «قال المحقق الحافظ شمس الدين بن قيم الجوزية في كتابه الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي...»[2].

وكقوله: «قال العلامة المحقق الشوكاني...»[3].

وكقوله: «وفي كتاب الإعتقاد عن أدران الإلحاد للعلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني»[4].

وكقوله: «وذكر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كتابه التوحيد أن النذر عبادة والعبادة لاتكون إلا لله وحده خاصة»[5] إلخ...

---

١ – حكم الله الواحد الصمد، ص:٣٣، ٤٥.

٢ – المصدر نفسه، ص:٤٧.

٣ – المصدر نفسه، ص:٣٨ ، ٤٤.

٤ – المصدر نفسه، ص:٣٧.

٥ – انظر: كتاب التوحيد، باب من الشرك النذر لغير الله، ص:٦٣، منشورات المؤسسة السعودية بالرياض، وحكم الله الواحد الصمد، ص:٣٥، وللتوسع في أسماء الكتب والمصنفات في مجال العقيدة التي حرر العلامة المعصومي وما هو الأرجح المعتمد المعول عليه منها، راجع مقدمة كتابه حبل الشرع المتين، ص:٦-٨.و يسرد بعض الكتب التي ذكرها المعصومي و يقول إنه لم يعتمد على كتب.

وهـذا غـيض مـن فـيض، فالعلامـة المعصـومي -رحمـه الله- معـروف بالإنتصار لأهل السنة والجماعة ومصادرهم والدفاع عنهم، والمطالع في مؤلفاته يلاحظ ذلك بشكل واضح.

وسنرى في المبحـث الآتـي -بحـول الله وقوتـه- موقفـه المنـاوئ لمصـادر الخلف.

وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق.

المبحث الثالث :

موقفه من بعض الكتب الخلفية في عصره

تقدم موقف العلامة المعصومي من مصادر السلف في العقيدة، وقد ظهر من خلال كلامه أنه كان يجل هذه المصادر، و يتلقى منها عقيدته و ينصرها و يدافع عنها، و في هذا المبحث سنرى أنه -رحمه الله- كان مناوئا لمصادر الخلف واقفا ضدها بجرأة وحزم و منتقدا لها و مظهرا للأسف على أخذ المبتدعين بها، ومبينا ضلالهم وعدم توفيقهم حين رضوا بها بديلا عن مصادر السلف، اتباعا لهواهم الذي جرهم إلى أمور لا تحمد عقباها.

ذكر المعصومي – رحمه الله– في ثنايا كتبه كثيرا منها، يقول في كتابه تمييز المحظوظين: «اعلم أن الأمة إذا تركت العمل بكتابها المنزل من ربها اعتقادا و عملا قست قلوبها فصارت ملعونة، والمسلمون منذ تركوا التدبر في كلام ربهم و أهملوا العمل به حق العمل، وكذا تركوا العمل بسنة رسول الله ﷺ إلا ما وافق هواهم وشهوتهم، تفرقت الآراء وتعددت المذاهب و الطرق، و حدثت الشركيات و الكفريات و البدع و الضلالات، فعادى بعضهم بعضا، فتباغضوا و تدابروا و تقاتلوا إلى أن صاروا طعمة لثعابين الإفرنج والروس و الطليان و البلاشفة و الأمريكان و هم لا يشعرون من سكرتهم و لايفيقون، و عن غيهم لا يرجعون،فإنا لله و إنا إليه راجعون»[1].

---

١ –تمييز المحظوظين ص: ٣٢٣–٣٢٤.

و قد أورد –رحمه الله تعالى– قول الله عز وجل {يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و لا تبطلوا أعمالكم }[١].

و قال: «و في الآية إشارة إلى أن كل اجتناب وطاعة لم يكن بأمر الله و سنة رسوله، فهو باطل لم تكن له ثمرة لأنه صدر عن الهوى و الطبيعة، فعليك أيها المؤمن بالطاعة واستعمال الشريعة، و إياك و المخالفة والإهمال.

و من جملة الذين بطلت أعمالهم الذين يصدون الناس عن سبيل الله و عن استماع كلام الله و كلام رسوله ﷺ، كأكثر البخاريين الذين هم مقيمون في الحرمين، يمنعون مجالسهم عن استماع تفسير كلام رب العالمين، و عن استماع أحاديث رسول الله المبعوث رحمة للعالمين، و ينفرون الناس عن استماع التوحيد الصحيح و أهله، فهم إن ماتوا على هذا الحال قبل التوبة فقد حبطت أعمالهم، فبئس الحال حالهم، وهم وإن ظنوا أنهم يقرؤون «دلائل الخيرات»[٢]، و لكنهم بعيدون ومحرومون من كل الخيرات، أعاذنا الله تعالى من العمى و الضلال.[٣].

و قد ذكر – رحمه الله تعالى– فضل علم السلف و أثنى على علماء السنة المحققين، و قال: «و أما غيرهم من أدعياء العلم والدين والزهد والتقوى، فهم و إن سودوا الدفاتر و ألفوا الأساطير و صنفوا الكتب، و لكنهم مخلطون، و لعقيدة الأنام مخربون، قد ملؤوا الدنيا بالخرافات، و أفسدوا

---

١ – سورة محمد الآية ٣٣.

٢ – سيأتي كلام بالتفصيل في نقد «دلائل الخيرات » للجزولي في هذا المبحث إن شاء الله تعالى.

٣ – تمييز المحظوظين ص: ٢٦٢، ٢٦٤.

العقول بالترهات و الخيالات، و لقبوها بالتصوف و زينوها بالتفلسف، فصار التقي عندهم من يدعو غير الله، و يعبد من دون الله، و ينذر لغير الله، و يرجو غير الله، و يخاف غير الله مسميا إياه بالأقطاب[1] و الأبدال و النجباء و الأوتاد والأغوات[2] و رجال الغيب، فبذلك أشركوا بالله شركا أكبر و هم لايشعرون، وقد لعب بهم الشيطان وهم لا يفهمون، و قد حصل إبليس

---

[1] – هذه مصطلحات صوفية وقد تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية عن حقيقة القطب الغوث الفرد الجامع وأجاب عن سؤال ورد عليه في ذلك في كتابه (زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور) ص:٦٢ وما بعدها وقال: وأما سؤال السائل عن القطب الغوث الفرد الجامع فهذا قد يقوله طوائف من الناس ويفسرونه بأمور باطلة في دين الإسلام، مثل تفسير بعضهم أن الغوث هو الذي يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم، حتى يقول إن مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطته، فهذا من جنس قول النصارى للمسيح عليه السلام، والغالية في علي رضي الله عنه، وهذا كفر صريح يستتاب منه صاحبه، فإن تاب وإلا قتل، فإنه ليس من المخلوقات لا ملك ولا بشر يكون إمداد الخلائق بواسطته، ولهذا كان ما يقوله الفلاسفة في العقود العشرة الذين يزعمون أنها الملائكة، وما يقوله النصارى في المسيح ونحو ذلك كفر صريح باتفاق المسلمين وكذلك أعني بالغوث ما يقوله بعضهم من أن في الأرض ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، يسمونهم النجباء فينتقى منهم سبعون هم النقباء، ومنهم أربعون هو الأبدال، ومنهم سبعة هم الأقطاب، ومنهم أربعة هو الأوتاد، ومنهم واحد هو الغوث وأنه مقيم بمكة وأن أهل الأرض إذا نابتهم نائبة في رزقهم ونصرهم فزعوا إلى الثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وأولئك يفزعون إلى السبعين والسبعون يفزعون إلى الأربعين والأربعون إلى السبعة والسبعة إلى الأربعة، والأربعة إلى الواحد، وبعضهم قد يزيد في هذا وينقص في الأعداد والأسماء والمراتب فإن لهم فيها مقالات متعددة.

[2] – يقال ثلاثة أشياء ما لها أصل: باب النصيرية ومنتظر الرافضة، وغوث الجهال، انظر زيارة القبور لشيخ الاسلام ابن تيمية، المصدر السابق، ص:٦٨.

مقصده منهم بقوله: {لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين}[1]، و لكن قليل من عباد الله الشكور المخلص، اللهم اجعلنا من عبادك المخلصين و الموحدين الشاكرين»[2].

و في الحقيقة أن العلامة المعصومي وقف من الكتب الخلفية المنتشرة في عصره موقفا معارضا و معاديا و مبينا لأسباب الإنحراف الذي أدى بهذه المصادر إلى الضلال و الخروج عن نهج الإسلام الصحيح الخالي من شوائب البدعة، و في هذا المعنى يقول: «تبين لي قصور بني آدم بسبب جهلهم بمعاني كلام ربهم، فلهذا ضلوا وأضلوا، فتعلم القرآن وفهم معناه واجب على كل إنسان، خصوصا المسلمون فإنهم هم المخاطبون بخطابات خاصة لهم: {يا أيها الذين آمنوا} فتدبروا ما شاع و ذاع فيما بين متأخري أدعياء العلم من المسلمين من أن فهم القرآن و العمل به مختص بأهل الإجتهاد، و هم قد انقرضوا منذ عهد بعيد، فمن أبطل الباطل و أفسد الفاسد، إنما دس هذه العقيدة الفاسدة أعداء الإسلام،لإبعاد المسلمين عن معرفة كلام ربهم، فصاروا بذلك محرومين من فهم كلام ربهم العليم الحكيم، و قد صرفوا كل أعمارهم في دراسة الفلسفة و حكمة الهند و اليونان و مباحث الإشراقيين و

١ – سورة ص الآية ٨٢

٢ – تمييز المحظوظين ص: ٣٤١-٣٤٢

المشائين[١]، و أفكار ابن سيناء[٢] و الفارابي[٣] و دراسة ديوان ابن الفارض [٤]، و أهل بخارى ب«ديوان ميرزا عبد القادر البيدل»[٥] الذي يقول

---

١ – الإشراقيون هم أصحاب المكاشفة(!)، و المشائيون هم أصحاب البحث و القياس العقلي، و سموا بذلك لآن زعيمهم وسيدهم طريقتهم – و هو أرسطو– كان يعلم التلاميذ وهو يمشي معهم (!). انظر رسائل الإصلاح (١٩١/١) لمحمد الخضر حسين.

٢– هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا ولد سنة ٣٧٠هـ و يعتبر من كبار الفلاسفة ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء»(٥٣٥/١٧): و قال : «...وهو رأس الفلاسفة الإسلامية، لم يأت بعد الفرابي مثله، فالحمد لله على الإسلام و السنة و له كتاب «الشفاء»و غيره و أشياء لا تحتمل، و قد كفره الغزالي في كتاب «المنقذ من الضلال» و كفر الفرابي»، توفي سنة ثمان و عشرين وأربعمائة.
و انظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في ابن سينا ضمن كتابه «درء تعارض العقل و النقل»(١/٨–١٠) و الأعلام للزركلي ٢٦١/٢ و معجم المؤلفين لعمر كحالة ٢٠/٤.

٣ –هو محمد بن محمد بن طرخان الفرابي فيلسوف رياضي طبيب عارف باللغات قال عنه الذهبي في« السير» (٤١٧/١٥) «له تصانيف مشهورة، من ابتغى الهدى منها ضل وحار منها تخرج ابن سينا نسأل الله التوفيق، وله ديوان مشهور» توفي سنة تسع و ثلاثين و ثلاث مائة.و انظر معجم المؤلفين ١٩٤/١١ن وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٣٥/٢

٤– ابن الفارض هو عمر بن علي الملقب الفارض بن مرشد الحموي ثم المصري حامل لواء الشعر في عصره ومن القائلين بالإتحاد ووحدة الوجود، قال الذهبي في ترجمته عند ذكره لقصيدته التائية المشهورة «فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الإتحاد الذي لا حيلة في وجوده، فما في العالم زندقة ولا ضلال» ومن تصفح ديوانه بان له أنه ينعق بالإتحاد الصريح في شعره، ت ٦٣٢هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، ٣٦٨/٢٢، ٣٦٩ وميزان الإعتدال، ١٣٤/٤–١٣٥. والعبر ٢١٣/٣، تحقيق محمد سعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، والبداية والنهاية لابن كثير ج١٣، ص:١٤٣، وشذرات الذهب ١٥٣/٥،١٤٩.

٥ – هو من شعراء العجم المتأخرين و إنما ذكره المصنف لأنه من بلاده، و قد بحثت عن ترجمته فلم أقف عليها.

بأن أصل الإنسان القرد[١]، و رباعيات الخيام[٢] الزنديق، و لكن لم يصلوا إلىالمقصد الأصلي من فهم كتاب الله و أحاديث رسول اللهﷺ و العمل بهما فبذلك ضيعوا أعمارهم، و أفسدوا أعمالهم و أبطلوا عقائدهم، فصاروا من المحرومين من السعادتين: سعادة الإيمان الصحيح في الدين، و سعادة الدنيا في الخلافة الإسلامية فيما بين العالمين، و إن ادعوا و اغتروا بأنهم مسلمون وعلماء وسادات و مشايخ، و صاروا محرومين من فهم أوامر ربهم وتباعدوا عن الحق بعد المشرقين بل صار أكثرهم محروما من الإيمان الصحيح و توحيد الله رب العالمين في الربوبية و الألوهية والأسماء و الصفات، و بدلوا ذلك بالشرك والإلحاد و عبادة الأرواح و القبور و الأجداد فتدبر هداك الله عز وجل»[٣].

و المطالع في مؤلفات العلامة المعصومي يدرك أنه خصص مساحات كبيرة منها للرد على بعض الكتب الخلفية المنتشرة في عصره و نقدها في العقيدة والمنهج البدعي الذي سارت عليه، حيث اعتبرها مصادر بدعة وضلال و أنكر ما فيها و رده بالأدلة والبراهين القطعية و لا نريد هنا أن ندخل في شرح العوامل و الأسباب التي أدت بكثير من المسلمين إلى ترك

---

١ – كما هي نظرية داروين البائدة الباردة، الحقيرة، الباطلة.

٢ – هو عمر بن ابراهيم الخيامي شاعر فيلسوف فارسي عالم بالرياضيات و الفلك، ذكره الزركلي في« الأعلام»(٥/٣٨) «و قال قدح أهل زمانه في عقيدته» و توفي سنة خمس عشرة و خمس مائة. و قد ألف بعض المعاصرين رسالة سماها «عمر الخيام بين الكفر و الإيمان».

٣ – للتوسع في هذا الموضوع راجع تمييز المحظوظين ص: ١٩–٢٠–٢٢–٢٣.

الأخذ بمصادر السلف و استبدالها بمصادر خلفية لا تمثل الإسلام الصحيح و عقيدته الصافية، فهذا أمر يطول شرحه من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه يخرجنا عن صلب الموضوع، و إنما الذي يهمنا في هذا المبحث هو اقتطاف نماذج من مؤلفات العلامة المعصومي في ردوده على الكتب الخلفية البدعية التي بأيدي كثير من الناس إبان عصره لإلقاء الضوء على موقفه منها بطريقة واضحة وموثقة.

لقد ورد إلى العلامة المعصومي سؤال مكتوب من طلبة العلم بالهند[1] يسألونه فيه عن رأيه في رسائل نشرت في بلادهم بتأليف محمود خان التمنكاني الطرازي[2] إمام بمبيء بالهند و من هذه الرسائل: «آه مهجوران وداد مظلومان »و «أنة مهجور ونفثه مصدور» وقد أجاب -رحمه الله- بقوله: «إعلموا أن رسالة (آه مهجوران) مملوءة من أولها إلى آخرها بالكفريات والشركيات والضلالات والكبائر والأكاذيب، وكذا رسالة (أنة مهجور) كما سأبينه مفصلا إن شاء الله تعالى بحوله وقوته. قال مؤلف (آه مهجوران) المطبوعة في "بومبيء" بعد البسملة حال كونه مناديا ومناجيا ومستمدا

---

١ – ورد عليهم برسالته: حكم الله الواحد الصمد في الطالب من الميت المدد التي ألفها في الهند بعد خروجه من الصين سنة ١٣٥٢هـ باللغتين العربية والفارسية، انظر: عقد الجوهر الثمين، ص: ٢٢١.

٢ – هو محمود خان الطرازي، كان إماما بالجامع الكبير (رنكاري) في بمبئ بالهند في أيام زيارة المعصومي لبلاد الهند و له عدة رسائل فيها من المخالفات الشرعية الشيء الكثير و قد رد المعصومي على بعضها ردودا علمية قوية وجريئة ، و بحثت عن ترجمة له فلم اعثر عليها.

ومستعينا من الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى الذي توفي سنة ٥٦١هـ

المدد يا شاه شاهان المدد المدد يا بير بيران المدد

المدد يا فخر قطبان المدد المدد يا شمس جيلان المدد

المدد يا غوث غوثان المدد المدد محبوب رحمان المدد

إن هذه الجملة يقول العلامة المعصومي - رحمه الله -مكررة في الرسالة إحدى وثمانين مرة، ومعناها أطلب منك الإمداد يا سلطان السلاطين ويا ملك الملوك أمددنا وأعنا وشاه السلطان و الملك، وشاهان السلاطين والملوك، يعني يا سلطان السلاطين (يا بير بيران) الشيخ المرشد المربي (وبيران) جمع بير، ومعناه يا شيخ المشايخ ويا مرشد المرشدين ويا مربي المربين و(يا فخر قطبان) وهو جمع قطب، وهو في اصطلاح الصوفية الخرافية، من اتصف بأعلى درجات الولاية وله التصرف في الكون، ومعناه يا فخر الأقطاب نطلب منك المدد فامددنا، و يا شمس بلاد جيلان أمددنا، و يا غوث الأغواث أمددنا، ويا محبوب الرحمن أمددنا، يعني أنه خاطب الشيخ عبد القادر الجيلاني وناداه بتلك الأوصاف التي يختص غالبها بالله تعالى. فإن سلطان السلاطين وملك الملوك هو الله وحده، وغوث الأغواث هو الله فقط»[1].

والواقع أن هذا الكلام يكفي عرضه عن نقده والرد عليه لوضوح انحرافه عن منهج أهل السنة والجماعة ومعتقدهم في توحيد العبادة، لأن الدعاء

---

١ – حكم الله الواحد الصمد، ص: ٤.

لايكون إلا لله عز وجل، وطلب ما هو من خصائص الله سبحانه وتعالى من المخلوقات هو عين الشرك، نسأل الله تعالى العافية من الشرك ووساوس شياطين الإنس والجن.

وهذا ما أشار إليه العلامة المعصومي في رده على هذه الشركيات التي يهذي بها مؤلف رسالة «آه مهجوران» حيث أمر المسلم بالتدبر والتفكر ليعرف مخالفة ذلك لما كان عليه الرعيل الأول من هذه الأمة وذلك بقوله: «يا أيها المسلم العاقل الصحيح الإسلام تدبر وتفكر هل ثبت أن أحدا من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، نادى النبي ﷺ في حياته أو بعد مماته من بعيد واستغاث به، ولم يثبت عن أحد منهم أنه فعل مثل ذلك، بل قد ورد المنع من ذلك.

وبالجملة إن المحققين من علماء الحنفية[1] سلفا وخلفا متفقون على هذه المسألة، وإني قد كنت حررت هذه المسألة في رسالتي الموسومة (العقود الدرية السلطانية في ما ينسب إلى الأيام النيروزية) المطبوعة في مصر سنة ١٣٢٨هـ

١- يكثر العلامة المعصومي من ذكر الحنفية وعلمائها ويستشهد بكلامهم أكثر من غيرهم من العلماء و ذلك في نظري يعود لأمرين:

الأمر الأول : أنه عاش صدرا من عمره في محيط علمي حنفي وكان على المذهب الحنفي و قد درسه كثيرا و عرفه جيدا.

الأمر الثاني :أنه دائما يوجه خطابه إلى أتباع المذهب الحنفي لأنه هو السائد في وطنه و في تلك البلاد بوجه عام لذلك يريد أن يقنع أهل تلك البلاد بكلام أئمة الحنفية لأنه إذاكان الكلام ممن يعظمونه و يجلونه فإن ذلك ادعى للقبول و الإذعان والله أعلم.

وهذا نصها: ومنها أي من البدع المألوفة التي ابتلي بها العوام بل الخواص، القول والإعتقاد بأن الأولياء المدفونين في المقابر التي بنيت عليها القبب يتصرفون كيف يشاؤون، والنذر لهم قربة، فهو باطل لا طائل تحته، وإنما هم رجال صالحون ماتوا ولا يقدرون على أدنى شيء إلا بإذن الله تعالى. ومن اعتقد انهم يتصرفون كيف شاؤوا يخشى عليه الكفر، بل هو شرك وكفر بلا تردد. وأما النذر لهم فلا يجوز لأن النذر لايكون إلا لله وحده، وما ينذر إلى ضرائحهم من الشموع وغيرها لا يجوز، فالذين يجلسون على ضرائح أولئك الصلحاء، أو يأكلون مما جاء من النذور وهم أغنياء، ويقولون هو نذر جدنا فلان ويدعون أنهم قدوة، فهؤلاء من حزب الشيطان فالحذر كل الحذر»[1].

وفي رده على رسالة محمود خان التمنكاني «آه مهجوران» التي سبق ذكرها، ذكر نصوصا كثيرة شركية أوردها مؤلفها وقال: «اعلموا يا أيها المسلمون وفقني الله وإياكم لما فيه رضاه، ويا أيها الحنفيون هداني الله تعالى وإياكم إلى الصراط المستقيم، أن هذه الكلمات كلها شرك وكفر وضلال في الدين الإسلامي، والشرع المحمدي، والمذهب الحنفي، بل المذاهب الأربعة إجماعا، وقائلها مشرك لا تصح صلاته ولا صيامه ولا حجه ولا إمامته، إلا إذا تاب وآمن وأعلن توبته كما أشهر شركه، ولاشك أن كون تلك الكلمات شركا وكفرا وضلالا ثابتا في الكتاب والسنة وإجماع الأئمة من الصحابة والتابعين والسلف الصالحين كما هو مصرح به في كافة الكتب الفقهية

---

١ – حكم الله الواحد الصمد، ص: ١٤، ٩. وانظر هذه المسألة في كتاب العقود الدرية، ص: ٧٦.

الحنفية المعتبرة، وكذا معتبرات مذهب الشافعية والمالكية والحنابلة، ولاشك أن نداء الميت سواء كان قريبا أو بعيدا ولو نبيا يستلزم طلب الإمداد منه وطلب الإمداد منه يستلزم اعتقاد أنه يعلم الغيب وأنه يقدر على التصرف والدفع والمنع، وخصوصا إذا كرر وأكد النداء والطلب فإنه لايبقى للتأويل محل، وذلك كفر صريح وشرك قبيح.

والمتصرف القادر على كل شيء وعالم الغيب هو الله تعالى وحده لا شريك له، والله سبحانه وتعالى هو الرب وحده وأما سائر المخلوقات إنسيا وجنيا ووليا ونبيا فكلهم مخلوق ومربوب ومحتاج إلى تربية الرب الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، فإياه نعبد وإياه نستعين، فالإستعانة من الأموات وأهل القبور والأرواح أيا كان المستعان به ولو نبيا، من شعائر المشركين من المجوس والبراهمة والبوذيين والصائبة والمنجمين[1].

وفي رده على هذه الرسالة المليئة بالكلام المناقض للتوحيد والإيمان وذلك بصرف مؤلفها لكل ما هو من خصائص الله عز وجل للمخلوقات التي لاتقدر على التصرف في أنفسها فضلا عن غيرها، بين ما فيها من انحرافات وزيف وشركيات وقد أكد كلامه بنقل نصوص كثيرة عن أئمة العلم والدين كلها تؤيد ما ذهب إليه وقال: «فيا أيها الإخوان أرشدكم الله وإياي، إن رب العالمين هو الخالق المربي عبيده بنعمه، ومدبر أمورهم بسنته، وشارع الدين لهم، فهو الإله المعبود بالفعل، أي الذي تتوجه إليه قلوب العباد بالأعمال النفسية

١ – حكم الله الواحد الصمد، ص: ٧–٨.

والبدنية رجاء الثواب ومنع العقاب عن اعتقاد أنه صاحب السلطان الأعلى والقدرة على النفع والضر بالأسباب المعروفة وغير المعروفة إذ هو مسخرها، فالحقيق بالعبادة هو الرب الخالق المدبر وحده، ولكن من البشر من يترك عبادته ومنهم من يعبد غيره معه أو من دونه.

فمن اعتقد أن إنسانا أو ملكا أو غيرهما من الموجودات يخلق كما يخلق الله أو يقدر على تدبير شيء من أمور الخلق والتصرف فيها بقدرته الذاتية غير مقيد بسنن الله تعالى العامة في الأسباب والمسببات كأمثاله من أبناء جنسه فقد اتخذه ربا، وكذلك من أعطى أي إنسان حق التشريع الديني بوضع العبادات كالأوراد المبتدعة التي تتخذ شعائر موقوتة كالفرائض فقد اتخذه ربا، وأما إذا دعاه فيما لايقدر عليه المخلوقون بما لهم من الكسب في دائرة السنن الكونية والأسباب الدنيوية أو سجد له أو ذبح القرابين له أو طاف بقبره وتمسح به وقبله تقربا إليه وابتغاء مرضاته وعطفه أو إرضائه الله عنه وتقريبه إليه زلفى، ولم يعتقد مع هذا أنه يخلق ويرزق ويدبر أمور العباد فقد اتخذه إلها لا ربا فإن جمع بين الأمرين فهو المشرك في الربوبية والألوهية معا»[1]. فسبحان الله كيف ساغ لهذا الرجل محمود خان أن يتفوه بهذه العبارات الشركية في هذه الرسالة ويدعو لذلك. وينشره بين الناس رغم

---

١ – حكم الله الواحد الصمد، ص: ٢٩–٣٠.

أنه إمام مسجد ويدعي الإسلام {فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور}[1].

ومهما يكن حال هذا البدعي الخلفي الضال المضل فقد حكم عليه العلامة المعصومي بالشرك والكفر حيث قال: «إن مؤلف (آه مهجوران) مشرك وكافر وضال ومضل خارج عن دين الإسلام وقد حبط صومه وصلاته وحجه وبانت منه منكوحته فلا تجوز إمامته أصلا ولا الإقتداء به مطلقا، ويجب عليه التوبة وإعادة الصلاة والصوم والحج وتجديد نكاح زوجته، ويجب على كل من صلى خلفه مقتديا به إعادة ما صلى خلفه كما هو مصرح به في كثير من معتبرات المذهب الحنفي.

وغالب الظن أن الله تعالى إنما غضب على أهل التركستان وبخارى والروسية وسلط عليه البلاء الأحمر (أعني البلاشفة) بشؤم أمثال هذا المشرك الخادع الخائن لله ولرسوله ولجماعة المسلمين، وإني أخاف يا أهل "بمبيء" بل ويا أهل الهند نزول الطوفان الأحمر على هذه الديار بسبب شؤم هذا الضال المضل وأمثاله من عباد القبور، فعليكم أن تستيقظوا من رقدتكم وتنتبهوا من غفلتكم، وتوبوا إلى ربكم واسلكوا سبيل الله الذي بينه في كتابه الكريم بواسطة نبيه الحكيم سيدنا محمد عليه الصلاة والتسليم»[2].

رده على رسالة «أنة مهجور ونفثة مصدور»

---

١ – سورة الحج، الآية: ٤٦.

٢ – حكم الله الواحد الصمد، ص: ٣٠-٣١.

٢–إنه من خلال الإبيات السابقة لهذا البيت أقسم المؤلف بأقسام كثيرة من المخلوقات

تقدم أن هذه الرسالة من تأليف محمود خان الذي هو مؤلف رسالة «آه مهجوران» الآنف ذكرها والتي عرضنا لنماذج من ردود العلامة المعصومي عليها في الصفحات الماضية من هذا المبحث، والآن سوف نلقي الضوء على موقفه رحمه الله من هذه الرسالة الضالة المضلة المسماة «أنة مهجور ونفثة مصدور».

يقول الشيخ المعصومي رحمه الله في بداية كلامه في الرد عليها وكشف زيفها وإماطة اللثام عن شركياتها: «وأما ما تفوه به في رسالته الملعونة «أنة مهجور ونفثة مصدور» فأقول وبالله الهداية والتوفيق: قد طالعتها فرأيتها مملوءة بالأقوال التي يكون قائلها وفاعلها وقارئها الراضي بها من الآثمين ومن حزب الفاسقين، نسأل الله السلامة والعفو، قال في ابتداء نشيدته:

بالنجم أقسم يا عذول إذا هوى والليل والشمس المنيرة والضحى٢

فاعلم أولا أن أمثال هذه الأقسام والأيمان مختصة بالله تعالى، فلا يجوز لمسلم أن يقسم به دون الله تعالى، وهذا الناظم الجاهل كأنه جعل نفسه الخبيثة شريكا لله العلي الكبير، وهذا شرك بنص الحديث الصحيح النبوي كما سأبينه إن شاء الله تعالى، وثانيا أنه ادعى أنه في مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى، والحال أن مذهبه ومذهب أصحابه وكذا مذاهب سائر أئمة المسلمين بريء منه، لأنه قد صرح في جميع كتب الحنفية متونا وشروحا وفتاوى أنه لايجوز القسم بغير إسم من أسماء الله تعالى، وقد كنت حررت في

كتابي «حبل الشرع المتين»[١] خلاصة المذهب أن الحلف بغير الله لايجوز ولايصح القسم ولايكون حالفا أصلا، كبالنبي أو الكعبة أو الأولياء أو النصب أو برأسك أو بحياتك أو نحو ذلك، وهو حرام وكبيرة لما أخرجه الترمذي في سننه والحاكم في المستدرك أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك»[٢]، وفي رواية «كل يمين يحلف بها دون الله تعالى شرك»[٣]، وذلك مذهب أبي حنيفة مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله[٤].

وفي ختام رده على الرسالتين المذكورتين آنفا قال: «وبالجملة إن الأدلة المانعة عن الحلف بغير الله أكثر من أن تحصى وذكرها كلها يطول، فما بينا يكفي لأهل الدين والعقول، فثبت بهذه الأدلة القاطعة أن المحمود كما كان كفر بما قاله في رسالته (آه مهجوران) كذلك كفر وأشرك بحلفه بغير الله في أول رسالته (أنة مهجور ونفثة مصدور).

ومع هذا صار هذا الضال سببا لضلال كثير من العوام ضعفة العقول الذين صدقوا ما قاله، نعوذ بالله منه ومن أضرابه[٥] ونسأل الله عز وجل أن يحفظنا من كل شر ومن كل ضلالة إنه ولي ذلك والقادر عليه».

---

١ – انظر: حبل الشرع المتين، ص: ٢٦٧-٢٦٨.

٢ – سنن الترمذي ١١٠/٤ والمستدرك للحاكم ١٨/١ قال الترمذي على إثره «هذا حديث حسن» وقال الحاكم «هذا حديث على شرط الشيخين فقد احتجا بمثل هذا الإسناد».

٣ – أخرجه الحاكم في «المستدرك» ١٨/١

٤ – حكم الله الواحد الصمد، ٣٤-٣٦.

٥ – حكم الله الواحد الصمد، ص: ٣٧.

لقد أخذ الرد على الكتب الخلفية المنتشرة في أيامه مساحات كثيرة من مؤلفات العلامة المعصومي -رحمه الله- وكان لجانب حماية توحيد الألوهية من الشرك نصيب وافر من تلك الردود التي رد بها الشيخ المعصومي على الجهلة والخرافيين والمتصوفة وغيرهم، وفي هذا المجال فقد تتبع كتاب «دلائل الخيرات»[1] وانتقده ونقضه، وركز عليه لأنه من مشاهير الكتب المختصة بالأوراد والأذكار البدعية، وفيه من المخالفات الشرعية الشيء الكَثير، وفي بداية حديثه عن هذا الكتاب وما ينحو نحوه من كتب الأوراد والأحزاب مهد لذلك بكلام علمي مفيد بين فيه ما هو الواجب على المسلم في حق رسول الله ﷺ.

وقال في كلامه على قراءة دلائل الخيرات ونحوها من الأوراد والأحزاب: «فاعلم أن الواجب على المسلم في حق النبي ﷺ أمران:

الأول: اتباعه وامتثال أمره والإحتراز عن ما نهى عنه لقول الله تعالى: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}[2].

والثاني: الصلاة والسلام عليه لقول الله تعالى: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما}[1].

---

١ - كتاب دلائل الخيرات، له عدة طبعات وهو لمؤلفه محمد بن سليمان الجزولي المتوفى سنة ٨٧٠هـ، له ترجمة في النجوم الزاهرة ٢٠٣/١٦ وقد عارض كتاب دلائل الخيرات الشيخ خير الدين وائلي بكتاب اسمه «دليل الخيرات وسبيل الجنات» رد فيه بالأدلة على كتاب الجزولي المذكور، وقد طبع عد مرات في مكتبة الوادي للتوزيع بجدة.

٢ - سورة الحشر، الآية: ٧.

وأفضل صيغ الصلاة ما تقولها في صلواتك بعد التشهد: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد كما ورد في الأحاديث الصحاح[٢].

ولم يثبت التوقيت في الصلاة على رسول الله ﷺ إلا في الصلاة بعد التشهد، أو كلما ذكر اسمه الشريف، فصل وسلم على النبي ﷺ، كلما بدا لك، في ليلك ونهارك، قدر طاقتك من غير توقيت، لأن التوقيت في العبادات حق لله تعالى كما لايخفى، سواء كانت العبادة مكتوبة أو نافلة.

فإذا فهمت هذا فاعلم أن في قراءة «دلائل الخيرات» وما شاكلها من الأحزاب تعيين أوقات مخصوصة لكل جزء منها، مثلا حزب يوم السبت، وحزب يوم الأحد، ... وهكذا في أيام الأسبوع، يعد من قبيل اتباع الهوى[٣].

إنّ من المعلوم عند أهل السنة والجماعة أنه لايجوز سؤال الله عز وجل بحق مخلوقاته، وهذه إحدى المسائل التي رأى العلامة المعصومي أنها من المحظورات التي تضمنها كتاب «دلائل الخيرات» لذلك نجده يقول: «لايجوز سؤال الله بحق فلان وفلان وهذا هو الحق الصريح وليس وراء الحق

---

١ – سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

٢ – انظر: سردا جامعا للصيغ الصحيحة في هذا الباب ضمن كتاب: «صفة صلاة النبي ﷺ» (١٦٤–١٦٧) لمحمد ناصر الدين الألباني، وللإمام ابن القيم كتاب جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، وللحافظ السخاوي كتاب «القول البديع في الصلاة والسلام على الحبيب الشفيع، وهما مطبوعان.

٣ – أجوبة المسائل الثمان، ص: ٦٤–٦٥.

إلا الضلال، فما في دلائل الخيرات، أسألك بطاعة الأرواح الراجعة إلى أجسادها، وبطاعة الأجساد الملتئمة بعروقها، وأسألك بحرمة الشهر الحرام الخ...، وقوله في الحزب السادس اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بحبيبك المصطفى عندك، يا حبيبنا يا محمد إنا نتوسل بك إلى ربك فاشفع لنا عند المولى العظيم، يا نعم الرسول الطاهر، اللهم شفعه فينا بجاهه عندك إلخ، فهذا وأمثاله محظور ومنهي عنه، لأنه سؤال الله تعالى بواسطة المخلوق والتوسل بالمخلوق، وفيه سؤال المخلوق، فكل هذه الدعوات والأعمال مخالفة لنص كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ونصوص الأئمة جميعا»[1].

إن كتاب دلائل الخيرات يعتبر من الكتب الخرافية التي سادت على أيدي مشايخ الطرق الصوفية في زواياهم التي انتشرت في العالم الإسلامي إبان العصور الوسطى – وللأسف– وهذا الكتاب كما يقول العلامة المعصومي فيه الكلمات المنافية للتوحيد[2] بالإضافة إلى ما فيه من الأدعية المخالفة للأدعية المأثورة الثابتة للعالمين عن رسول الله ﷺ كقوله: «اللهم إني أسألك بحق عرشك العظيم، وأسألك بحرمة الشهر الحرام والبلد الحرام والمشعر الحرام وقبر نبيك عليه السلام، وأسألك بحق ما أقسمت به عليك»... وكذا ما في بعض كتب أدعية المتأخرين من السؤال بحق المخلوق على الخالق فكلها مما

---

١ – البرهان الساطع، ص:٦٤–٦٥ وانظر هذا الموضوع، التوسل والوسيلة لشيخ الاسلام ابن تيمية، وكذلك القول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي للشيخ محمد أحمد خضر، وفصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال لأبي بكر خوفير.

٢ – انظر: أجوبة المسائل الثمان، ص:٦٦.

يكرهه الشرع المحمدي والمذهب الحنفي الحنيفي، فينبغي الإحتراز عن استعمال تلك الكلمات المبتدعة، وعليك يا أخي بالإتيان بالأدعية المأثورة الثابتة عن سيد المرسلين المبعوث رحمة للعالمين ﷺ ليكون سعيك مشكورا، وعملك مبرورا، ودعاؤك مقبولا، بفضل الله تعالى وكرمه، واحترز عن البدع الدينية كلها عموما، والأدعية المخترعة والصيغ المصطنعة خصوصا لئلا يكون دعاؤك مردودا، وعملك مطرودا، لأن مبنى العبادات على الإتباع لا على الإبتداع، فتبنه وكن من المتبعين لا من المبتدعين[1].

إن الكلمات البدعية التي تضمنها كتاب دلائل الخيرات من البدع والمحظورات والمنكرات هي في الحقيقة صورة للفكر الصوفي في العصور المتأخرة، في كل مكان حسب اطلاعي، ومن هذه الكلمات قوله: «يا غياث المستغيثين لاإله إلا أنت بجاه سيدنا محمد أغثنا وارحمنا...».

وهكذا يقول المعصومي -رحمه الله- فقد ذكر هذه العبارة في كل حزب كما لايخفى على الواقفين عليه!

وهذا دعاء الله وسؤاله بغير أسمائه الحسنى، وسؤال بالمخلوق وتوسل به، وهذا مخالف لما أمر الله تعالى به، ولو قال بفضلك اللهم وكرمك لكان صوابا وحقا، ولكنه أتى بهذه اللفظة البدعية، والدعاء بالألفاظ البدعية بدعة في الدعاء، وبدعة في الدين، والبدعة في الدين ضلالة، فكيف يتعبد بهذه المنكرات والضلالات؟!

---

١ - البرهان الساطع، ص: ٦٢-٦٣

فتدبروا يا أصحاب الدين والإيمان! فيا أخي المسلم صل على رسول الله ﷺ بما ورد عنه ﷺ من الصيغ المأثورة من غير التزام الصيغ المبتدعة.

وفقني الله تعالى وإياك لمرضاته آمين[1].

لقد رد العلامة المعصومي على مصادر الخلف كثيرا، ولاتكاد تقلب صحيفة من كتبه إلا وجدت ما يشير لذلك[2]، وفي هذا المجال أذكر رده على أوراد الفتحية حيث عنون لهذا الموضوع بالعنوان التالي: «ضلال ما في أوراد الفتحية» وقال: «ولكن العجب كل العجب أن المتأخرين من الأحناف وأهل بخارى وما وراء النهر والفرغانة خصوصا، أنهم في صبيحة كل يوم يقرؤون دائما الأوراد التي يسمونها: «الأوراد الفتحية»، ومن جملة ما فيها: «سبحانك ما عرفناك حق معرفتك»، ولاشك أن هذا مخالف لما ثبت عن الإمام أبي حنيفة -رحمه الله تعالى- فيه كما علمته، وجعلوها وردا لازما على أنفسهم، فهم في انتسابهم في هذا إلى الإمام أبي حنيفة -رحمه الله تعالى- كاذبون وأبو حنيفة بريء مما يفعلون.

نعم إنهم لايعرفون الله ربهم بصفاته كما ورد في الكتاب والسنة بل يؤولون الصفات تأويلات فلسفية فيحرفون ويغيرون ويبدلون، ويقيسون رب العالمين الذي لامثيل له ولا شبيه بالملوك والجبابرة من البشر، فيا خسارة قوم

---

١ - أجوبة المسائل الثمان، ص: ٨٥-٨٦.

٢ - انظر على سبيل المثال لا الحصر كتبه التالية: «حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد» و «البرهان الساطع في تبرئ المتبوع من التابع» و «أجوبة المسائل الثمان في السنة والبدعة والكفر والإيمان».

لايعرفون ربهم حق المعرفة، فيشبهونه بالمخلوقات، فلهذا ينذرون للمخلوق ويطلبون حوائجهم من المخلوق الميت والأرواح، فيشركون بالله في الدعاء، والنذر والتوسل والعبادة، كما هو غير خفي على العالم البصير، فهؤلاء في الحقيقة جهلاء ولكنهم يدعون أنهم علماء وعرفاء فأنا بريء منهم ومن أعمالهم وأقوالهم المخالفة لدينك وشرعك[١].

لقد رأينا من خلال المبحث السابق موقف العلامة المعصومي من المؤلفات الخلفية التي سادت في عصره في بعض الأقطار، وعدائه للخلفيين المبتدعين الراغبين عن مصادر الإسلام الصافية الأولى، كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ إلى مصادر اخترعوا الكثير منها من عند انفسهم، لاتمثل الإسلام الصحيح لا في العقيدة ولا في المنهج ولا في غير ذلك من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، ولكن الشيخ المعصومي رد على انحرافاتهم وشبهاتهم وبين زيف مصادرهم بطريقة علمية ومفصلة ومدعمة بالأدلة الشرعية، حتى تبين الحق لكل من يريده في هذا المجال الخطير، ولو تأمل العاقل ما في المصادر الخلفية –خاصة ما ذكرنا رد المعصومي عليه– لأعرض عنها ونهى الناس عن قراءتها لما فيها من الكذب والإفتراء والشرك والضلال بل لسعى في إخراج نسخها من بيوت المسلمين وتطهير المساجد منها التي هي بيوت الله عز وجل حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

---

١ – البرهان الساطع، ص: ٥٧–٥٨.

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، إنـك نعم المولى ونعم النصير وأنت ولي التوفيق والهادي إلى سواء الطريق.

الفصل الثاني:

جهوده في تقرير أنواع التوحيد

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد : في أهمية توحيد الله عز وجل

المبحث الأول : جهوده في تقرير توحيد الربوبية

المبحث الثاني : جهوده في تقرير توحيد الألوهية

المبحث الثالث : جهوده في تقرير توحيد الأسماء والصفات

تمهيـــد

في تعريف التوحيد وأهميته

قبل الدخول في تفصيل الكلام عن جهود العلامة المعصومي رحمه الله في تقرير انواع التوحيد أود أن أعطي لمحة عن تعريف التوحيد وأهميته وتلقي الضوء على مكانته و تبين حاجة الإنسان إليه في دينه ودنياه و عاجله و آجله، وفيما يلي نبدأ بتعريفه فنقول وبالله التوفيق:

التوحيد:

لغة: مصدر وحد يوحد توحيدا أي جعله واحدا واعتقده واحدا[١].

و في الإصطلاح هو إفراد الله بالعبادة، أي أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئا، لا تشرك به نبيا مرسلا و لا ملكا مقربا و لا رئيسا و لا ملكا و لا أحدا من الخلق بل تفرده و حده بالعبادة محبة وتعظيما و رغبة ورهبة.

و هناك تعريف أعم للتوحيد و هو إفراد الله سبحانه بما يختص به[٢] وقد دلت نصوص الشرع على هذا المعنى، فمن ذلك قوله تعالى: {واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا}[٣]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل ما في القرآن من الأمر بالعبادة المراد به التوحيد. وروى ابن جرير بسنده عن ابن

---

١ – القاموس المحيط، مادة «الواحد» (٤٧٧/١).

٢ –معجم الفاظ العقيدة تصنيف ابن عبد الله عامر عبد الله فالح تقديم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين ، مكتبة العبيكان الرياض.

٣ – سورة النساء، الآية: ٣٦.

عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى: {يا أيها الناس اعبدوا ربكم}(١) أي وحدوا ربكم(٢).

أما السنة فقد ورد لفظ صريح دال على هذه الكلمة من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه في إحدى الروايات أنه قال: «فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله»(٣).

وعندما نتأمل في كتب العلماء نجد أنهم قد قسموا التوحيد إلى أقسام عدة، وخلاصة تلك الأقسام أن التوحيد منقسم إلى ثلاثة أقسام:

توحيد الربوبية، توحيد الألهية، وتوحيد الأسماء والصفات(٤).

ومن العلماء من قسمه إلى قسمين:

---

١ – سورة البقرة، الآية: ٢١

٢ – تفسر ابن جرير (١/١٩٦)

أمته إلى توحيد الله تبارك ﷺ٣ – رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي
وتعالى (١٣/٤٣٠)، الفتح ح/٧٣٧٢.

هذا التقسيم للتوحيد إلى هذه الأقسام الثلاثة يعترض عليه بعض الناس من غير أهل السنة و - ٤
يقولون إنه لا دليل عليه لا من كتاب و لا سنة و لم يعرف عند الرعيل الأول من هذه الأمة و لا في
بأنها خير القرون و إنما عرف عند السلفيين في ﷺالقرون الأولى المفضلة التي شهد لها النبي
العصور المتأخرة، لذلك فإنه في نظر هؤلاء يحتاج إلى تأصيل و قد أجاب العلامة الشيخ محمد الأمين
بن محمد المختار الشنقيطي إلى اعتراض هؤلاء على هذا التقسيم مستدلا بالإستقراء حيث قال«و قد
دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة اقسام : الأول توحيده في ربوبيته، و
الثاني توحيده جل و علا في عبادته ، و الثالث توحيده جل و علا في اسمائه و صفاته» أضواء
البيان ٣/٤١٠–٤١١.

١- توحيد المعرفة والإثبات، وهو شامل لتوحيد الربوبية والأسماء والصفات.

٢- توحيد الإرادة والقصد والطلب، وهو شامل لتوحيد الألوهية، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى[١]، وقد دلت نصوص الوحي على هذا التقسيم كما علمت هذه الأقسام بطريقة التتبع والاستقراء لنصوص الكتاب والسنة، والاستقراء دليل معتبر كما هو معروف.

إن توحيد الله تعالى هو أول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، و أول مسالك الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل، و هو أصل الدين و جوهره، و فيه تتفق جميع الرسالات السماوية، وفي هذا المعنى يقول الله عز وجل{شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا و الذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى و عيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه..}[٢]

قال الحافظ بن كثير في تفسيره لهذه الآية: الدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لاشريك له كما قال عز وجل {و ما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون}[٣] فالقدر

---

١ - ذكره ابن تيمية في التدمرية ص:٥، وذكره ابن القيم في مدارج السالكين (٣٣/١)

٢ -سورة الشورى الآية ١٣

٣ - سورة الأنبياء الآية ٢٥.

المشترك هو عبادة الله وحده لاشريك له، و إن اختلفت شرائعهم ومناهجهم كقوله جل جلاله {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا}[١].

فالتوحيد هو أصل كل سعادة، ومفتاح كل خير و العلم بالله تعالى أصل كل خير، والعمل له أصل كل عمل، و ليس للخلق صلاح إلا في معرفة ربهم وعبادته، و بذلك تتم لهم السعادة الأبدية في الدنيا و الآخرة، فالتوحيد أساس الإسلام، و هو أول ما يدخل به في الإسلام و آخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي صلى الله عليه و سلم «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[٢].

فهو أول واجب و آخر واجب، فمنه البداية وإليه النهاية، فالعبد لايكون مسلما إلا بالتوحيد و لا يدخل الجنة إلا بالتوحيد، و لا يخرج من النار إلا بالتوحيد. و قد أطبقت جميع الرسل بدعواتهم على التوحيد، كما قال تعالى {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله و اجتنبوا الطاغوت}[٣].. بل الغاية التي خلق الله العباد من أجلها هي التوحيد كما قال تعالى{ و ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}[٤].

---

١ – انظر تفسير ابن كثير ١١١/٤، مكتبة العلوم والحكم المملكة العربية السعودية المدينة المنورة١٤١٣هـ/١٩٩٢م، و الآية من سورة المائدة رقم ٤٨.

٢ –اخرجه الحاكم في المستدرك ص: و قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني : حديث حسن او صحيح، راجع تخريجه لأحاديث شرح العقيد الطحاوية لإبن أبي العز الحنفي ص:٧٥

٣ –سورة النحل الآية ٣٦

٤ –سورة الذاريات الآية ٥٦

فالرسل دعوا إلى التوحيد و الكتب المنزلة عليهم أمرت بالتوحيد و أوجبته[1]، بل هو أصل الدعوة ومقصودها و غايتها، و قد أخبر الله عز وجل في كتابه العزيز أنه أحبط الأعمال الصالحة بزوال التوحيد كما قال تعالى {مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد}[2] وقوله عز وجل {لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين}[3].

و قد بعث الله تعالى نبيه محمدا ﷺ داعيا إلى الإيمان، راسما طريق الهدى ومحذرا من طريق الزيغ و الضلال، فقد جاءنا بالقرآن الكريم حاملا الهداية لمن تمسك به،و إن مما جاء به القرآن الكريم ذلك المنهج القويم في توحيد الله عز وجل، و قد هدى فيه للتي هي أقوم الطرق و أعدلها و هي توحيد الله عز وجل في ربوبيته، و بيان أن الله وحده خالق كل شيء، و توحيده في ألوهيته ونعني به استحقاقه جل شأنه أن يعبد وحده لا شريك له، و توحيده في اسمائه و صفاته، ولهذه الأهمية نرى العلامة المعصومي يركز في ثنايا كتبه على مسألة أهمية التوحيد، حيث يقول في كتابه أوضح البرهان في تفسير أم القرآن « إن التوحيد أهم ما جاء لأجله الدين، و لذلك لم يكتفي في الفاتحة بمجرد الإشارة إليه بل استكمله بقوله إياك نعبد و إياك نستعين فجث بذلك جذور الشرك و الوثنية التي كانت فاشية في جميع

---

١ – أنظر أوضح البرهان ، ص: ١٩٥

٢ – سورة إبراهيم الآية ١٨

٣ – سورة الزمر الآية: ٦١

الأمم و هي اتخاذ أولياء من دون الله تعتقد لهم السلطة الغيبية و يدعون لذلك من دون الله و يستعان بهم في قضاء الحوائج في الدنيا و يتقرب بهم إلى الله زلفى، و جميع ما في القرآن من آيات التوحيد و مقارعة المشركين،إنما هو تفصيل لهذا الإجمال و قد أمرنا الله تعالى بتوحيده و عبادته رحمة منه سبحانه بنا لأنه لمصلحتنا و منفعتنا[1].

و سيأتي بيان جهود الشيخ المعصومي رحمه الله في تقرير أقسام التوحيد الثلاثة في المباحث الآتية.

---

١ - أنظر أوضح البرهان ص: ١٢١ و كذلك ص: ١٥-١٧

المبحث الأول:

توحيد الربوبية

إن توحيد الربوبية يقول به المشركون و فطر العقلاء مجبولة عليه ، قال تعالى{ و لئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله..}[1].و قال جل شأنه: { قل من يرزقكم من السماء و الأرض أمن يملك السمع و الأبصار و من يخرج الحي من الميت و يخرج الميت من الحي و من يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون}[2].

و قد جبلت فطر العقلاء على هذا النوع من التوحيد، و لذلك لم ينكره المشركون[3] حيث أقروا بوجود الله تعالى و أنه عز وجل هو الخالق الرازق المدبر لهذا الكون، و لهذا فإنهم عند ما أنكروا البعث يوم القيامة أرشدهم الله سبحانه و تعالى لأن يستعملوا عقولهم ليفهموا أن من هو قادر على بداية الخلق فهو بالأحرى قادر على البعث و الإعادة وقد أورد العلامة المعصومي في هذا المعنى قول الله عز وجل{ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغةمخلقة وغير مخلقة

---

١ - سورة الزخرف الآية ٨٧

٢ - سورة يونس الآية ٣١

٣ - قال المعصومي «منهم -يعني المشركين- من كان لا يعرف خالق العالم وينكر وجوده تعالى و يعتقد أن الأشياء حادثة بنفسها توجدها الطبيعة و المادة و الدهر و هم الدهريون و الطبيعيون والماديون و المنجمون كفرعون و أضرابه و البلاشفة وقد بين الله عز و جل إثبات وجوده و دل عليه بوجود مخلوقاته و عجائب مصنوعاته كما فصله في آيات كثيرة» أوضح البرهان ص: ٢٩-٣٠.

لنبين لكم}[1]، و قال «و هذا الخطاب عام لجميع بني آدم أحمرهم وأبيضهم وشرقيهم وغربيهم، و إعلام منه تعالى أن كل فرد منهم قد خلقهم الله تعالى و أصله من تراب وهو آدم أبو البشر عليه الصلاة والسلام، ثم من بعده من نطفة من مني يمنى. فيرشد الله تعالى الناس كلهم إلى أن يستعملوا عقولهم و يستدلوا بوجود أنفسهم و سائر الموجودات على وجود الله تعالى خالقهم ووحدانيته و قدرته و علمه»[2].

و هذا النوع من التوحيد لا ينفع إلا بإخلاص العبادة لله كما قال تعالى {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا و هم مشركون}[3]يقول المعصومي –رحمه الله– في بيان هذا الموضوع «اعلم أنه لما انكر الكفار و المشركون توحيد ربهم و إن ادعوا أنهم موحدون تبرأ الله تعالى و رسوله منهم»[4].

و قد تناول المعصومي –رحمه الله– هذه المسألة بالتفصيل في كتابه تمييز المحظوظين عن المحرومين في تجريد الدين وتوحيد المرسلين، و قال «أرسل الله تعالى هذا البرهان محمدا ﷺ، لبيان هذه الحقيقة لأن من أشرك من أهل الكتاب وأمثالهم من الأمم التي قبلهم كالهنود و الكلدانيين و المصريين و اليونان و الصينيين ، كانوا يقولون إن الإله واحد، و بعضهم كان يصرح بمثل كلمة التوحيد عندنا أو بها نفسها، و لكنهم مع ذلك مشركون، يزعمون

---

١ – سورة الحج الآية ٥

٢ – تمييز المحظوظين ص٦٩

٣ – سورة يوسف الآية ١٠٦

٤ – البرهان الساطع ص١٤

أن بعض البشر أو الحيوان او الجماد ينفع او يضر بصفة خارقة للعادة، فيتوجهون إلى تلك الأشياء المعتقدة توجه العبادة، و بعضهم كانوا يزعمون أن ما جاءت به رسلهم من أحكام الدين غير كاف فيضع رؤساؤهم أحكام الحلال و الحرام سواء وافق ما جاء به الرسول أم لا فبهذا تغلغلت الوثنية في جميع الأديان و أفسدتها فقلد بعضهم بعضا فيما ورثه منها.

فأنزل الله تعالى لهداية البشر هذا النور المبين القرآن، فكان أشد إبانة لدقائق أمور التوحيد و خفاياها من الكهرباء المتألق في هذا العصر، فبين لمن يفهمه حقيقة التوحيد بالدلائل و البراهين الكونية العقلية و ضرب الأمثال المادية والمعنوية و ضروب القصص و المواعظ و الهداية إلى النظر و التجارب و كشف ما ران على هذه العقيدة من شبهات المضلين و أوهام الضالين التي مزجتها بالشرك مزجا و جمع بين الضدين بل النقيضين جمعا و تمكن في نفوس الناس فقرر رسول الله ﷺ التوحيد، و اجتث جذور الوثنية بالبراهين القطعية»([1]).

و قد أورد المعصومي –رحمه الله– قول الله عز و جل: {يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم و الذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا و السماء بناء و أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا و أنتم تعلمون}([2]).

---

١ تمييز المحظوظين ص ٤٢

٢ –البقرة ٢١–٢٢

وقال: «اعلم أن الله تعالى رب العالمين نادى و خاطب عامة الناس عربهم وعجمهم كلهم، و أمرهم أن يعبدوا ربهم الذي خلقهم و خلق جميع من قبلهم من الأنبياء و الأولياءفخالق الكل واحد لا شريك له و كل الناس من أولهم إلى آخرهم صالحهم وطالحهم مؤمنهم وكافرهم مخلوقون مربوبون، و محتاجون إلى الله خالقهم ورازقهم في حياتهم وموتهم أبدا. فإن كان هذا فلا معبود إلا الله بحق، كما أنه لا خالق إلا الله و لا رازق إلا الله و لا متصرف حقيقة في الكون إلا الله عز وجل و حده »[1].

و قد أورد العلامة المعصومي بعض الآيات التي يأمر الله عز و جل الناس فيها أن يعبدوا من هو خالقهم وخالق من قبلهم و من ذلك قوله تعالى { يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم }[2] من الملائكة و الأنبياء و الجن، فلا تعبدوهم لآنهم مخلوقون مثلكم، {لعلكم تتقون} عن الإشراك بربكم و تجتنبون عبادة مخلوق مثلكم فإذا اتقيتم ذلك وقاكم الله تعالى عن الشرك و الكفر، ووقاكم من عذاب النار يوم القرار و نجاكم من الذلة تحت سيطرة الأشرار. فيا أيها الناس لا تجعلوا لله اندادا تحبونهم كحب الله أو تعتقدون أنهم ينفعونكم أو يضرونكم، فالعبد لا يكون مفيدا في عقيدته و أعماله لعبد مثله بل إنما يكون عبدا لله الذي خلقه فلا يعبد إلا إياه و لا يخضع إلا له و لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[3].

---

١ –تمييز المحظوظين ص ٢٥

٢ – سورة البقرة الآية: ٢١

٣ – تميز المحظوظين ص ٢٩

و في تفسيره رحمه الله لقوله تعالى{ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما}[1].

قال «و أنزلنا إليكم أيها الناس القرآن نورا مبينا تتنورون به فتجتنبون ظلمات الشرك و تلويثات الأوثان والأنداد، فتعرفون ربكم الواحد الصمد، فلا تعبدون إلا إياه وحده، فإن آمنتم بالله و صدقتم بوحدانيته و كلامه ورسوله و اعتصمتم بالله عاملين بكلامه و أوامره فسيدخلكم في رحمة منه وفضل، و ينيلكم سعادة الدارين، فبعد إيمانكم وظهور صلاحكم و أهليتكم للهداية يوفقكم ويو صلكم إلى رضاه و رضوانه صراطا مستقيما

و أنزلنا إليكم أيها الناس كتابا من لدنا، هو كالنور بين في نفسه ومبين لكل ما أنزل لبيانه، فبه تنجلي لكم الحقائق بحيث لا يشتبه فيه من تدبره و عقل معانيه .

مثال ذلك توحيد الله في ألوهيته و ربوبيته و هو أثبت الحقائق و أعلى ما يصل إليه البشرمن المعارف و أفضل ما تتزكى به النفوس و تترقى به العقول. و قد بعث به جميع رسل الله إلى جميع الأمم فكان كل منهم يدعو أمته إليه و لكن من الأمم من لا يفقه معنى التوحيد فيلبسونه الشرك في الألوهية كاتخاذ المسيح إلها، بل اتخاذ من دونه من مقدسيهم آلهة او انصاف آلهة يزعمون أنهم وسطاء بينهم وبين الله في كل ما ينفعهم و يضرهم

---

١ – سورة النساء الآيتان ١٧٤–١٧٥

في معاشهم ومعادهم، و بالشرك في الربوبية باتخاذ أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، فيشرعون لهم من الدين ما لم يأذن به الله فيحلون لهم ويحرمون عليهم فيتبعونهم »[1].

و قد أورد العلامة المعصومي -رحمه الله- جملة من الآيات التي نادى الله فيها و خاطب بني آدم و منها قوله عز وجل: {يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا و لباس التقوىذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون}[2] و حث في تفسير هذه الآية على التدبر في فهم الآيات القرآنية و المحافظة على وحدانية الله و اتقاء الإشراك و الكفر و الإلحاد، و قال «فيا أيها الإنسان أنت المخاطب بهذا الخطاب الرباني أفلا تجتهد و تسعى في فهم خطاب ربك؟ أفلا تحافظ على وحدانيته بهذه النعم والآيات ألا تتقي الشرك و الإشراك و الكفر و الإلحاد؟

و لباس التقوى هو الخير الذاتي يعني فزين نفسك بتقوى الله و زكها بتوحيد الله و هذا هو الخير الأبدي .

فيجب عليكم أن تلاحظوا هذه النعم الإلهية لعلكم تذكرون وحدانية ربكم و قدرته القاهرة فلا تعبدوا إلا إياه و لا تخضعوا إلا له جل جلاله»[3].

١- تمييز المحظوظين ص ٤١-٤٢

٢- سورة الأعراف الآية ٢٦

٣ - تمييز المحظوظين ص : ٤٣-٤٤

وإذا كـان المشـركون لا ينكـرون توحيـد الربوبيـة -كما تقـدم -[1] فإنـه يلزمهم بناء على ذلـك أن يوحـدوه سـبحانه وتعـالى في ألوهيتـه و قـد ورد في القرآن الكريم الإستدلال علـى الكفـار بـاعترافهم بربوبيتـه جـل و عـلا علـى وجوب توحيده في عبادته، و لـذلك يخـاطبهم في توحيـد الربوبيـة باسـتفهام التقرير. فإذا أقروا بربوبيته احتج بها عليهم على أنه هو المسـتحق لأن يعبـد وحده، ووبخـهم منكرا عليهم شركهم به غيره، مع اعترافهم بأنـه هـو الـرب وحده لأن من اعترف بأنه هو الرب وحده لزمه الإعتراف بأنـه هـو المسـتحق لأن يعبد وحده.

و من أمثلة ذلك قوله تعالى{قل من يرزقكم مـن السـماء و الأرض أم مـن يملك السمع و الأبصار} إلى قوله {فسيقولن الله} ، فلمـا أقـروا بربوبيتــه و بخهـم منكـرا علـيهم شـركهم بـه غـيره، بقولـه {قـل أفـلا تتقـون}[2] يقـول المعصومي رحمه الله في كتابه تمييز المحظـوظين: «فـإذا علمـتم أن لله مـا في السماوات و ما في الأرض من المخلوقات فهو جل جلاله يتصرف فيهـا كيـف يشاء، و إذا كان الأمر هكذا فعليكم أيها الناس بتقوى الله و لا تعذرون بترك تعلم القرآن وفهم معناه كما لا تعذرون بـترك الإيمـان بـالله و رسـوله، لأنكـم المكلفون المخاطبون بذلك»[3].

---

١ – انظر: ص :١٧٨ من هذا البحث.

٢ – سورة يونس الآية ٣١

٣ – تمييز المحظوظين، ص:

و ذكر المعصومي -رحمه الله- بعض الأمثلة من الشرك في توحيد الربوبية عند كثير من متبعة الجهلة و الخرافيين و نفاها عن الله عز وجل و قال«فمن المنفي الربوبية والخالقية، فلا رب إلا الله و لا خالق إلا الله، فمن اعتقد أن الملائكةو الأرواح تربي تربية بسلطة غيبية فقد أشرك بالله في الربوبية و الخالقية، كما هو حال الكثير من جهلة القبوريين و الطرقيين»[١].

و من الشرك المنافي لتوحيد الربوبية قوله رحمه الله: «ومن المنفي القدرة فلا قدرة لأحد ولاقادرية أصلا، فلا قادر إلا الله، ولاقدرة لأحد إلا بالله، فلا حول ولا قوة إلا بالله، فمن اعتقد أن الملائكة أو الأرواح تقدر على شيء بنفسها فقد أشرك بالله في صفة القدرة والقادرية[٢].

وقد تحدث -رحمه الله- عن التصرف في الكون وقال: «ومن المنفي التصرف في الكون والإحياء والإماتة، فلا متصرف في الكون إلا الله ولا محيي إلا الله ولا مميت إلا الله، فمن اعتقد أن الملائكة أو الأرواح تتصرف في الكون أو تحيي أو تميت فقد أشرك بالله»[٣].

وفي بيانه لمسألة التحليل والتحريم ذكر أن ذلك من اختصاص الله عز وجل وقال: «ومن المنفي الحكم والتحليل والتحريم فالحاكم الحق حقيقة هو الله وحده وهو المشرع وحده وهو المحلل وحده وهو المحرم وحده، فلا حاكم إلا الله ولا مشرع إلا الله، ولا محلل إلا الله ولا محرم إلا الله، فمن حكم

---

١ - مفتاح الجنة، ص: ٨٢ وانظر عن هذا الموضوع: حبل الشرع المتين، ص: ٢٥.

٢ - المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها.

٣ - المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها.

بحل شيء لم يحله الله أو حكم بحرمة شيء لم يحرمه الله أو شرع ما لم يأذن به الله فقد أشرك بالله[1].

و بالله تعالى التوفيق و هو الهادي إلى سواء الطريق، و سنرى إن شاء الله تعالى موقف الشيخ العصومي و جهوده في تقرير توحيد الألوهية في المبحث الآتي بحول الله وقوته.

---

١ – أنظر كذلك أوضح البرهان ص: ٩٩، ١٥٥، ١٣٢–١٣٣.

المبحث الثاني:

توحيد الألوهية

لقد كان توحيد الألوهية، و نعني به استحقاق الله عز وجل للعبادة وحده، هو موضوع الصراع بين الرسل عليهم الصلاة والسلام و أقوامهم، وكذلك كان الموقف و العداء لأتباع الرسل من العلماء و المصلحين الذين كانت لهم جهود بارزة في الدعوة إلى التوحيد الخالص من شوائب الشرك و البدعة، والمطالع في أحوال الأمة الإسلامية يلاحظ أن كثيرا من الإنحرافات العقدية فيها ناتج عن جهل كثير من المسلمين بتوحيد العبادة على الوجه الذي رسمه القرآن و بينته السنة النبوية المطهرة.

و في الحقيقة أن العلامة المعصومي -رحمه الله- كان على علم ودراية تامة بهذا الموضوع لذلك فقد اهتم به و بينه بيانا شافيا في ضوء الأدلة الشرعية من الكتاب و السنة وفق مفهوم سلف الأمة. وقد بسط -رحمه الله- الكلام عن توحيد العبادة في كتابه «مفتاح الجنة»و نظرا لأن هذا الكتاب شرح هذه المسألة بطريقة علمية جيدة استحقت الثناء من بعض العلماء السلفيين المعاصرين لمؤلفه[1] فإنني سأركز عليه في هذه المسألة أكثر من غيره من مؤلفات العلامة المعصومي لأنه وفى هذا الموضوع حقه كما سنرى بحول الله عز و جل و توفيقه.

---

١ - انظر: ص:٨٧-٨٨ من كتاب مفتاح الجنة للمعصومي.

يقول –رحمه الله– في تعريفه للعبادة: «إن التحقيق الحق أن المعنى الكلي الجامع لكل ما ذكر في تعريف العبادة ، هو أن العبادة كل عمل من أعمال القلب و اللسان والجوارح يعده صاحبه قربة لمن له سلطان غيبي فوق إدراك العقل غير مقيد بالأسباب المسخرة للناس، فيستطيع أن ينفع أو يضر من غير طريق الأسباب التي ينفع أو يضر بها الناس بعضا. و الإله المعبود هو صاحب هذا السلطان الغيبي سواء له من ذاته لذاته و هو رب العالمين كلهم و هو المعبود بحق »[1].

و قد بين رحمه الله المعنى الجامع لتوحيد العبادة ذاكرا أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله عز وجل و ذلك حيث قال: «إن الجامع لعبادة الله وحده إنما هو طاعته بامتثال أوامره و اجتناب نواهيه، و أن نخصه سبحانه وتعالى وحده بجميع العبادة ومن انواعها النداء في الشدائد و الرجاء و اللجوء فيما لايقدر عليه إلا الله، فلا يكون شيء منها إلا لله عز و جل وحده ، و أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله تعالى وحده : الدعاء و الإستعانة والإستغاثة وذبح القربان و النذر و الخوف والرجاء والتوكل والإنابة والمحبة والخشية والرغبة والرهبة والتأله والركوع والسجود والخشوع والتذلل والتعظيم، الذي هو من خصائص الألوهية، فمن صرف شيئا من هذه الأنواع لغير الله تعالى فقد أشرك بالله غيره، والشرك في العبادة ينقض الاسلام،

---

١ – مفتاح الجنة ص: ٧٣-٧٤

لقوله تعالى: {إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}[1] ومنه الذبح لغير الله أو أن يجعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم. فمن يفعل شيئا من ذلك لمخلوق فقد أشرك في العبادة وصار من يفعل له هذه الأمور إلها لعابديه وهو كفر»[2].

لقد كان العلامة المعصومي رحمه الله يتابع رجال خير القرون في منهجه ومعتقده، ولاسيما في تقرير مسائل التوحيد، وكان يركز رحمه الله على الإخلاص في توحيد الله عز وجل وفي الأمور كلها ويوصي بالابتعاد من شوائب الشرك أيا كان نوعها، ويؤكد في كل مناسبة أنه لايجوز صرف أي نوع من العبادة لغير الله جل جلاله، يقول رحمه الله إشارة لذلك: «فقد ثبت ثبوتا بينا أن لاإله إلا الله مفتاح الجنة، ومفتاح دار السلام، لكن بشرط كونها خالصة مخلصة، فلابد أولا من الكفر والتبرؤ من كل الآلهة الآفاقية والأنفسية ثم إثبات الواحد الأحد المعبود حقا، وأهم ما نفته هذه الكلمة استحقاق العبادة لغير الله نفيا كليا، ولأجل هذا أرسلت الرسل وجردت السيوف، ومن لوازمها العمل بكل ما جاء به محمد رسول الله ﷺ من مقتضى هذه الكلمة بلا تغيير ولا تزييد»[3]. وضابط توحيد العبادة هو تحقيق معنى لاإله إلا الله، وهي مركبة من نفي وإثبات، فمعنى النفي منها خلع جميع

---

١ – سورة النساء، الآية ٤٨.

٢ – مفتاح الجنة، ص: ٦٨، ٦٦، ٤٥.

٣ – مفتاح الجنة، ص: ٨١ وانظر تمييز المحظوظين، ص: ٢٢٧، ٢٦.

أنواع المعبودات غير الله عز وجل في جميع أنواع العبادات كائنة ما كانت، وأول ذلك هو الكفر بالطاغوت.

ومعنى الإثبات منها إفراد الله سبحانه وتعالى بجميع أنواع العبادات بإخلاص على الوجه الذي شرعه الله جل وعلا في كتابه العزيز والسنة النبوية المبينة له، حيث قال رحمه الله في هذاالمعنى «وصفة الكفر بالطاغوت أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم، ومعنى الإيمان بالله أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه، وتخلص كل أنواع العبادة لله وحده وتنفيها عن كل معبود سواه، والطاغوت عام في كل أنواع العبادة، فكل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت، والعبادة الإطاعة {ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين}[1] كما في سورة يس، وكذا في سورة مريم، قال ابراهيم ﷺ لأبيه {يا أبت لاتعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا}[2].

فالإنسان لايكون مؤمنا إلا بالكفر بالطاغوت لقوله تعالى: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم}»[3].

---

١ – سورة يس الآية:

٢– سورة مريم الآية:

٣ – سورة البقرة، الآية: ٢٥٦ ،مفتاح الجنة ص: ٤٤ و انظر كذلك أوضح البرهان ص: ٣٣

وإن الدارس لمؤلفات العلامة المعصومي يرى أنه كان عارفا بأقسام التوحيد وضوابطه، خاصة توحيد العبادة، الذي أرسلت من أجله الرسل وأنزلت من أجله الكتب وهو الذي فيه المعارك بين الرسل وأممهم[١]، وفي هذا المعنى يقول المعصومي رحمه الله: «واعلم أن المشركين الذين دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان كانوا مقرين بتوحيد الربوبية كما بين الله تعالى في كتابه، ولم يدخلهم ذلك التوحيد في الاسلام، بل قاتلهم رسول الله ﷺ إلى أن يقروا بتوحيد الألوهية[٢]، وهو معنى لا إله إلا الله.

والمراد من هذه الكلمة معناها لامجرد لفظها، والكفار الجهال كانوا يعلمون ان مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالعبادة، والتبرؤ مما يعبد من دون الله والكفر به، فإنه لما قال لهم «قولوا لا إله إلا الله»[٣]، قالوا: {أجعل الألهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب}[٤].

وقد عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لايعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار»[٥].

---

١ – انظر: المصدر السابق نفسه، ص: ٨١–٨٣، وأضواء البيان لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ٣/٤١٠–٤١٢.

٢ – كما في قوله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله» رواه البخاري (٣/٢٦٢) ومسلم (١/٥١).

٣ – رواه الحاكم ٢/٦١١ بسند حسن.

٤ – سورة ص، الآية: ٥

٥ – مفتاح الجنة، ص: ٧١.

وفي الحقيقة أن العلامة المعصومي -رحمه الله- تناول هذا الموضوع باسهاب في ثنايا مؤلفاته خاصة في كتابيه «مفتاح الجنة» و «حكم الله الواحد الصمد» حيث بين نواقض توحيد العبادة وشرحها ذاكرا ما انتشر من أنواع الشرك في العالم الاسلامي بين الجهلة وأصحاب الضلال والأهواء، ومبينا أهمية هذا النوع من التوحيد الذي كان الصراع بين الرسل وأقوامهم بشأنه، وكذلك كان الموقف والعداء لأتباع الرسل الذين كان لهم الدور العظيم في الدعوة إلى التوحيد، كالإمام المجدد لدعوة التوحيد في العصر الحديث الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي التميمي المتوفى سنة ١٢٠٦هـ الذي نسج المعصومي منهجه العلمي وحياته الفكرية والعقدية على منواله خاصة فيما يخص جانب التوحيد والوقوف ضد المبتدعة والخرافيين لاسيما فيما يتعلق بالشرك وحماية جانب التوحيد[١]، كما سنرى بإذن الله عز وجل.

ولقد ركز -رحمه الله- على مسألة دعاء غير الله عز وجل وندائه لقضاء الحاجات وتفريج الكربات واعتبر ذلك من عبادة المخلوقات وشركا بالله عز وجل وقال: «وهذا يفيد حصر العبادة الحقيقية في الدعاء، ومن تأمل تعبير الكتاب العزيز عن العبادة بالدعاء في أكثر الآيات الواردة في ذلك، يعلم كما يعلم من اختبر أحوال البشر في عباداتهم أن الدعاء هو العبادة الحقيقية الفطرية التي يثيرها الاعتقاد الراسخ من أعماق النفس ولاسيما عند الشدة.

---

١ - إن الدارس في مؤلفات الشيخ المعصومي يتأكد من تأثره الكبير بالدعوة السلفية في الجزيرة العربية الخالصة من شوائب البدعة، وهذا أمر واضح في مؤلفاته، انظر: أجوبة المسائل الثمان، ص:٨٢، وانظر ص:٢٧-٢٨، وحكم الله الواحد الصمد، ص: ٧٠.

وأما ما عدا الدعاء من العبادات في جميع الأديان فكله أو جله تعليمي تكليفي يفعل بالتكلف والقدوة، وقد يكون في الغالب خاليا عن الشعور الذي به يكون القول أو العمل عبادة، وهو الشعور بالسلطة الغيبية التي هي وراء الأسباب العادية، أما ترى إلى حافظ الأدعية الراتبة يحرك بها لسانه وقلبه مشغول بشيء آخر، وإنما العبادة جد العبادة في الدعاء الذي يفيض على اللسان من سويداء القلب وقرارة النفس وهذا الدعاء الخالص الذي يغشاه جلال الإخلاص[1].

وفي كلامه رحمه الله عن توحيد العبادة وأهميته والتحذير من نواقضه ذكر أن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية كما تقدم، وبين أن ذلك لم ينفعهم ولم يخرجهم من الكفر بسبب تعلقهم بالمخلوقين من عباده جل وعلا، وقال: «إن الله تعالى ذكر في كتابه أن المشركين يقرون بالربوبية، وأنه كفرهم بتعلقهم بالملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم {هؤلاء شفعاؤنا عند الله}[2] وهذا أمر محكم بين لايقدر أحد أن يغير معناه.

وقد قال الله تعالى: {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}[3].

---

١ – مفتاح الجنة، ص: ٦٩–٧٠ و انظر: اجوبة المسائل الثمان، ص: ٨٥–٨٦. وحكم الله الواحد الصمد، ص: ٤٨–٤٩.

٢ – سورة يونس، الآية ١٨.

٣ – سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

ولقد أمر الله نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى لاإله إلا الله، الذي دعا العرب وغيرهم إليه، والكلمة هي كلمة لا إله إلا الله، ففسرها بقوله {ألا نعبد إلا الله}، فقوله {ألا نعبد} فيه معنى (لا إله) وهي نفي العبادة عما سوى الله تعالى، و {إلا الله} هو المستثنى في كلمة التقوى والإخلاص، ومثل هذه الآية كثير يبين أن الإلهية هي العبادة وأنه لايصلح منها شيء لغير الله، {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه}[1]، وهذا توحيد العبادة، وهو دعوة الرسل بأجمعهم، إذ قالوا لقومهم: {أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره}[2] فلابد من نفي الشرك في العبادة رأسا والبراءة منه وممن فعله {إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني}[3] و قال جل من قائل: {لقد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده}[4].

فأصل دين الإسلام إنما هو عبادة الله وحده لاشريك له، والتحريض على ذلك»[5].

---

١ – سورة الإسراء، الآية ٢٣.

٢ – سورة المؤمنون، الآية ٣٢.

٣ – سورة الزخرف، الآيتان: ٢٦–٢٧.

٤ – سورة المتحنة، الآية: ٤.

٥ – مفتاح الجنة، ص: ٧٢–٧٣.

وفي تناول العلامة المعصومي لمباحث العقيدة بوجه عام ومبحث التوحيد بوجه خاص كان يراعي بوعي كامل ودقة فائقة الأصول التي بنى عليها أهل السنة والجماعة منهجهم وعقيدتهم، ومما يشير لذلك ما ذكره بقوله: «اعلم يا أخي في الله عز وجل، أن معنا أصلين عظيمين أحدهما: أن لا نعبد إلا الله، والثاني: أن لا نعبده إلا بما شرع، ولا نعبده بعبادة مبتدعة.

وهذان الأصلان[١] هما تحقيق لشهادة أن لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[٢] ولهذا فإن العبادات مبناها على الإتباع لا على الإبتداع[٣].

وفي أثناء كلامه رحمه الله عن توحيد العبادة لله جل وعلا حذر من الشرك الذي هو من نواقض التوحيد وقال: «والإجتناب عن شائبة الشرك[٤]

---

١ – هذان الأصلان هما الذان بنى عليهما شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله كتابه المستطاب «العبودية» فراجعه.

٢ – رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

٣ – مفتاح الجنة، ص:٥١.

٤ – يقول المعصومي رحمه الله في كتابه مفتاح الجنة ص:٧٧ «إن الشرك شركان: شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله، وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله.

وهذا إنما يصدر غالبا ممن يعتقد أنه لاإله إلا الله، وهكذا حال أكثر الناس، وهو الشرك الذي قال فيه النبي ﷺ «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة» قيل فكيف ننجوا منه يا رسول الله؟ قال: «قل اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم» وهذا

توحيد والإستمداد من الأصنام والطواغيت شرك، وإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط الطاعة وصار صاحبه من الخالدين في النار، عرفت أن أهم ما يلزم عليك معرفة ذلك أي الشرك، فإن من لم يعرفه ربما يقع فيه وهو لايدري، أسأل الله أن يعيذني وإياك من الشرك بالله الذي لايغفره الله أبدا، كما قال الله تعالى: {إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}[1].

وفي الحقيقة أن الغلو في المخلوقات أمر خطير للغاية لأنه يؤدي إلى الشرك والعياذ بالله تعالى، ومن المعلوم أن الشرك خزي وعار في الدنيا على صاحبه وفي الآخرة يكون مآله الخلود في النار. ولذلك نرى الشيخ المعصومي أثناء عرضه لنواقض التوحيد يركز عليه ويبين أنه سبب للكفر وينصح إخوانه المسلمين[2]، بأن يعتقدوا عجز المخلوق عما هو من خصائص الله جل جلاله ويبتعدوا عن الشرك وعن كل شائبة تحوم حوله، وفي هذا المعنى يقول: «إن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين، قال الله تعالى:

الحديث أخرجه ابن السني في: «عمل اليوم والليلة» رقم ٢٨١، وله شاهد عن أبي موسى عند أحمد في مسنده ٤٠٣/٤ وذكره الهيثمي في المجمع ٢٢٣/١٠ وقال رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح، غير أبي علي ووثقه ابن حبان.

١ - أجوبة المسائل الثمان، ص:٨٢ ومفتاح الجنة، ص: ٨٠ والآية من سورة النساء، رقم:٤٨.

٢ - إني أنصح إخواني المسلمين كافة بموجب (الدين النصيحة) أن يعتقدوا الله الخالق عز وجل حيا عليما قيوما قادرا بصيرا، وأن يعتقدوا المخلوق أيا كان عاجزا فقيرا محتاجا إلى الله تعالى، وهذا هو الحق والسلام. والله إني أحب لإخواني المسلمين كافة ما أحب لنفسي، وأبغض لهم ما أبغض لنفسي والله على ما أقول شهيد فهو حسبي وعليه اعتمادي». حكم الله الواحد الصمد، ص: ٦٠.

{يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم}[١]، وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: {وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا}[٢] قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم فعبدت[٣].

إن المؤمن الصادق في إيمانه عليه أن ينزل المخلوق من حيث هو مخلوق في منزلته ودرجته وإن كان نبيا، وهي كما يقول المعصومي - رحمه الله - درجة العجز والفقر الى الله تعالى، وأن يخص الله عز وجل الخالق رب العالمين جل جلاله بما يليق به، مما هو من خصائصه، كما هو مذهب ومعتقد أهل السنة والجماعة والسلف الصالحين[٤].

والواقع أن أكثر المسلمين في العصور المتأخرة قد ابتعدوا عن العمل بالكتاب والسنة والإقتداء بسلف الأمة ونتج عن ذلك انحرافات كثيرة وخطيرة أدت في بعض الأحيان، إلى الخروج من دائرة الإيمان، ومن ذلك الغلو في من يسمونهم بالأولياء والصالحين، إلى درجة العبادة حيث صاروا -

---

١ - سورة النساء، الآية: ١٧١.

٢-سورة نوح الآية: ٢٣

٣ - حكم الله الواحد الصمد، ص: ٦١-٦٢ ، والحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب «ودا ولا سواعا ولايغوث ويعوق» (٦٦٧/٨)، ح (٤٩٢٠) من طريق عطاء بن عباس.

٤ - انظر: حكم الله الواحد الصمد، ص: ٥٩.

وللأسف - ينادونهم ويطلبون منهم ما هو من خصائص الله عز وجل ويعتقدون أنهم قادرون على التصرف في الكون، وأنهم يعلمون الغيب[١]، وهذه في الحقيقة أمور لايقدر عليها إلا الله جل جلاله واعتقادها شرك بالله سبحانه وتعالى.

إن على كل مسلم أن يعلم أن شرط صحة التوحيد والإيمان هو عدم إشراك أي مخلوق بالله جل جلاله في العبادة وفي كل ما هو من خصائصه سبحانه وتعالى، وأن يجتهد في أن تكون عبادته خالصة لله عز وجل وخالية من شوائب الشرك الذي يعتبر هو أخطر أمراض القلوب على ما يذكره المعصومي بقوله: «ولا ريب أن الشرك والكفر أعظم أمراض القلوب، قال في «النهاية»[٢] «يقال لسورتي {قل يا أيها الكافرون}[٣] و {قل هو الله أحد}[٤] المقشقشتان، أي المبرئتان من الشرك والنفاق كما يبرأ المريض من علته[٥].

---

١ - انتظر المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها.

٢ - انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٦٦/٤/١ .

٣ - سورة الكافرون الآية: ١

٤ - سورة الإخلاص الآية: ١

٥ - أجوبة المسائل الثمان، ص: ١١٠. ونظرا لترحال المعصومي في كثير من البلاد فقد وجد كثيرا من المسلمين قد انساقوا وراء البدع الشركية من الطواف حول القبور وتعظيم الأولياء وذلك ناتج عن الغلو المذموم، فأنكر عليهم في كل بلد زاره ونبه أهله وبين له العقيدة الصحيحة.

التوسل وموقف المعصومي منه:

إن الناظر في نصوص الكتاب والسنة يتضح له بجلاء أن التوسل نوعان، توسل مشروع وتوسل بدعي غير مشروع،

أما التوسل المشروع فهو التوسل إلى الله بما شرعه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، والتقرب إليه بالأعمال الصالحة. وقد دل القرآن والسنة على جواز التوسل إلى الله عز وجل بما يلي:

١ – التوسل إلى الله بالإيمان به وأسمائه الحسنى وصفاته العليا، قال تعالى: {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون}[1].

فهذا أمر من الله عز وجل لعباده المؤمنين يأمرهم فيه بأن يدعوه بأسمائه الحسنى، وهذا من باب التوسل إليه بأسمائه الحسنى.

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول: اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فقال: «لقد سألت الله بالإسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب»[2].

---

١ – سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

٢ – رواه أبوداود في أبواب الوتر، باب الدعاء (٢٥٣/٤)، (ح١٤٥٠)، ورواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ماجاء في جامع الدعوات (٣١٣/٩)، ح (٣٧٠٦)، ورواه ابن ماجه في كتاب الدعاء، باب: إسم الله الأعظم (١٢٦٧/٢)، ح (٣٨٥٨)، وقال الألباني حديث حسن صحيح. صحبح ابن

٢- التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة: كما فعل الثلاثة الذين آووا إلى غار وانطبقت عليه الصخرة فسأل كل واحد منهم بعمله الصالح وكان كل واحد منهم يقول: «اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك - أي العمل الصالح - فافرج عنا ما نحن فيه»[1] الحديث.

ففي هذا الحديث بيان جواز التوسل إلى الله - عز وجل - بالعمل الصالح.

٣ - التوسل إلى الله بدعاء الأخ الصالح: كما فعل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- حينما استسقى بالعباس بن عبد المطلب، وقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون»[2].

فهذه الأنواع الثلاثة من التوسل المشروع الذي دل على جوازه الكتاب والسنة.

ماجه (٣٢٩/٢). ورواه الحاكم في المستدرك في كتاب الدعاء والتكبير، (٦٨٣/١)، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ح (١٨٥٨). قال صاحب النهج الأسمى: وهو على شرط مسلم (٥٥/١).

١ - رواه البخاري في كتاب الأدب، باب: إجابة دعاء من بر والديه (٤٩٥/١٠)، ح (٥٩٧٤)، مع الفتح. ورواه مسلم في كتاب الرقاق، باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح العمل (٥٥/٦) شرح النووي.

٢ - رواه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب: سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (٦٢٨/٢)، ح (١٠١٠)، مع الفتح.

أما التوسل الممنوع فهو التوسل إلى الله عز وجل بما لم يرد جوازه في الكتاب والسنة وكان مخالفا لهما وهو أنواع:

١ - التوسل إلى الله بذات الشخص المتوسل به.

٢ - التوسل إلى الله بالجاه.

٣ - الإقسام على الله بالمتوسل به[1]. وهذه الأنواع الثلاثة محرمة.

والواقع أن منشأ الخطإ والخلط بين التوسل المشروع والتوسل الممنوع هو عدم التفريق بين التوسل بالذات والتوسل بالدعاء، وعدم التفريق بين التوسل بالأحياء الصالحين والتوسل بالأموات.

وقد بين العلامة المعصومي رحمه الله مسألة التوسل، وهي مسألة كثر الجدل حولها واختلف الناس فيها وقرر فيها مذهب السلف ومعتقدهم ورد على المبتدعة كعادته، وركز على عدم التوسل بذات المخلوق حيث قرر التوسل المشروع بقوله «ادعوا الله تعالى واطلبوا منه قضاء الحاجات وتوسلوا إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى فهذا هو التوسل المأمور به المشروع شرعا والمقرون بالإجابة»[2].

ثم تحدث -رحمه الله- عن التوسل الممنوع وبينه بقوله: واتركوا ما سواه -يعني ما سوى المشروع- مما تزعمونه توسلا من ذكر أسماء المخلوقين ولو جبريل والأنبياء أو أي شيء لأنه إلحاد وكفر، وكذا قولهم بجاه النبي

---

١ - انظر: التوصل إلى حقيقة التوسل، ص:(١٨٥، ١٨٤).

٢ - أوضح البرهان في تفسير أم القرآن، ص:١٩٣

ﷺ أو بجاه نبيك سيدنا محمد ﷺ فإنه من الإلحاد في السؤال. ولايشك مسلم أن للنبي ﷺ جاها عظيما عند الله تعالى ولكن لم يأمر الله ولا رسوله ﷺ أن نسأل الله بجاهه، ولم يثبت عن أحد من الصحابة أو التابعين لهم بإحسان أو أحد من السلف الصالحين رضي الله تعالى عنهم أنه سأل الله بجاه النبي ﷺ ولاشك أن ما لم يفعله هؤلاء فهو بدعة وحكم البدعة في العبادة معلوم وهو الضلالة[1].

وبعد بيان العلامة المعصومي للتوسل المشروع وغير المشروع رد بردود قوية وجريئة على طوائف من المبتدعة في هذه المسألة ومن ذلك ما أورده أثناء رده على قول الجزولي في كتابه دلائل الخيرات فيما تضمنه من التوسل البدعي، ومنه قوله: «اللهم شفعه فينا بجاهه عندك» حيث قال: «ففي هذه الكلمات التوسل بذات المخلوق ثم نداء المخلوق بعد موته والتوسل به، ثم سؤال الشفاعة منه، ثم السؤال بجاهه.

وكل هذه منافية للتوحيد الذي جاء به إبراهيم عليه السلام، ثم جدده محمد رسول الله ﷺ بأمر الله رب العالمين[2].

وفي كتابه «البرهان الساطع في تبرئ المتبوع من التابع» زاد هذه المسألة بيانا وتوضيحا في كيفية الدعاء الصحيح لله عز وجل بقوله: «إن عقيدة الإمام أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله تعالى، إنه إنما يسأل الله تعالى بأسمائه

---

١ – أوضح البرهان ، ص:١٩٥

٢ – أجوبة المسائل الثمان، ص:٩٢–٩٣.

الحسنى، وكلمة التقوى لا إله إلا الله والأعمال الصالحة، ولا يسأل بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك، كما صرح بذلك الإمام برهان الدين علي المرغيناني(١) في كتاب «الكراهية» من كتابه «الهداية»(٢).

إن على المسلمين أن يوحدوا الله عز وجل حق توحيده ولا يشركون في عبادته أحدا، لا نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ولا وليا ولا غير ذلك من المخلوقات التي لاتملك لأنفسها نفعا ولا ضرا فضلا عن غيرها، وبهذا يكونون مؤمنين موحدين صادقين في إيمانهم، ومن هذه صفته، يقول عنه الشيخ المعصومي، «فلا شك أنه من أهل الجنة، لأنه لا يعبد إلا الله ولا يدعو إلا الله ولا يسأل إلا الله ولا يرجو إلا الله، ولا يخاف إلا الله ولايعتمد ولا يتوكل إلا على الله، ولا يعبده إلا بما شرعه، فهذا هو المؤمن المخلص الذي يحفظه الله تعالى من وساوس الشيطان، بل لايستطيع الشيطان أن يغويه ويضله، كما أخبر الله تعالى عنه {لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين}(٣).

وفي الحقيقة أنه من الضروري لأي مسلم أن يعرف معنى توحيد العبادة معرفة صحيحة ليكون من الموحدين الفائزين بحول الله ولطفه وفضله في يوم لاينفع فيه مال ولا بنون إلا من هداه الله إلى حقيقة التوحيد الخالص ومعه

---

١ -

٢ - البرهان الساطع، ص: ٦١.

٣ - انظر مفتاح الجنة، ص: ٨٤-٨٥ والآيتان من سورة ص، رقم: ٨٢-٨٣. وانظر: حكم الله الواحد الصمد، ص: ٢٧ وحبل الشرع المتين، ص: ١٢٧.

دين الإسلام، وتطبيقه في المنهج والمعتقد والسلوك، ومن المعلوم أن كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» هي كلمة الإخلاص المنافية للشرك وكلمة التقوى التي تقي قائلها من الشرك بالله، ولكنها كما يقول الشيخ المعصومي رحمه الله: «لاتنفع قائلها عند الله في دار الآخرة إلا بشروط: الأول العلم بمعناها نفيا وإثباتا، والثاني: اليقين وهو كمال العلم بها المنافي للشك، والثالث: الإخلاص المنافي للشرك، فمن يقول لا إله إلا الله ولكن لايفهم معناها ولا يعمل به فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا بل لابد أولا من سلامة القلب ثم الأعمال الصالحة كما وردت بلا زيادة ولانقصان[1].

وإذا كان قد تقرر أنه لابد من الإخلاص المنافي للشرك وأن الله عز وجل لايقبل من عباده إلا التوحيد الخالص الخالي من الشرك بجميع أنواعه وأشكاله، فإنه لابد إذن من اقتلاع جذور الشرك من أَصلها حتى يكون عمل العبد مقبولا عند الله تعالى، لأن الإنسان ما دام مبتلى بمرض القلب بالشرك، لاتنفعه عبادة ولا طاعة، ولهذا يقول الشيخ المعصومي رحمه الله أجمعوا على أن التخلية مقدمة على التحلية، وهذا هو معنى لا إله إلا الله تنفي أولا الآلهة الأنفسية والآفاقية، ثم تثبت الإله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد[2].

---

١ – مفتاح الجنة، ص: ٦٢–٦٣.

٢ – مفتاح الجنة، ص: ٦٤.

والواقع أن العلامة المعصومي يعتبر من العلماء السلفيين الذين درسوا العقيدة وبحثوا في مسألة التوحيد على نطاق واسع، وفق المنهج السلفي الأصيل، وقد اهتم رحمه الله اهتماما خاصا بشرح كلمة التوحيد، وما ينافيها وهو ما يعرف بنواقض التوحيد التي يصير بها العبد مشركا وتحبط أعماله ولا تنفعه عبادة ولا طاعة كما مر[١].

وفي أثناء كلامه عن توحيد العبادة ذكر المحبة والخضوع وطاعة المخلوقين في التحريم والتحليل وأخذ أقوالهم من غير دليل وقال: «إن العبادة عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف، فمن أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه الله فقد اتخذهم أربابا[٢]».

وكذلك من أنواع الشرك التي حذر منها العلامة المعصومي الحلف بغير الله، حيث قال: «إن الحلف بغير الله لايجوز ولا يصح القسم ولا يكون حالفا أصلا كالنبي والأولياء والنصب أو برأسك أو بحياتك أو بنحو ذلك وهو حرام وكبيرة وشرك وفي أثناء رده على محمود خان الطرازي في مسألة الحلف بغير الله ذكر نصوصا كثيرة من السنة وأقوال العلماء في عدم جواز الحلف بغير الله[٣]».

أما صرف شيء من العبادة لغير الله تعالى فقد تحدث عنه كثيرا كما أسلفنا ولكنه لخص ذلك وأكد عليه بقوله: «ومن المنفي العبادة والمعبودية،

---

١ – مفتاح الجنة، ص: ٨٢.

٢ – المصدر السابق نفسه، ص: ٦٦.

٣ – حبل الشرع المتين، ص: ٢٦٧ وانظر: حكم الله الواحد الصمد، ص: ٧٠ وما يليلها.

وهذا هو الأصل الذي أنزلت هذه الكلمة لأجله وأرسلت الرسل لأجله، فلا معبود حقا إلا الله ولايعبد حقا إلا الله بأي نوع من أنواع العبادة، وبالجملة إن الدين قد أكمل وبين تمام التبيان من طرف رسول الله ﷺ الذي بعث بالحق والهدى، فالزيادة على ذلك ضلال وخسران، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، فمن قالها لفظا ولكنه غير معناها وأفسد تفسيرها وعبد غير الله فقد أتى ببهتان، فلا شك أنه يصير من أهل الخسران فتنبه[١].

١ - مفتاح الجنة، ص:٨٣.

مسألة الشفـــاعة:

ذكر العلامة المعصومي الشفاعة، وقبل أن ندخل في بيان موقفه منها بالتفصيل أريد أن أذكر تعريفها، وفيما يلي بيان ذلك فأقول وبالله التوفيق:

الشفاعة في اللغة:

قال ابن فارس «الشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين والشفع خلاف الوتر[١].

وجاء في اللسان «شفع لي يشفع شفاعة وتشفع طلب»[٢].

وجاء في كتاب النهاية لابن الأثير «شفع يشفع شفاعة فهو شافع وشفيع والمشفع الذي يقبل الشفاعة والمشفع الذي تقبل شفاعته»[٣].

و اصطلاحا:

قال ابن الأثير: «هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم[٤].

قال السفاريني: «هي سؤال الخير للغير»[٥].

وعند النظر في هذين التعريفين نجد أن ابن الأثير قصر الشفاعة بدرء المفاسد بينما جعلها السفاريني لجلب المصالح.

---

١ – معجم مقاييس اللغة (٣/٢٠١) مادة شفع.

٢ – لسان العرب (٨/١٨٤).

٣ – النهاية لابن الأثير (٢/٤٨٥).

٤ – المصدر نفسه، (٢/٤٨٥).

٥ – لوامع الأنوار البهية (٢/٢٠٤).

وقد ذكر العلماء انواع الشفاعة و استقصوها في ثمانية أنواع، منها ما هو خاص بالنبي صلى الله عليه و سلم و منه ما هو مشترك بينه وبين غيره، وفيما يلي أذكرها ملخصا:

١-الشفاعة العظمى و هي شفاعته صلى الله عليه و سلم في أهل الموقف حتى يقضي الله بينهم بعد طول الموقف عليهم، و بعد مراجعتهم الأنبياء للقيام بها، فيقوم بها نبينا صلى الله عليه و سلم بعد إذن ربه و هذه الشفاعة هي المقام المحمود الذي ذكر في الأية.

٢-شفاعته صلى الله عليه و سلم في دخول أهل الجنة الجنة بعد الفراغ من الحساب.

٣-شفاعته في عمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه، و هي خاصة به و خاصة لأبي طالب، و هذه الأنواع الثلاثة من الشفاعة خاصة بنبينا محمد صلى الله عليه و سلم.

٤-شفاعته فيمن استحق النار من عصاة الموحدين أن لا يدخلها.

٥-شفاعته فيمن دخل النار من عصاة الموحدين أن يخرج منها.

٦-شفاعته في رفع درجات بعض أهل الجنة فوق ما كا ن يقضيه ثواب أعمالهم.

٧-شفاعته صلى الله عليه و سلم في قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخل الجنة وهم أهل الأعراف على قول جمع من العلماء.

٨-شفاعته صلى الله عليه و سلم في دخول بعض المؤمنين الجنة بغير حساب و لا عذاب، كشفاعته صلى الله عليه و سلم في عكاشة بن محصن رضي الله عنه حيث دعا له النبي ﷺ أن يكون من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب و لاعذاب[1].

و هذه الأنواع الخمسة الأخيرة يشارك النبي صلى الله عليه و سلم فيها غيره من الأنبياء و الملائكة و الصديقين و الشهداء.

و أهل السنة و الجماعة يؤمنون بهذه الشفاعة كلها و يثبتونها لثبوت أدلتها في الكتاب و السنة.

و قد خالف الخوارج و المعتزلة أهل السنة في الشفاعة، و انكروا بعض الشفاعات كشفاعته صلى الله عليه و سلم وشفاعة غيره في من استحق النار من أهل الكبائر أن لا يدخلها، أو فيمن دخلها منهم أن يخرج منها بناء على قولهم المشهور إن صاحب الكبيرة مخلد في النار[2]

---

١ - أنظر كتاب التوحيد لابن خزيمة (٥٨٨/٢)، و الشريعة للآجري (ص:٣٣٨-٣٥١)= = و شرح النووي لمسلم (٣٥/٣) و النهاية في الفتن و الملاحم لابن كثير (٢٠٢/٢-٢٤٨)، و شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص: ٢٥٣-٢٦٠)، و الفتح لابن حجر (٤٣٦/١١، ٤٣٥)، و لومع الأنوار البهية للسفاريني(٢١١/٢).

٢ - أنظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص:٦٨٩، ٦٨٨)، و انظر أيضا الإرشاد للجويني (ص:٣٩٣-٣٩٥)، و المواقف للأيجي (ص:٣٨٠)و مجموع فتاوى ابن تيمية (١٤٨/١، ١١٤-١٥٠) و شرح القيدة الطحاوية لإبن أبي العز الحنفي (ص:٢٦٠) و لوامع الأنوار البهية للسفارني (٢١٢/٢).

و قد بين المعصومي –رحمه الله– مذهب أهل السنة و الجماعة في هذه المسألة و رد على المخالفين و قال: «إن الشفاعة ثابتة يوم القيامة لسيدنا محمد ﷺ ولسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام، فيشفعون في حق أهل الكبائر بإذن الله رب العالمين لقول الله تعالى: {يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن}[1] فمنكر الشفاعة محروم منها، اللهم اجعلنا أهلا لشفاعة رسولك محمد ﷺ[2].

ثم بين رحمه الله أن الشفاعة تطلب من الله سبحانه وتعالى ولا تطلب من غيره كائنا من كان، وقال رحمه الله: « فالشفاعة إنما تطلب وترجى من الله تعالى فيقال اللهم ارزقنا شفاعة رسولك محمد ﷺ واجعلنا من أهل شفاعته، أو اللهم شفعه فينا ونحوها، ولاتطلب الشفاعة من النبي ولا غيره في هذه الحياة الدنيا فلا يعتقد ولا يقال يا رسول الله اشفع فينا، أو اطلب منك الشفاعة يا رسول الله أو نحو ذلك، و لا نغتر بما اغترت به النصارى وعبدة الأوثان من أن فلانا و فلانا يشفع أو ينفع أو يدخل الجنة و ينجي من النار فإن هذه كلها هوس و خيال اخترعته أوهام الدجاجلة فالحذر الحذر من الإعتماد على غير الله الواحد القهار»[3].

وبين رحمه الله شروط الشفاعة حيث قال «فاعلم أن الشفاعة ثابتة للرسل والأخيار بإذن الله الملك الجبار ولها شرطان لاتنفع بدونهما:

---

١ –سورة طه ، الآية : ١٠٦

٢ – انظر: حبل الشرع المتين، ص: ٩٠-٩١.

٣ – انظر: أجوبة المسائل الثمان، ص: ٤٥، و أوضح البرهان ص١١٧

الأول: كون المشفوع فيه من أهل الإيمان والتوحيد لقول الله تعالى: {ولايشفعون إلا لمن ارتضى}(١) والله سبحانه لايرضى إلا الإيمان والتوحيد الذي هو أساس الإسلام فأهل الشرك والكفر محرومون.

الثاني: إذن الله للشافع أن يشفع لقوله تعالى: {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه}(٢) فلا يشفعون لأحد إلا بعد إذن الله لهم وأمره، فحصول الشفاعة موقوف على رضى الله تعالى وإذنه، فإذن الأمر كله بيده لقوله تعالى: {قل لله الشفاعة جميعا}(٣).

ثم بين أن الشفاعة لاتكون يوم القيامة للمشركين حيث قال: «فقد علم يقينا أن الله بريء من كل مشرك، وكذا رسول الله ﷺ بريء من كل من مات على شركه كما هو صريح الآية {أن الله بريء من المشركين ورسوله}(٤) فالذي مات وهو مشرك لاتناله الشفاعة أبدا».

ويتضح هذا الكلام بما رواه الترمذي وابن ماجه بسنديهما عن عوف بن مالك رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ «أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة

---

١ – سورة الأنبياء ، الآية :٢٨

٢ – سورة البقرة، الآية : ٢٥٤

٣ – أجوبة المسائل الثمان، ص:٤٣–٤٤، و الآية رقم ٤١ من سورة الزمر و أوضح البرهان ص: ٢٠٨–٢٠٩.

٤ – سورة التوبة الآية:٣

وهي لمن مات لايشرك بالله شيئا»[1]، قال الله تعالى: {إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}[2].

وبهذا يتبين منهج المعصومي في مسألة الشفاعة وهو أن الشفاعة لاتكون إلا لمن مات على التوحيد.

ثم رد -رحمه الله- على قول بعض المبتدعة في قولهم« يا رسول الله اشفع فينا»، حيث قال: « إن هذا لايجوز من وجوه:

أولها: أنه مخالف للآيات القرآنية كما مر سابقا.

وثانيها: الإعتماد على غير الله، وهذا لايجوز بل ينافي التوحيد.

وثالثها: اعتقاد أن الميت ولو كان نبيا يعلم الغيب أو يسمع نداء الغائب أو يجيب الدعاء وكل هذه الأمور من خصائص الله عز وجل»، ثم قال: والحق الثابت في هذه المسألة أن الشفاعة ينالها أهل التوحيد وإن كان مرتكبا للكبائر، ومحروم منها أهل الشرك والكفر وعبدة الأرواح والقبور[3].

يتبين من هذا موافقه المعصومي رحمه الله لمنهج السلف في مسألة الشفاعة.

كان هذا بيانا عن جهود العلامة المعصومي رحمه الله وموقفه من توحيد العبادة، وقد تبين من خلاله أنه كان من العلماء السلفيين المتمسكين بالكتاب والسنة الواقفين بجرأة وحزم ضد المنحرفين عن جادة السنة لاسيما فيما

---

١ - أخرجه الترمذي وابن ماجه، صحيح ابن ماجه، ج٢ (٤٣/٧).

٢ - البرهان الساطع، ص: ٤٤ والآية رقم: ٤٨ من سورة النساء.

٣ - أجوبة المسائل الثمان، ص: ٤٥.

يخص مسألة توحيد العبادة كما رأينا، وفي المبحث التالي سنبين إن شاء الله تعالى موقفه –رحمه الله– من توحيد الأسماء والصفات، والله الموفق للصواب والهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الثالث

توحيد الأسماء والصفات

إن من السمات البارزة التي تميز بها العلامة المعصومي رحمه الله منهجه السلفي الذي تابع فيه رجال خير القرون - كما رأينا- فقد كان - رحمه الله- واقفا عند نصوص الكتاب و السنة فيثبت لله أسماءه الحسنى وصفاته العليا على الوجه اللائق به سبحانه و تعالى، وفق ما وردت به النصوص، مع تنزيهه سبحانه وتعالى عن مشابهة المخلوقات، فهو سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء،لا في ذاته المقدسة المذكورة بأسمائه و صفاته ولا في أفعاله، يقول رحمه الله :«و من إكمال لا إله إلا الله و إتمام شرح هذه الكلمة أسماء الله الحسنى التي قال رسول الله ﷺ فيها: «إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة»[1] أي أتى بها عالما بمعناها، ومؤمنا بمنطوقها ومفهومها، ومعتقدا معناها دخل الجنة لأن هذا الشخص يكون مؤمنا موحدا، وعارفا بصفات الله عز وجل، ومن هذا صفته فلا شك أنه من أهل الجنة[2].

و كان -رحمه الله- يقررمنهجه في الأسماء والصفات وفق قواعد أهل السنة و الجماعة في إمرارها كما جاءت على الوجه اللائق بالله عز و جل من

---

١ - رواه البخاري أنظر صحيحه مع شرحه فتح الباري ٣٧٧/١٣ ومسلم ٢٠٦٢/٤.

٢ - مفتاح الجنة، ص: ٣٤.

غير تأويل و لا تحريف و لا تعطيل و من غير تكييف و لا تمثيل يقول – رحمه الله– «ومن القواعد المقررة المقبولة عند كافة أهل السنة والجماعة، أن النصوص تحمل على ظواهرها والعدول عنها إلى معاني يدعيها أهل الباطن والباطل إلحاد بالكفر، قال الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله تعالى: «فنؤمن بجميع صفات الله الواردة في القرآن والحديث، ولا يقال: إن يده قدرته ونعمته، لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر[1] والاعتزال[2]، ولكن نقول يده صفة بلا كيف..».

---

١ – أهل القدر هم القدرية نفاة القدر نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه عن الله تعالى و نسبته إليهم حيث قالوا: إن الأمر أنف أي أن الله تعالى لم يقدر على خلقه شيئا مما هم عليه، وقد حدثت هذه البدعة في زمان المتأخرين من الصحابة رضي الله عنهم، على يد معبد بن خالد الجهني البصري، وقد أخرج مسلم القصة في ذلك عن يحيى بن يعمر قال: أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني قال فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين وذكر اجتماعهما بعبد الله بن عمر وأنه سأله عمن يقول بهذه المقالة فقال ابن عمر: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر» صحيح مسلم بشرح النووي ١/١٥٠-١٥١ ، ٥٥-١٥٦ ، طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت [د.ت] وراجع خطط المقريزي ٣٥٦/٢ وابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية، ص:٥٩٢،٥٩٣. حققها جماعة من العلماء، وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، ط٤ ، المكتبة الاسلامية بيروت ١٣٩١هـ.

٢ – أهل الإعتزال هم المعتزلة ويتسمون بأصحاب التوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية واختلف في وقت ظهور المعتزلة فيرى البعض أن ظهورهم بدأ في قوم من أصحاب علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – حين تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فاعتزلوا السياسة وانصرفوا الى العقائد، وأكثر العلماء على أن رأس المعتزلة واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد

ثم قال -رحمه الله- «وهكذا معتقد أهل السنة والجماعة، وهكذا سائر الصفات الواردة في الكتاب والسنة، نؤمن بظاهرها بلا كيف ولا نؤولها بآرائنا، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء»[1].

وقد عرض رحمه الله لموضوع الأسماء والصفات وبين فيه منهج السلف ومعتقدهم ورد على المتكلمين خاصة الحنفية الذين نشأ بينهم ودرس وعاش صدرا من حياته، وقد عرض لأمثلة معينة من الإنحرافات العقدية في باب الأسماء والصفات التي خالف فيها الحنفية المتأخرون إمامهم أبا حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله. وركز على أمثلة من الصفات التي يؤولها المتكلمون و يسمونها بالصفات الخبرية أو السمعية، و يقصدون بهذه التسمية ما كان الدليل على ثبوته لله عز و جل هو الخبر من الكتاب و السنة و تنقسم هذه الصفات إلى قسمين:

القسم الأول: الصفات الفعلية الإختيارية،و هي الأمور المتعلقة بمشيئته تعالى و إرادته، يفعلها متى شاء و كيف شاء.

و ذلك مثل النزول و الإستواء و القبض و الإتيان و المجيء و المحبة و الرضا و الغضب و الضحك و الفرح و المقت، و غيرها. منها ما وصف الله

وأصحابهما، وتنبني عقيدة المعتزلة على أصولهم الخمسة وهي التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين وإثبات الوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد افترق المعتزلة الى عشرين فرقة كل فرقة تكفر سائر الفرق الأخرى» ، الأشعري مقالات الإسلاميين ٢/٣٣٧-٣٣٨ والبغدادي، الفرق بين الفرق، ص: ١١٤، ٢٤ والشهرستاني، الملل والنحل ١/٤٣-٤٤.

١ – أجوبة المسائل الثمان، ص: ٤٢، ٣٩، ٣٧ وانظر: حبل الشرع المتين، ص: ٤٣-٤٤.

سبحانه به نفسه في كتابه العزيز، و منها ما وصفه به رسوله صلى الله عليه و سلم في السنة الشريفة.

القسم الثاني: و هو الصفات الذاتية الازمة للذات، كالوجه و اليدين و الرجل و الساق و الأصبع و اليمين و غيرذلك، و قد كان للناس في هذه الصفات و أمثالها على ثلاثة أقوال[1].

---

١ – قال ابن أبي العز الحنفي: « إن للناس في إطلاق مثل هذه الألفاظ ثلاثة أقوال: فطائفة تنفيها، و طائفة تثبتها، و طائفة تفصل، و هم المتبعون للسلف فلا يطلقون نفيها و لا إثباتها إلا إذا تبين ما أثبت بها فهو ثابت، و ما نفي بها فهومنفي، لأن المتأخرين قد صارت هذه الألفاظ في اصطلاحهم فيها إجمال و إبهام كغيرها من الألفاظ الإصطلاحية فليس كلهم يستعملها في نفس معناها اللغوي، و لهذا كان النفاة ينفون بها حقا و باطلا و يذكرون عن مثبتها ما لايقولون به، و بعض المثبتين لها يدخل لها معنى باطلا مخالفا لقول السلف، و لما دل عليه الكتاب و الميزان، و لم يرد نص من الكتاب و لا من السنة بنفيها و لا إثباتها، و ليس لنا أن نصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه و لاوصفه به رسوله نفيا و لا إثباتا، و إنما نحن متبعون لا مبتدعون. فالواجب أن ينظر في هذا الباب –اعني باب الصفات– فما أثبته الله و رسوله أثبتناه و ما نفاه الله و رسوله نفيناه و الألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات و النفي، فنثبا ما ثبته الله و رسوله من الألفاظ المعاني، و ننفي ما نفته نصوصهما من الألفاظ و المعاني، أما الألفاظ التي لم يرد نفيها و لا إثباتها، فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها، فإن كان معنى صحيحا قبل لكن ينبغي التعبير عنه بالفاظ النصوص، دون الألفاظ المجملة إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد، و الحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها و نحو ذلك» راجع عن هذا الموضوع شرح العقيدة = الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص: ٢٣٨–٢٣٩ و الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص: ٤ و ما بعدها.

و قد سار العلامة المعصومي في هذه الصفات على منهج السلف الصالح رضي الله عنهم، و سنأتي بنماذج من هذه الصفات من كلام المعصومي – رحمه الله– لنبين بذلك موافقته لمنهج أهل السنة و الجماعة و معتقدهم، بادئا بالصفات الفعلية الإختيارية، و فيما يلي بيان ذلك:

مسألة كلام الله تعالى:

لقد تحدث المعصومي عن هذه المسألة،والتي كثر الجدال حولها وتشعبت أقوال الفرق الإسلامية فيها[1].

وقبل الدخول في تفاصيل الكلام عن موقف العلامة المعصومي –رحمه الله تعالى– من هذه المسألة، أريد أن أعطي نبذة عامة عن موقف السلف منها ليتبين لنا بذلك موافقته –رحمه الله تعالى– لما كان عليه الرعيل الأول من هذه الأمة وفيما يلي بيان ذلك:

إن مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة أن الله عز وجل لم يزل متكلما إذا شاء، وأن الكلام صفة له قائمة بذاته يتكلم بها بمشيئته وقدرته، فهو تعالى لم يزل ولايزال متكلما إذا شاء، وما تكلم الله به فهو قائم به ليس مخلوقا منفصلا عنه كما تقول المعتزلة، ولا لازما لذاته لزوم الحياة لها كما تقول الأشاعرة، بل هو تابع لمشيئته وقدرته فالله عز وجل نادى موسى

---

١ – قال ابن أبي العز الحنفي: افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال، راجع شرح العقيدة الطحاوية، ص:٢٠٢،١٧٩.

بصوت، ونادى آدم وحواء بصوت[1]، ولكن الحروف والأصوات التي تكلم الله عز وجل بها صفة له غير مخلوقة ولا تشبه أصوات المخلوقين، كما أن علم الله القائم بذاته ليس مثل علم عباده، فإن الله سبحانه لايماثل مخلوقاته في شيء من صفاته.

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تتضمن إثبات صفة الكلام لله عز وجل منها قوله تعالى: {وكلم الله موسى تكليما}[2] وقوله عز وجل: {وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله}[3].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: الذي اتفق عليه السلف، أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وقال غير واحد منهم أنه منه بدأ وإليه يعود.

قال أحمد بن حنبل وغيره: منه بدأ أي هو المتكلم به، ولم يبدأ من غيره كما قالت الجهمية[4].

وأثناء كلام المعصومي على هذه المسألة تبينت موافقته لما درج عليه السلف الصالح وأئمة السنة في هذه المسألة، وفي هذا المعنى يقول: «إن القرآن كلام الله تعالى فمن قال إن القرآن الذي هو كلام الله كلام البشر أو مخلوق فقد كفر»[5].

---

١ – قال تعالى: {وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة} سورة الأعراف ، الآية: ٢٢.

٢ – سورة النساء، الآية: ١٦٤

٣ – سورة التوبة، الآية: ٦.

٤ – التفسير الكبير، ١٨٦/٧.

٥ – حبل الشرع المتين، ص: ١١٠، و انظر أوضح البرهان ص: ٨

وساق -رحمه الله تعالى- جملة من الصفات الإلهية بادئا بصفة الكلام وقال: «مسألة كلام الله، ويد الله، ووجه الله، ونفس الله، وغيرها من الصفات، من قال اليد النعمة فقد عطل: قال الإمام أبو حنيفة -رحمه الله- في كتابه (الفقه الأكبر)[1] إن الكلام صفة لله تعالى وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لاكرؤيتنا، ويتكلم لا ككلامنا، وهو شيء لا كالأشياء، لا مثيل له ولا ضد له ولا ند له، له يد ووجه ونفس، كما ذكر الله تعالى في القرآن بلا كيف.

ولايقال إن يده قدرته ونعمته لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والإعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف، وغضبه ورضاه من صفاته تعالى بلا كيف، والله تعالى يرى في الآخرة، يراه المؤمنون في الجنة بلا شبيه ولا كيفية.

وقال -رحمه الله تعالى-: « نصف الله تعالى كما وصف نفسه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد، حي قادر سميع بصير عالم، يد الله

---

١ - الفقه الأكبر نسبته للإمام أبي حنيفة برواية حماد بن أبي حنيفة صحيحة، و قد شرحه غير واحد من أهل العلم و بينوا صحة نسبته للإمام أبي حنيفة و بلغ عدد هذه الشروح حوالي خمسة عشر شرحا، و منها شرح الإمام علي القاري و القيساوي و هما مطبوعان، و شكك بعض المستشرقين في صحة نسبته للإمام أبي حنيفة و تبعهم في ذلك محمد أبو زهرة و هو قول مخالف لما عليه الأئمة المحققون من أهل العلم، و كذلك العارفون بالكتب و المصنفات، مثل حاجي خليفة في كشف الظنون،١٢٨٧/٢ و شيخ الإسلام ابن تيمية الذي ذكره في مجموع الفتاوي٤٥/٥، و ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية وغيرهم كثير. للتوسع في ذلك، راجع أصول الدين عند افمام أبي حنيفة، تأليف الدكتور عبد الرحمن الخميس ص: ١١٥ و ما بعدها، دار الصبيعي.

فوق أيديهم، ليست يده كأيدي خلقه وليست بجارحة، وهو خالق الأيدي، ووجهه ليس كوجوه خلقه، وهو خالق كل الوجوه، ونفسه ليست كنفس خلقه، وهو خالق النفوس ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»[١].

ونقل -رحمه الله- عن أبي حنيفة قوله في كتابه (الفقه الأكبر) «إنا نعرف الله تعالى على ما عرف حق معرفته، وكما وصف الله تعالى سبحانه نفسه في كتابه بجميع صفاته، وليس يقدر أحد أن يعبد الله حق عبادته كما هو أهل له أو يعبده كما أمر»[٢].

وفي رده -رحمه الله- على المتكلمين من متأخري الأحناف، بعد أن بين لهم معتقد إمامهم في أسماء الله عز وجل وصفاته سبحانه وتعالى، ذكر لهم انحرافاتهم العقدية في هذا الباب، وقال إنهم ليسوا على مذهب الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- وأنهم غيروا الصفات وأولوها على خلاف ما كان عليه إمامهم وغيره من السلف الصالح رضي الله عنهم، وفي هذا المعنى يقول: «قال المعصومي -رحمه الله تعالى- هذا هو عقيدة الإمام أبي حنيفة -رحمه الله تعالى- يؤمن بما ورد في النص كما ورد، ولا يؤول ولا يغير ولا يبدل، فعقيدته كعقيدة عامة السلف الصالحين -رضي الله عنهم- ثم جاء بعد مئات السنين كثير من الذين يدعون أنهم حنفيون أو سنيون ويؤولون هذه النصوص، ويغيرون هذه الصفات، فيعتقدون ويقولون بأن المراد من اليد

---

١ - انظر حبل الشرع المتين، ص:١١

٢ - البرهان الساطع، ص:٥٦.

القدرة والنعمة ومن السمع والبصر العلم، إلى غير ذلك مما هو شائع وذائع بينهم ومذكور في كتبهم، ويدعون أنهم حنفيون وأن هذا هو مذهب الإمام أبي حنيفة، وأنت قد رأيت وعلمت أن الإمام أبا حنيفة -رحمه الله تعالى- إنما هو من السلف وقائل بما قاله السلف وأنه بريء من قول هؤلاء الأحناف، فهؤلاء ليسوا على مذهب الإمام أبي حنيفة وأصحابه، بل على مذهب جهم والمعتزلة والملاحدة والباطنية وهم لايشعرون، وإنما منشأ جهلهم قياسهم الفاسد[1]، قياس الخالق الذي ليس كمثله شيء بالمخلوقين، ولو أنهم هداهم الله تعالى فاستعملوا عقولهم، لعلموا أن صفات الله سبحانه هي كما يليق بجلاله، كما صرح به الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى.

ولكن قد أعماهم الجهل المركب والتقليد الجامد، والتعصب الفاسد، فلهذا تراهم يعادون السلفيين... ويبغضونهم {وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون}[2].

والحقيقة أن العلامة المعصومي -رحمه الله- يعتبر من علماء أهل السنة الذين درسوا العقيدة وبحثوا فيها على نطاق واسع، وقد تصدى -رحمه الله- للرد على المبتدعة والضلال في كثير من المسائل العقدية المهمة، ومنها مسألة الصفات التي ضل فيها كثير من العلماء بسبب التأثر بآراء المتكلمين، وحيث أنه -رحمه الله- عاش صدرا من حياته في بيئة سادت فيها آراء المتأخرين من الحنفية الذين غالبيتهم ماتريدية - كما هو معروف - فقد ركز في الرد

وهذا القياس ليس هو قياس الأولى الجائز في حق الله سبحانه وتعالى -٢

٢ - المصدر السابق نفسه، ص: ٥٤-٥٥ من سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧

عليهم على هذه المسألة، لأن الماتريديين الأحناف يثبتون بعض الصفات ويؤولون البعض الآخر[1]، ولكنه على كل حال لم يترك المتأخرين من أتباع المذاهب الثلاثة الاخرى الذين خرجوا عما كان يعتقده أئمتهم، وفي هذا المعنى يقول – بعد أن رد على متأخري الحنفية – «وكذا كثير من متأخري المالكية والشافعية والحنابلة وأهل الحديث ومدعي السلفية، ليسوا على عقيدة الإمام مالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وأئمة الحديث والسلف الصالحين ومذهبهم رحمهم الله تعالى، بل إنما يعتقدون ما أوحاه إليهم رؤساؤهم يتمذهبون بما يهواه هواهم، كما سأبين بعض ذلك ليتضح الأمر ويظهر الجهل المركب، فيا أيها المؤمنون انتبهوا وتدبروا وراجعوا كتب السلف الصالحين والعلماء المحققين، عسى الله تعالى أن يهديكم إلى الحق وإلى صراط مستقيم وينور بصركم وبصيرتكم، ولا تكتفوا كما أنتم عليه بالكتب التي ألفها أهل المذاهب والأغراض من المتأخرين، فخربوا بنيان المسلمين، وشتتوا عقيدتهم ومذهبهم وشملهم، كما لايخفى على أهل البصائر والعقل والفهم السليم[2].

١ – البرهان الساطع، ص: ٥٥-٥٦.

٢ – البرهان الساطع، ص: ٥٥-٥٦.

صفة العلو والإستواء:

قبل الدخول في تفاصيل موقف المعصومي رحمه الله من هذه المسألة الخطيرة ورده على المتكلمين فيها أود أن أعطي نبذة موجزة عن مذهب أهل السنة والجماعة في صفة العلو[١] والإستواء[٢] ليتبين لنا من خلال ذلك موقف المعصومي من هذه المسألة وموافقته لما كان عليه أهل السنة والجماعة على مر العصور فهم يؤمنون بما أخبر الله عز وجل به عن نفسه في سبع آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى {الرحمن على العرش استوى}[٣] من أنه سبحانه مستو على عرشه، بائن من خلقه بالكيفية التي يعلمها هو جل شأنه، والمنقول عن السلف وأئمة السنة في هذا الباب كثير طيب مبارك، وسنذكر بعض عباراتهم في هذا المعنى على سبيل المثال لا الحصر، فقد ثبت

١- أهل السنة والجماعة متفقون على أن الله سبحانه وتعالى موصوف بالعلو، وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وابن أبي العز الحنفي أدلة كثيرة جدا على إثبات علو الله تعالى فراجعها في الفتوى الحموية الكبرى، ص:١٦-٢٠، واجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ص:٢٨-٣٨، طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، «ت.د»، وشرح العقيدة الطحاوية، ص:٣١٩-٣٢٨، وقد أفرد بعض علماء السنة مسألة العلو بالتأليف مثل الإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ) فألف كتابه إثبات صفة العلو، وألف الإمام الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ) كتابه العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها.

٢ - راجع: أقوال أئمة السلف في مسألة الإستواء عند ظهور الجهم بن صفوان السمرقندي ومقالته في كتاب: العلو للعلي الغفار للذهبي، ص:١٠١ وما بعدها. الطبعة الثانية المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٨هـ.

٣ - سورة طه، الآية ٥.

عن الإمام مالك -رحمه الله- أنه رد على من سأله في الإستواء في قوله تعالى: {الرحمن على العرش استوى} كيف استوى؟ بقوله: «سألت عن غير مجهول، وتكلمت في غير معقول، وإنك امرؤ سوء أخرجوه، فأخذو بضبعيه فأخرجوه»-[1].

ونقل يوسف بن موسى القطان شيخ أبي بكر الخلال عن شيخ الإسلام، حامل لواء السنة والصابر في المحنة، الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- أنه قيل له: يا أبا عبد الله: الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال: نعم هو على عرشه ولا يخلو شيء من علمه[2].

قال الذهبي -رحمه الله-: « مقالة السلف وأئمة السنة، بل والصحابة والله ورسوله والمؤمنون، أن الله عز وجل في السماء، وأن الله على العرش، وأن الله فوق سماواته، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا، وحجتهم على ذلك النصوص والآثار.

ومقالة الجهمية أن الله تبارك وتعالى في جميع الأمكنة تعالى الله عن قولهم بل هو معنا أينما كنا بعلمه.

ومقال متأخري المتكلمين، أن الله تعالى ليس في السماء ولا على العرش ولا على السماوات ولا في الأرض ولا داخل العالم ولا خارج العالم ولا هو

---

١ التمهيد لابن عبد البر، ١٥١/٧ تحقيق عبد الله بن الصديق ، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الاجتماعية بالمغرب، والقاضي عياض ترتيب المدارك ٣٩/٢.

٢ – العلو للعلي الغفار للذهبي، ص: ١٣٠

بائن عن خلقه ولا متصل به، وقالوا جميع هذه الأشياء صفات الأجسام والله تعالى منزه عن الجسم.

قال لهم أهل السنة والأثر: نحن لانخوض في ذلك ونقول ما ذكرناه اتباعا للنصوص، وإن زعمتم... ولا نقول بقولكم، فإن هذا أسلوب نعوت المعدوم، تعالى الله جل جلاله عن العدم، بل هو موجود متميز عن خلقه موصوف بما وصف به نفسه من أنه فوق العرش بلا كيف[1]. وقد تصدى الكثيرون من علماء المدرسة السلفية على مر العصور، للرد على الجهمية والمتكلمين عامة.

ومن أبرز من تصدى للرد عليهم في العصر الحديث الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي -رحمه الله- ومن جملة ردوده عليهم في هذه المسألة قوله:

«فصل في إيضاح طرق مناظرة المتكلمين والأدلة التي جاؤوا بها ونفوا بها بعض صفات الله الثابتة في الكتاب والسنة الصحيحة، ويكفينا في هذا البحث تطبيقه على مثال واحد وهو استواء الله جل وعلا على عرشه، فالمتكلمون النافون لبعض الصفات ينفون استواءه جل وعلا على عرشه، فيقولون: لم يستو على العرش، وهذه الدعوى المخالفة لصريح القرآن في سبع مواضع منه ينتجونها من قياس منطقي، فيقولون: لو كان مستويا على العرش لكان مشابها للمخلوقات، لأن الإستواء على المخلوق من صفات

١ - المصدر نفسه، ص:١٠٧.

المخلوق لكنه غير مشابه للمخلوقات، ينتج عندهم، هو ليس مستويا على العرش، وهذه النتيجة من أعظم الإفتراء على الله وأشنع الكذب، لأنها تكذب سبع آيات من القرآن الكريم، وإيضاح إبطال هذا الدليل من أوجه:

الأول: منع كبراه، وهي الشرطية فقولكم لو كان مستويا على العرش لكان مشابها للمخلوق شرطية متصلة كاذبة لأن الربط بين مقدمها وتاليها غير صحيح ومدار صدق الشرطية على صدق الربط، فإذا كان الربط بين المقدم والتالي غير صحيح كما هنا كانت الشرطية غير صحيحة ولذلك أنتج نقيض آيات القرآن، والتالي في هذه الشرطية أخص من المقدم، والحكم بالأخص على الأعم لايصدق إلا جزئيا سلبا كان أو إيجابا، سواء كان الحكم معلقا كما في الشرطيات أو غير معلق كما في الحمليات، بل هو تعالى مستو على عرشه كما قال مع التنزيه التام عن مشابهة المخلوق في استوائه كسائر صفاته[1].

وقد اهتم الشيخ المعصومي–رحمه الله– في مبحث الصفات بمسألة علو الله تعالى واستوائه على عرشه جل جلاله حيث قال: «إن الله تعالى استوى على العرش بلا كيفية وأنه ليس كاستواء الأجسام من التمكن و المماسة والمحاذاة، بل بمعنى يليق به عز وجل وهو سبحانه وتعالى أعلم به مع نفي التشبيه، فالإستواء صفة له تعالى بمعنى يليق بجلاله وكماله بلا كيفية نعلمها»[2].

---

١ – آداب البحث والمناظرة، القسم الثاني، ص:١٢٢–١٢٣ بتصرف. ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ، ص:١٤–٢٣،١٥.

٢ – حبل الشرع المتين، ص:٤٣ ، ١٣٥ وانظر أجوبة المسائل الثمان، ص:٤١.

وقد ذكر الله عز وجل في آيات كثيرة من القرآن المبين أنه سبحانه وتعالى استوى على العرش، وأنه في السماء، في قوله عز وجل: {الرحمن على العرش استوى}[1]، وقوله تعالى: {الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش}[2]، وفي سورة الملك: {أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور، أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا...}[3]، وغيرها من الآيات البينات الظاهرات، والأحاديث الصحاح عن رسول الله ﷺ في هذا الباب كثيرة، ومن أدلها وأصرحها على هذه المسألة قصة المعراج[4]؛ كما لايخفى.

وكذا قصة الجارية حينما قال رسول الله ﷺ لها: «أين ربك؟» فأشارت إلى السماء[5]، فقال ﷺ: «أعتقها فإنها مؤمنة».

---

١ – سورة طه، الآية: ٥.

٢ – سورة السجدة، الآية: ٤.

٣ – سورة الملك، الآية: ١٦–١٧.

٤ – قصة الإسراء والمعراج حديثها متفق على صحته، رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، وفي الباب عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم.

٥ – الحديث صحيح رواه مسلم في الحديث الذي أخرجه عن معاوية بن الحكم السلمي «أن النبي ﷺ قال للجارية أين الله؟ قالت في السماء، قال من أنا؟ قالت أنت رسول الله، قال أعتقها فإنها مؤمنة» انظر: صحيح مسلم ج١ ص: ٣١٩، الطبعة الأولى دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ.

وكذا حديث: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[1]. وغيرها من الأحاديث النبوية كثيرة جدا[2].

وقد بين -رحمه الله- في شرحه لهذه المسألة ما يراه هو الحق وهو إثبات كل ما جاء في الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة من الصفات الإلهية، وركز - كما رأينا - على مسألة العلو والإستواء لكثرة خلاف المتكلمين مع أهل السنة فيها حتى أنه يمكن أن يقال: «إن مسألة الإستواء وعلو الله على خلقه هي الفيصل بين أهل السنة والمتكلمين، فمن أثبت استواء الله عز وجل على عرشه على الوجه اللائق به عز وجل فهو من أهل السنة، ومن نفاه أو أوله فهو من المبتدعة المتكلمين».

وكان الشيخ -رحمه الله- أثناء حديثه عن الصفات الإلهية، معرضا عن التأويل متجنبا التشبيه معتقدا أن الله سبحانه وتعالى منزه عن جارحة المخلوقين، ومشابهة المحدثات لاتشبه صفاته صفات المخلوقات، كما لاتشبه ذاته ذوات مخلوقاته، مستدلا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، على ما أورده.

كما أنه -رحمه الله- استشهد بكلام خيار أئمة السلف الذين لاترقى التهم إلى الشك في عقيدتهم على ما أورده في هذه المسألة واستطرد في نقول

---

١ - رواه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد (٢/١٦٠)، وصححه الحاكم (٤/١٥٩) ووافقه الذهبي. وانظر (السلسلة الصحيحة) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (٢/٧١٣-٧١٧) - طبعة مكتبة المعارف المزيدة.

٢ - أجوبة المسائل الثمان، ص: ٣٥-٣٦. وانظر: حبل الشرع المتين، ص: ٤٣-٤٤.

كثيرة كلها تثبت وتؤيد ما ذهب إليه قائلا: «وذلك هو معتقد أهل السنة والجماعة»[١].

ولهذا يقول الشيخ المعصومي: «فقد قال الإمام أبو حنيفة– النعمان – رحمه الله تعالى: نقر بأن الله تعالى على العرش استوى، من غير أن تكون له حاجة إليه، أو استقرار عليه، وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياج إليه...».

وحين سئل الإمام مالك – رحمه الله – عن قول الله تعالى: {الرحمن على العرش استوى}؟ قال: «الإستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[٢].

وفي بيانه –رحمه الله– لهذا الموضوع، ذكر تحذير السلف من الإبتداع في الدين وتمسكهم بظواهر النصوص وقال: «وكل واحد ممن يحفظ عنه الدين

١ – حبل الشرع المتين، ص:٤٤، وانظر أجوبة المسائل الثمان، ص:٣٦، ٤١، و البرهان الساطع، ص:٥٣.

٢ – أجوبة المسائل الثمان، ص:٣٧–٤٠، والبرهان الساطع، ص:٥١،٤٩.

وهذه العبارة التي ذكرها المعصومي توجد في كثير من المراجع، وتجري على ألسنة كثير من الناس،و هي إحدى الروايات عن مالك في هذه المسألة و قد وقفت على رواية أخرى في مصادر المالكية المشهورة يخالف هذه العبارة في اللفظ، ويوافقها في المعنى، وهي: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول...» راجع التمهيد لابن عبد البر، ١٥١/٧، تحقيق عبد الله بن الصديق، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية في المملكة المغربية ١٣٩٩هـ والقاضي عياض: ترتيب المدارك ٣٩/٢.

والعلم من أئمة المسلمين والسلف الصالحين، قد ثبت تمسكه بظاهر الكتاب والسنة الثابتة، ويرغب الناس إلى التمسك بهما.

كما ثبت عن الإمام أبي حنيفة النعمان، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد والسفيانين -الثوري وابن عيينة - والحسن البصري، وأبي يوسف، ومحمد بن الحسن، وعبد الرحمن الأوزاعي، وعبد الله بن المبارك، والإمام البخاري، ومسلم، وغيرهم رضي الله عنهم، وكلهم يحذرون عن البدعة في الدين»[1].

وقد خصص العلامة المعصومي مبحثا مستقلا في كتابه «البرهان الساطع في تبرؤ المتبوع من التابع» للرد على المخالفين له في مسألة الإستواء، ممن يسميهم بغوغاء الحنفيين بردود قوية وجريئة، وأورد كلام الإمام أبي حنيفة بنصه وشرح مذهبه بالتفصيل[2] وبين مذهب السلف الموافق لظاهر القرآن والحديث.

وفي بيانه لهذا الموضوع: أورد نصوصا تخيرها عن علماء من أهل السنة، ونقل عن العلامة أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي في عقيدته «بيان أهل السنة»، قوله: «هذا ذكر بيان أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن ابراهيم الأنصاري، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رضي الله

---

١ - أجوبة المسائل الثمان، ص: ٣٢-٣٣.

٢ - انظر البرهان الساطع، ص: ٤٩، ٥٢.

عنهم، وما يعتقدون من أصول الدين، ويدينون به لرب العالمين»إلى أن قال: «والعرش والكرسي حق، كما بين الله تعالى في كتابه، وهو جل جلاله مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه»[1]، وكل ما جاء في ذلك من الآيات والأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل، ولرسوله ﷺ[2].

وقد استطرد المعصومي في الرد على المخالفين له في هذا الموضوع – خاصة من يسميهم بغوغاء الحنفيين –، حيث قال: «فهذا قول أبي حنيفة وأكابر أصحابه رضي الله عنهم، وهذا هو الموافق لظاهر القرآن والحديث النبوي الصحيح، وما ثبت عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم، والمحققون من الحنفيين يقولون بهذا كصاحب بدء الأمالي سراج الدين عمر الأوشي الفرغاني، حيث يقول في قصيدته المشهورة:

---

١ – بيان أهل السنة أو عقيدة أهل السنة والجماعة للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي الحنفي رحمه الله. وقد شرحها أكثر من عالم حنفي وعلى رأسهم العلامة صدر الدين محمد بن محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي.

فعلى من أراد التمذهب بمذهب أبي حنيفة اتباع عقيدته هو وأصحابه لا المتأخرين من متعصبي المذهب وأدعيائه، خاصة من تأثروا بعلم الكلام.

٢ – البرهان الساطع، ص: ٥٠–٥١، و بهذا يتضح بجلاء موقفه من مصادر السلف في العقيدة و النقل عنهم.

وربُّ العرش فوق العرش لكن بلا وصف التمكن واتصال

فاعلم أنه لما ثبت أن عقيدة الإمام أبي حنيفة رحمه الله وقوله موافق لقول السلف الصالحين، فما يقوله الكثيرون من غوغاء الحنفيين وغيرهم بأن المراد من الإستواء الإستيلاء والقهر والغلبة، وأن الله تعالى في كل مكان بذاته، وأنه الموجود في كل وجود، وما أشبه ذلك، افتراء على أبي حنيفة وأصحابه كما علمت، بل هذا قول الجهم[1] بن صفوان الملحد الزنديق، وقول الباطنية الاتحادية الحلولية، فهو إلحاد باطل كما لايخفى[2].

و أما الصفات الذاتية اللازمة للذات فمن أمثلتها صفة الوجه لله عز وجل حيث قال رحمه الله «إن لله عز وجل وجها وهو صفة لله تعالى بلا كيفية ولا تشبيه، وما قيل إن المراد منه ذات الله تعالى فهو تأويل للنص

---

١ – الجهم بن صفوان السمرقندي الذي قال بالإجبار والاضطرار الى الأعمال، وأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان وأن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، والكفر هو الجهل بالله تعالى فقط، وأنه لافعل ولا عمل لأحد غير الله عز وجل، وإنما تنسب الاعمال إلى المخلوقين على سبيل المجاز، كما يقال تحركت الشجرة ودارت الرحى، وزعم أن علم الله تعالى حادث وامتنع عن وصف الله تعالى بأنه شيء أو حي أو عالم أو مريد وقال لاأصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره، وهو الذي تنسب إليه الجهمية. الأشعري، مقالات الاسلاميين ٣٣٨/١ ، والغدادي: الفرق بين الفرق، ص:٢١١–٢١٢ والشهرستاني، الملل والنحل ٨٦/١–٨٧ .

٢ – البرهان الساطع، ص:٥١–٥٢ وأجوبة المسائل الثمان، ص:٣٧،٤١ وحبل الشرع المتين، ص: ١٣٥.

وإخراج له عن ظاهره لقول الله تعالى {ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله}[١] وقوله تعالى: {إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى}[٢].

و كذلك صفة اليد حيث قال –رحمه الله– «و أن لله تعالى يدا بلا كيفية و لاجارحة، و ما قيل إن المراد قدرته تعالى، فتبديل و تحريف للنص و ذا باطل[٣] لقوله تعالى: {...بل يداه مبسوطتان...}[٤]

و كذلك أثبت – رحمه الله صفة البصر فقال: « إن الله تعالى بصير و البصر صفة له أزلية، لا يغيب عن بصره مرئي و إن دق[٥]، قال تعالى: {فاستقم كما أمرت ومن تاب معك و لا تطغوا إنه بما تعملون بصير}[٦]

وأما صفة النفس لله تعالى التي أنكرها بعض الفرق فقد أثبتها رحمه الله تعالى بقوله: إن لله تعالى نفسا وهي صفة لله تعالى بلا تشبيه ولا كيفية، والدليل على ذلك قوله تعالى: {تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك}[٧].

كما أنه –رحمه الله– أثبت جميع هذه الصفات كما تقم بيان ذلك، و من صفاته التي أثبت كذلك، صفة المشيئة والإرادة على مذهب أهل السنة

---

١ – انظر حبل الشرع المتين، ص:٤٤–٤٥، سورة البقرة ، الآية: ١١٤

٢ – انظر المصدر السابق نفسه، ص:٣١،سورة الليل ، الآية:٢٠

٣ – حبل الشرع المتين ص:٤٤

٤ – سورة المائدة الآية: ٦٤

٥ – حبل الشرع المتين ص: ٣٠–٣١

٦ – سورة هود، الآية :١١٢

٧ – المصدر السابق نفسه، ص:٤٥، سورة المائدة ، الآية : ١١٨

والجماعة، حيث قال: «إن الله تعالى شائئ ومريد والمشيئة والإرادة صفة له أزلية، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لقوله تعالى: {وربك يخلق ما يشاء ويختار}[1].

وأثبت رحمه الله صفة العلم حيث قال رحمه الله: «فإن الله تعالى عالم بجميع الكائنات كلياتها وجزئياتها ولايخفى عليه شيء أصلا». وذلك ردا على بعض الفرق الضالة التي تقول إن الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات، وأثبت صفة العلم بقول الله تعالى: {وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو}[2] وقوله تعالى: {واعلموا أن الله بكل شيء عليم}[3].

كان هذا بيانا لمنهج العلامة المعصومي، في مبحث الأسماء والصفات وهو كما رأينا وفق منهج السلف رضي الله عنهم، وقد سقنا أمثلة مما أورده من الصفات تلقي الضوء على موقفه رحمه الله من هذا الموضوع بما فيه الكفاية كما أن النصوص التي عرضنا لها تبين بجلاء أن العلامة المعصومي رحمه الله كان يقرر أقسام التوحيد الثلاثة وفق منهج أهل السنة والجماعة وعقيدتهم ويرد على الشبهات العارضة ويوضح الطريق السوي في هذه المباحث الخطيرة، وفي الباب الثالث إن شاء الله تعالى سنرى جهوده في بيان الإيمان بالله و مسائله و بيان أركان الإيمان.

والله الموفق للصواب والهادي إلى سواء السبيل.

---

١ – سورة القصص ، الآية:٦٨

سورة الأنعام ، الآية: ٦٠-٢

٣ – حبل الشرع المتين، ص:٢٨.

الباب الثالث

جهوده في بيان الإيمان ومسائله و اركانه

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: بيانه للإيمان بالله و مسائله

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الإيمان بالله و أهميته و آثاره

و فيه مطلبان:

المطلب الأول : تعريف الإيمان

المطلب الثاني: أهمية الإيمان و آثاره

المبحث الثاني: زيادة الإيمان و نقصانه

المبحث الثالث: حكم مرتكب الكبيرة

المبحث الرابع: نواقض الإيمان

الفصل الثاني: جهوده في بيان بقية أركان الإيمان

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بالملائكة

المبحث الثاني: الإيمان بالكتب

المبحث الثالث: الإيمان بالرسل

المبحث الرابع: الإيمان باليوم الآخر

المبحث الخامس: الإيمان بالقدر

الفصل الأول

بيانه للإيمان بالله و مسائله

وفيه اربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الإيمان بالله و أهميته و آثاره

و فيه مطلبان:

المطلب الأول : تعريف الإيمان

المطلب الثاني: أهمية الإيمان و آثاره

المبحث الثاني: زيادة الإيمان و نقصانه

المبحث الثالث: حكم مرتكب الكبيرة

المبحث الرابع: نواقض الإيمان

المبحث الأول

تعريف الإيمان وأهميته وآثاره

المطلب الأول: تعريف الإيمان

إن مسألة الإيمان من أوائل القضايا العقدية التي وقع فيها الخلاف بين الأمة الإسلامية، وقد تعددت الأقوال وتنوعت في تعريفاته، ولذلك فسأورد أولا، الأقوال في تعريف الإيمان ثم أعقبها بقول المعصومي -رحمه الله- ليتبين لنا أي الأقوال اتبعه في هذه المسألة، ولعل من الأفضل أن نبدأ بتعريف الإيمان في اللغة.

الإيمان لغة: مصدر من آمن يؤمن إيمانا فهو مؤمن[1] وهو من الأمن ضد الخوف[2].

وقال الراغب الاصفهاني: «أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف»[3].

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: «فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار

---

١ - تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد الازهري ٥١٣/١٥ تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار القومية العربية القاهرة ١٣١٤هـ.

٢ - انظر الصحاح لاسماعيل بن حماد الجوهري ٢٠٧١/٥ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة ١٣٩٩هـ والقاموس المحيط للفيروز آبادي ص١٥١٨، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٧هـ.

٣ - المفردات في غريب القرآن ص ٣٥ تحقيق محمد كيلاني مطبعة البابي الحلبي القاهرة ١٣٨١هـ.

والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد»[1].

تعريف الإيمان في الإصطلاح الشرعي :

عرف أهل السنة و الجماعة الإيمان بأنه تصديق بالقلب و قول باللسان وعمل بالأركان، و أن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان[2].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[3].

وقد حكى غير واحد منهم الاجماع على ذلك، كابن عبد البر[4] في كتابه التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد[5].

---

١ – الصارم المسلول على شاتم الرسول ص٥١٩ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هـ.

٢ – أنظر كتاب الإيمان لأبي عبيد (ص :٧٦، ٥٤، ٥٣) تحقيق الألباني، و صريح السنة لإبن جرير ص: ٢٥ تحقيق بدر بن يوسف المعتوق، و السنة لإبن الخلان (٣/٥٨٢، ٥٨١) تحقيق د. عطية الزهراني ، و الإبانة لابن بطة (٢/٨١١–٨٢٧) تحقيق رضا بن نعسان، و كتاب الإيمان لإبن منده (١/٣٣١) تحقيق د علي بن ناصر الفقيهي، و شرح أصول اعتقاد أهل السنة للألكائي.(٤/٨٣٠–٨٨٩).

٣ – شرح العقيدة الواسطية لهراس، ص ١٥٢.

٤ – هو ابو عمر يوسف بن عبد الله النحري القرطبي المالكي حافظ المغرب، اشتهر عنه الاقتداء بالسلف الصالح في المنهج والمعتقد وهو عالم جليل مؤرخ وأديب له مؤلفات كثيرة من اهمها التمهيد والاستذكار (ت ٤٦٣هـ انظر أعلام النبلاء للذهبي ١٥٣/١٨ ط١، مؤسسة الرسالة بيروت. والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون ٣٦٧/٢ دار التراث، القاهرة.

٥ – التمهيد ٢٤٨/٩ طبعة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية.

ولقد تلقى أهل السنة هذا التعريف بالقبول والتسليم[١]، قال ابن أبي العز الحنفي «ذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي واسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين إلى أن الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان»[٢]. وقد ركز الشنقيطي -رحمه الله- في مواضع من كتابه [أضواء البيان] على بيان مذهب السلف في مسألة الإيمان، فقد قال عند قوله تعالى: {ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان}[٣]، ما نصه: ومعلوم أن الحق الذي لاشك فيه الذي هو مذهب أهل السنة والجماعة، أن الإيمان شامل للقول والعمل مع الاعتقاد، وذلك ثابت في أحاديث صحيحة كثيرة[٤]، وعند قول تعالى: {وزدناهم هدى}[٥] ذكر الآيات الدالة على زيادة الإيمان، ثم قال: وهذه الآيات المذكورة نصوص صريحة في أن الإيمان يزيد، ومفهوم منها أنه ينقص أيضا، كما استدل بها البخاري -رحمه الله- على ذلك وهي تدل عليه دلالة صريحة لاشك فيها،

---

١ - انظر مجموع الفتاوي لشيخ الاسلام ابن تيمية ٣٠٨/٧، ٤٧٢/١٢ الطبعة الرابعة، مؤسسة مكة للطباعة والاعلام وتفسير ابن كثير ٣٩/١ دار الريان، القاهرة ١٤٠٨هـ.

٢ - شرح العقيدة الطحاوية ص٢٧٣ وانظر كتاب الإيمان لابن أبي شيبة، ص: ٤٦، كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام، ص:٥٣، كتاب الإيمان للعدني، ص:٩٦، السنة، ص:٥٦٦، الشريعة، ص: ١٣١، الإيمان لابن منده: ٣٣١/١، مسائل الإيمان، ص:١٥٢، التمهيد لابن عبد البر: ٢٣٨، ٢٤٣، الإبانة الصغرى لابن بطة، ص:١٧٦، الإبانة الكبرى له: ٨١١/٢.

٣ - سورة الشورى الآية: ٥٢

٤ - أضواء البيان ٢٠١/٧

٥ - سورة الكهف الآية: ١٣.

فلا وجه معها للاختلاف في زيادة الإيمان ونقصه، كما ترى، والعلم عند الله تعالى[١].

تعريفات الطوائف الأخرى للإيمان:

تعددت مذاهب الناس في تعريف الإيمان إلى أقوال نذكر أهمها بالإضافة إلى تعريف أهل السنة و الجماعة الذي تقدم بيانه و هي كالآتي:

الأول قول الجهمية[٢]:

الإيمان هو المعرفة بالقلب فقط[٣]، وهذا القول ظاهر الفساد، فإن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين، فإنهم عرفوا صدق موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، ولم يؤمنوا بهما، ولهذا قال موسى لفرعون: {لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر}[٤]، وقال تعالى: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين}[٥].

---

١ – أضواء البيان ٢٩/٤.

٢ – تقدم التعريف بالجهمية في ص:٢٣٣ من هذا البحث.

٣ – كتاب الإيمان لمحمد بن يحيى العدني، ص:٩٦، السنة للخلال، ص:٥٧١، المقالات للأشعري، ص:١٣٢، الشريعة للآجري، ص:١٣١، الإيمان لابن منده: ٣٣١/١، الفرق بين الفرق–البغدادي، ص:٢١١، أصول الدين– البغدادي، ص:٢٤٩، مسائل الإيمان–القاضي أبي يعلى، ص:١٦١، المواقف للإيجي، ص:٣٨٤، الملل والنحل: ١٤٠/١، الإيمان لابن تيمية، ص:١٨٤، مجموع الفتاوي له: ٥٠٨/٧، الفوائد لابن القيم، ص:١٤١، شرح العقيدة الطحاوية، ص:٣٧٣.

٤ – سورة الإسراء الآية: ١٠٢.

٥ – سورة النمل الآية: ١٤.



وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، ولم يكونوا مؤمنين به، بل كافرين به، معادين له، وكذلك أبو طالب عنده يكون مؤمنا، فإنه قال:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا

بل إبليس يكون عند الجهم مؤمنا كامل الإيمان، فإنه لم يجهل ربه، بل هو عارف به {قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون}[1] {قال رب بما أغويتني}[2]، {قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين}[3].

والكفر عند الجهم هو الجهل بالرب تعالى، ولا أحد أجهل منه بربه، فإنه جعله الوجود المطلق، وسلب عنه جميع صفاته، لا جهل أكبر من هذا فيكون كافرا بشهادته على نفسه[4].

الثاني قول الكرامية[5]:

---

١ - سورة ص الآية: ٧٩ وسورة الحجر الآية ٣٦.

٢ - سورة الحجر الآية ٣٩.

٣ - سورة ص الآية: ٨٢

٤ - انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٣٧٣-٣٧٤

٥ - الكرامية هم اتباع محمد بن كرام المتوفى سنة ٢٥٥هـ و هم طوائف عدة اشتهروا بالتشبيه في صفات الله و القول في الإرجاء، و مذهب الكرامية كلام الله حادث قائم بذات الله بعد أن لم يكن متكلما. معجم الفاظ العقيدة عامر بن عبد الله بن صالح ص: ٣٣٤

الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢١٦

الإيمان هو الإقرار باللسان فقط دون القلب[1]

فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملوا الإيمان، ولكنهم يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به، وقولهم ظاهر الفساد.

الثالث قول المرجئة[2]:

وهم الذين يقولون إن الإيمان مجرد التصديق ومنهم من يقول: الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالقلب، و هم الذين يسمون مرجئة الفقهاء، وهذا التعريف مخالف لما درج عليه السلف وأئمة السنة من إدخال الأعمال في مسمى الإيمان كما تقدم.

الرابع قول الخوارج[3] والمعتزلة: الإيمان فعل الطاعات المفترضة كلها

---

١ – مقالات الإسلاميين للأشعري، ص:١٤١، الإيمان لابن منده ٣٣١/١ الفرق بين الفرق للبغدادي، ص:٢٢٣ شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ٣٧٣-٣٧٤

٢ – المرجئة مشتق من الإرجاء وهو على معنيين:

١ –الإرجاء بمعنى التأخير

٢– الإرجاء بمعنى إعطاء الرجاء

ويصدق إطلاقه على المرجئة بكلا المعنيين، لأنهم يأخرون الأعمال عن الإيمان، ولأنهم يعطون الرجاء للفساق،

انظر: مجموع الفتاوى١٩٥/٧ ،٥٤٣-٥٥١ ، الفرق بين الفرق، ص:٢٠٢ ، الملل والنحل: ١١٤/١. وانظر قول المرجئة: الإيمان تصديق وقول في: كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام، ص:٥٣ ، المقالات، ص:١٣٨ ، كتاب الإيمان لابن منده: ٣٣١/١ ، أصول الدين، ص: كتاب الإرشاد ، ص:٣٣٣ ، الإيمان لابن تيمية، ص:١٨٤ ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص:٣٧٣.

٣ – الخوارج: ويقال لهم النواصب، والحرورية، نسبة إلى الموضع الذي خرج فيه أولهم على علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– بعد أن أجبروه على قبول التحكيم مع معاوية بن أبي سفيان رضي

بالقلب واللسان وسائر الجوارح[١]، وهم يوافقون أهل السنة والجماعة في التعريف فقط ويخالفونهم في جعلهم الإيمان شيئاً واحدا إذا ذهب جزؤه ذهب كله فكفروا بناء على ذلك مرتكب الكبيرة على قول الخوارج أو اخرجوه من الإيمان و حكموا عليه بالخلود في النار على قول المعتزلة وبذلك خالفوا المنهج الصحيح.

وبين هذه المذاهب مذاهب أخرى بتفاصيل وقيود أعرضت عنها للإختصار وظهور فسادها، ذكر هذه المذاهب الشهرستاني[٢] أثناء كلامه عن الفرق، وإنما ذكرت منها ما ذكرت لأجل إلقاء الضوء عليها وبيان بطلانها وتحذير الناس من الأفكار الفاسدة الكاسدة.

قول المعصومي في المسألة :

الله عنهما، وقبله طلبوا منه أن يرفضه ويتوب معللين لذلك بأنه كفر بسبب التحكيم، كما كفروا هم وتابوا، وقد انقسم الخوارج إلى عشرين فرقة ، ويجمعهم القول بالتبري من عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وتكفير أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقا واجبا.

الشهرستاني: الملل والنحل ١١٤/١-١١٥ ، والبغدادي: الفرق بين الفرق، ص:٧٢،٢٤ والمقريزي، كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ٣٥٤/٢، مكتبة الثقافة العربية بالقاهرة، [د.ت] ومحمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الاسلامية، ص:٦٠، دار الفكر العربي [د.ت].

١ -أنظر كتاب الإيمان لابن منده ٣٣١/١ ، أصول الدين، ص:٣٤٩ ، كتاب الإرشاد للجويني، ص:٣٣٣ ، مسائل الإيمان ص:١٥٦، مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٥١٠/٧ ، المواقف في علم الكلام للإيجي، ص:٣٨٥.

١٤٠ -٢ – الملل والنحل ١٣٩/١

بعد هذا العرض لأقوال الطوائف في تعريف الإيمان، نذكر هنا من أقوال العلامة المعصومي ما يلقي الضوء على موقفه من هذه المسألة، التي كانت ومازالت مثار جدل بين طوائف المسلمين وفيما يلي بيان ذلك:

يقول المعصومي: «إن الإيمان هو التصديق القلبي والإقرار الصريح باللسان والعمل بمقتضاه»[١].

وقال -رحمه الله- أثناء عرضه لمسألة الإيمان: «إن الإيمان هو التصديق والإذعان لما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله تعالى ضرورة والإقرار به والعمل بموجبه»[٢].

وكرر -رحمه الله- تعريف الإيمان وفق منهج السلف عدة مرات في مؤلفاته وقال في عقد الجوهر الثمين: «الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان»([٣])، وبما سقناه من نصوص نقلناها من مؤلفات العلامة المعصومي، تبين بجلاء موافقته لأهل السنة والجماعة في تعريف الإيمان ومفهومه حيث بين أن مسمى الإيمان شامل للقول والعمل مع الإعتقاد وهي مسألة تعتبر من أصول أهل السنة والجماعة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٤].

---

١ – عقد الجوهر، ص: ٤.

٢ – حبل الشرع المتين ص: ٥٢ وقد تقدمت الإشارة إلى طرف من هذا الموضوع في ص : ٢٣٩ من هذا البحث.

٣ – عقد الجوهر ، ص: ٤.

٤ – العقيدة الواسطية مع شرحها للشيخ محمد خليل الهراس ، ص: ١٥٢

فقد بين -رحمه الله - أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان ، وبذلك خالف جمهور الحنفية الذين هم الغالبية في بلاده التي ولد بها ونشأ ودرس حيث يقول: «إن الإيمان هو التصديق والإذعان لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى، وضرورة الإقرار به والعمل بموجبه ، وأما الإقرار بلا تصديق ولاعمل فليس بإيمان بل هو نفاق لقوله تعالى{ يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم}[١].

ولقوله عز وجل {قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم} [٢].

وفي بيانه لمسألة الإيمان بالله أورد حديث جبريل المشهور الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»[٣]، و قال «إن الإيمان أن تؤمن بالله وتصدق بالله، فنحن نؤمن بذلك كله»،

وأورد -رحمه الله- مسألة الإيمان والإسلام والفرق بينهما[٤] وقال: «إن الإيمان والإسلام واحد فلا يوجد إيمان بلا إسلام ولا إسلام بلا إيمان وهو

---

١ - سورة المائدة الآية ٤١

٢ - سورة الحجرات الآية ١٤

٣ - صحيح مسلم بشرح النووي ١٥٦/١

٤ - الإيمان والإسلام الشرعيان متلازمان في الوجود، فلا يوجد أحدهما بدون الآخر، بل كلما وجد إيمان صحيح معتد به و جد معه إسلام وكذلك العكس، و لهذا قد يستغنى بذكر أحدهما عن

التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بما جاء بـه الـنبي صـلى الله عليـه وسلم من عند الله تعالى وجميع ماعلم بالضرورة مجيئه لقوله تعالى: {فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيهـا غـير بيـت مـن المسلمين}[1]، وفي سورة يونس {وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنـتم بـالله فعليـه توكلـوا إن كنـتم مسلمين}[2]. وعند قولـه تعـالى{ يأيهـا الـذين آمنـوا قـوا أنفسـكم وأهلـيكم نارا...}[3] ذكر أن الوقاية منها أي النار إنمـا تكـون بالإيمـان بـالله ورسـوله والعمل بمقتضاه وبتأديب الأولاد وتعليمهم الإيمان الصحيح والإسـلام الصـريح

الآخر، لأن أحدهما إذا أفرد بالذكر دخل فيه الآخر وأما إذا ذكرا معا مقترنين أريد بالإيمان التصديق و الإعتقاد، و أريد بالإسلام الإنقياد الظاهري من الإقرار باللسان و العمل بالجوارح، و لكن هذا بالنسبة إلى مطلق الإيمان، أما الإيمان المطلق فهو أخص مطلقا من الإسلام، وقد يوجد الإسلام بدونه، كما في قوله تعالى{ قالت الأعراب آمنا قل لم تومنوا ولكن قولوا أسلمنا} فأخبر بإسلامهم مع نفي الإيمان عنهم، وفي حديث جبريل ذكر المراتب الثلاث: الإسلام، والإيمان، والإحسان، فدل على أن كلا منها أخص مما قبله، راجع الفرق بين الإسلام والإيمان في كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٤ وما بعدها، تحقيق هاشم محمد الشاذلي ، دار الحديث بجوار دارة الأزهر،(د.ت) وشرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد خليل هرا س ص ١٥٦ – ١٥٧..ولتوسع في معرفة الإيمان المطلق وهل هو أخص مطلقاً من الإسلام فتاوى شيخ الاسلام بن تيمية الجزء السابع صفحة عشرة .

١ – سورة الذاريات الآية ٣٦

٢ – حبل الشرع المتين ص ٥٢ والآية من سورة يونس رقم ٨٤

٣ – سورة التحريم الآية ٦

والإحسان والأخلاق الإنسانية والعمل بطاعة الله والاحتراز عن معاصي الله»[١].

والواقع أن الشيخ المعصومي– رحمه الله– تناول موضوع الإيمان بالله بإسهاب في عدد من مؤلفاته وعرض جميع المسائل المختلفة التي عالجها في هذا الباب بمنهج موضوعي وآراء واضحة، ومن ذلك حكمه بصحة إيمان المقلد حيث قال رحمه الله :«إن إيمان المقلد صحيح، فمن قلد لغيره واعتقد ما يجب عليه اعتقاده فهو مسلم، ولكن الواجب عليه الاستدلال، فأثم بتركه وإن كان إيمانه صحيحا، لقوله تعالى{ولاتقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا}»[٢]، و كذلك موقفه من مسألة الإستثناء في الإيمان حيث قال – رحمه الله– «إن العبد المؤمن إذا وجد منه التصديق والإقرار صح له أن يقول أنا مؤمن ولا ينبغي أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله تعالى لا للتبرك وتفويض الخاتمة إلى الله تعالى لأن الإيمان المنجي هو الذي ختم عليه لقوله تعالى: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون}»[٣] وهذه المسألة اختلفت فيها

---

١ – تمييز المحظوظين ص ٣١٤

٢ – انظر جبل الشرع المتين ص ١٣٩ والآية من سورة النساء رقم ٩٤

٣ – انظر حبل الشرع المتين ص ٥٣ والآية من سورة الحجرات رقم ١٥

فتاوى العلماء[١]' وقد ركز –رحمه الله– على بيان الإيمان الصحيح المعتد به شرعا قائلا إن الإيمان فرض

عيني على كل مكلف، وبين أن إيمان اليائس غير نافع بقوله: « إن إيمان اليائس غير نافع فمن آمن عند سكرات الموت ومعاينته لعذاب الملك لم ينفعه إيمانه ولا يكون مؤمنا لقوله تعالى{ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا} »[٢] وفي الحقيقة أن العلامة المعصومي رحمه الله كان من العلماء الباحثين الذين تناولوا مسائل العقيدة بوجه عام ، ومسألة الإيمان بوجه خاص.

و بما سقناه من نصوص يتبين لنا مدى التزام المعصومي – رحمه الله– بمنهج أهل السنة و الجماعة و معتقدهم في مسألة الإيمان بالله تعالى، وبالله التوفيق.

---

١ – من المعلوم أن المسلم مطلوب منه الإيمان الجازم وفي إلحاق الإستثناء بالإيمان نوع شك، وقد ذهب الناس فيه إلى أربعة أقوال، قوم يذهبون إلى وجوبه وآخرون يذهبون إلى تحريمه وبعض آخر يكفر به وفريق رابع يجيره باعتبار ويمنعه باعتبار آخر وهذا أصح الأقوال وتفصيله أن الذي شك في إيمانه لهذا الإستثناء منع من هذا الإستثناء، وأما من قال ذلك تبيانا لعدم علمه بالعاقبة أو تعليقا للأمر بمشيئة الله تعالى أو إذا استثنى مع اطمئنانه ففي كل هذه الحالات يجوز الاستثناء . انظر شرح الإمام علي القاري على كتاب ألفاظ الكفر للعلامة بدر الرشيد ص ٣١١ رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى من مكة المكرمة سنة ١٤١٩هـ. ومجموع الفتاوي لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤٢٩/٧ وكتاب الإيمان له أيضا ص ٢٩٩ وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٣٩٨،٣٩٥

٢ – حبل الشرع المتين ص ١٢٥ والآية من سورة غافر رقم ٨٤

المطلب الثاني: أهمية الإيمان وآثاره:

إن من المعلوم ضرورة لدى كل مسلم أن الله عز وجل أرسل رسوله بالهدى ودين الحق القائم على الإيمان الخالص لله عز وجل، فيجب على كل مؤمن أن يعرف أركان الإيمان، وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، لأن الإيمان بهذه المغيبات أساس هذا الدين، ولأن الله سبحانه وتعالى لايقبل إيمان أحد جحدها، او جحد واحدا منها، حتى يقر ويؤمن بها جميعا.

فالإيمان بالله له أهمية قصوى، لأن سعادة الإنسان في الدارين مبنية على قوة إيمانه بالله تعالى وقربه منه، فمن أطاع الله تبارك وتعالى، وآمن به إيمانا حقا، واجتنب ما نهى عنه، فقد فاز فوزا عظيما، كما أن نجاة الإنسان من عذاب الله تبارك وتعالى، ومن عقابه الذي توعد به الكافرين هو الإيمان به عز وجل.

وقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى تحث على الإيمان بالله تعالى وتبين أهميته، فمن ذلك: قوله تعالى:﴿والعصر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر﴾[1].

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن الإيمان سبب لحصول رغد العيش وطيبه في قوله تعالى:﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات

---

١ – سورة العصر، الآيات ١–٣.

من السماء والأرض}[١]، وقوله سبحانه: {من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون}[٢].

وسبب للأمن في الآخرة، كما في قوله تعالى: {الذين آمنون ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون}[٣].

وسبب للتثبيت عند سؤال القبر والنجاة من عذابه، كما في قوله سبحانه: {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة}[٤].

وسبب لرضوان الله تعالى، ولدخول جنته، وللنجاة من النار، كما في قوله تعالى: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أولئك هم خير البرية، جزاؤهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا، رضي الله عنهم ورضوا عنه، ذلك لمن خشي ربه}[٥]، وقوله سبحانه: {يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم

---

١ – سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

٢ – سورة النحل، الآية: ٩٧

٣ – سورة الأنعام، الآية: ٨٢

٤ – سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

٥ – سورة البينة، الآية: ٧ –٨

تعلمون}[١].

كما بين سبحانه وتعالى أن الإيمان سبب لهداية المؤمنين إلى الجنة في قوله عز وجل: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم}[٢].

وقد تحدث العلماء عن اهمية الإيمان، ومن الذين توسعوا في ذلك قبل العلامة المعصومي شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول في أثناء كلامه عن الإيمان و التوحيد.

«فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول»[٣].

وفي الحقيقة أن للإيمان أهمية كبرى لأن كل ما سواه من أعمال ينبني عليه وعلى الإخلاص فيه، ولأنه سبب لدخول الجنة حيث أنه لاطريق لدخولها إلا بالإيمان الخالص من شوائب الشرك، وأما آثاره وثمراته فهي كثيرة معلومة بالضرورة لكل عاقل مؤمن ومن أمعن النظر في نصر الله عز وجل للمؤمنين به إيمانا صادقا وجد في ذلك شاهدا على ما نحن بصدده.

وقد أشار المعصومي رحمه الله أثناء حديثه عن الإيمان إلى أهميته وآثاره حيث قال: «إن الإيمان فرض قطعي عيني على كل مكلف ومن لم يؤمن فهو في النار خالد مؤبد لقول الله تعالى {يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله

---

١ – سورة الصف، الآية: ١٠-١١.

٢ – سورة يونس، الآية: ٩.

٣ – مجموع الفتاوي ٦/٥

والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا}[١] ولقوله عز وجل {وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون}[٢].

ثم قال –رحمه الله– بعد عرضه لجملة من النصوص: «وعلى فرضية الإيمان انعقد الإجماع فمن لم يؤمن بالله فهو كافر بالله تعالى»[٣].

وأما ثمرات الإيمان وآثاره فبين –رحمه الله– أن الإيمان سبب لخيري الدنيا والآخرة حيث قال: «ولاريب أن الإيمان بالله والرسول صلى الله عليه وسلم واليوم الآخر والتمسك بالشريعة حق لأن الله تعالى يقول: {إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم}[٤]. وبالعكس البدع والإلحاد والخرافات فإنها سبب لشري الدنيا والآخرة[٥].

---

١ – سورة النساء، الآية: ١٩٦

٢ – سورة البقرة، الآية: ٤١

٣ –حبل الشرع المتين ص: ٥٠–٥١.و انظر أوضح البرهان ص: ١٥ و ما بعدها.

٤ – سورة محمد، الآية: ٧

٥ – حبل الشرع المتين، ص: ٥، أنظر أوضح البرهان ص: ١٢١

المبحث الثاني

زيادة الإيمان ونقصانه

إن مسألة زيادة الإيمان و نقصانه مبنية على دخول العمل في مسمى الإيمان فكل من قال الإيمان قول و عمل قال بزيادة الإيمان و نقصانه و من قال العمل غير داخل في مسمى الإيمان قال إن الإيمان لا يزيد و لاينقص.

و الواقع أن الإيمان الذي دلت عليه الأدلة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات والعبادات، من ذكر الله والتفكر في الكون وما فيه من عجائب المخلوقات، وأداء النوافل، والمسارعة إلى كل عمل يقرب من الله تعالى، وينقص بفعل المعاصي، وإتيان المنكرات والفواحش، وكل عمل يبعد العبد عن الله عز وجل.

والقول بزيادة الإيمان ونقصانه قول أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم، وهو القول الحق[١] الذي دلت عليه النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا عبرة بمن خالف ذلك من أهل البدع والأهواء[٢].

---

١ - أنظر الإبانة لابن بطة (٨٢٩/٢ وما بعدها)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٨٨٥/٦-٩٥٧). ومجموع فتاوي لشيخ الاسلام ابن تيمية (٢٢٣/٧).

٢ - وهم الخوارج والمعتزلة والمرجئة وأتباعهم، فقد ذكر عنهم شيخ الاسلام ابن تيمية أصلا، وهو أن الإيمان عندهم كل لا يتجزأ، فإذ ذهب بعضه ذهب كله، وذكر ان هذا الأصل عند المبتدعة في الإيمان، كالخوارج والمعتزلة، والمرجئة، فعلى قول المعتزلة يكون الإيمان هو مجموع ما امر الله به،

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل}[١].

وقوله تعالى: {وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا}[٢].

وقوله تعالى: {وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا، فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون}[٣].

وقوله سبحانه: {وهو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم}[٤]، وغير ذلك من الآيات الدالة على زيادة الإيمان، والآيات في معناها كثيرة جدا.

وأما الأدلة من السنة فمنها: حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو

فإذا ذهب منه شيء لم يبق مع صاحبه من الإيمان شيء فيخلد في النار. (انظر مجموع فتاوي ٧/٢٢٣).

١ – سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

٢ – سورة الأنفال، الآية: ٢.

٣ – سورة التوبة، الآية: ١٢٤–١٢٥.

٤ – سورة الفتح، الآية: ٤.

مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[1].

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»[2] والمراد نفي الكمال الواجب، ونظائره كثيرة.

ومنها حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار من قال: لاإله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلى الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»[3].

فهذه بعض أدلة السلف من القرآن الكريم والسنة المطهرة تدل على أن الإيمان يزيد وينقص، وإن كان بعضها فيه لفظ الزيادة فقط، فإنها تدل بطريقة الإلتزام على النقص، لأن الشيء الذي يقبل الزيادة يقبل النقص، وإلا فلا معنى للزيادة، إذ لايمكن أن يتصور شيء قابل للزيادة غير قابل للنقصان.

---

١ - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص. (١/٧٠ برقم ٥٠).

٢ - أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان. (الفتح ١/٧٥ برقم ١٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين. (١/٦٧ برقم ٤٥).

٣ - أخرجه البخاري في عدة مواضع، انظر كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه. (الفتح ١/١٢٧ برقم ٤٤) واللفظ له، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها. (١/١٨٢ برقم ١٩٣).

روى الآجري بسنده أنه قيل لسفيان بن عيينة: الإيمان يزيد وينقص؟ قال: أليس تقرأون القرآن {فزادهم إيمانا}[١] في غير موضع. قيل: وينقص؟ قال: ليس شيء يزيد إلا وهو ينقص[٢].

وروى ابن أبي عمر العدني[٣] بسنده عن سفيان قال: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فقال له أخوه ابراهيم بن عيينة[٤]، يا أبا محمد، لا تقل ينقص. فغضب وقال: اسكت يا صبي، بل ينقص حتى لايبقى منه شيء[٥].

وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان في الإيمان عن عدد كبير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

فعن ابن عباس وأبي هريرة وأبي الدرداء رضي الله عنهم، كلهم قالوا:

---

١ – سورة آل عمران، الآية: ١٧٣

٢ – أخرجه الآجري في الشريعة (١١٧).

٣ – محمد بن يحيى بن أبي عمر أبو عبد الله العدني الدراوردي، ويقال له: ابن أبي عمر، عالم بالحديث، وحدث عن فضيل بن عياض وطبقته، وسمع منه مسلم بن الحجاج والترمذي، قال الحافظ في التقريب (ص٥١٣ برقم ٦٣٩١): صدوق صنف المسند، وكان لازم ابن عيينة. له كتاب الإيمان والمسند في الحديث توفي (٣٤٣هـ) (انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ: الذهبي ٧٦/٢، وشذرات الذهب: ابن العماد الحنبلي ١٠٤/٢).

٤ – ابراهيم بن عيينة أبو اسحاق أخو سفيان بن عيينة كان إماما خيرا، قال يحيى بن معين: كان مسلما صدوقا، ولم يكن من أصحاب الحديث. توفي (١٩٩هـ) (انظر: الجرح والتعديل: ابن أبي حاتم ١١٨/٢، وميزان الاعتدال: الذهبي ٥١/١، والتقريب: ابن حجر ٩٢ برقم ٢٢٧).

٥ – أخرجه العدني في كتاب الإيمان (ص ٩٤ برقم ٢٨) تحقيق: حمد بن حمدي الحربي، قال المحقق: إسناده حسن، وأخرجه الآجري في الشريعة (ص١١٧)، وابن بطة في الإبانة (٨٥٥/٢ برقم ١١٥٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩٦٠/٥ برقم ١٧٤٥).

الإيمان يزيد وينقص[١].

وعن عمير بن حبيب رضي الله عنه وهو من الصحابة[٢] قال: الإيمان يزيد وينقص. قيل له: ما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله عز وجل وخشيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه[٣].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يأخذ بيد الرجل والرجلين في الحلق فيقول: (تعالوا نزدد إيمانا)[٤].

كما ثبت هذا المعنى عن جمع غفير من التابعين ومن بعدهم من الأئمة، كالأوزاعي، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، ومالك، والإمام أحمد

---

١ – أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٣١٤/١ برقم ٦٢٢، ٦٢٣)، والآجري في الشريعة (ص ١١١)، وابن بطة في الإبانة (٨٤٤/٢، ٨٤٥ برقم ١٢٢٦–١١٣٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٩٤٥/٥، ٩٤٤ برقم ١٧١١، ١٧٠٩)

٢ – هو جد أبي جعفر الخطمي، وهو صحابي أيضا (انظر التقريب لابن حجر ص ٤٣١ برقم ٥١٨٠).

٣ – أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان (ص ٧)، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٣١٥/١ برقم ٦٢٤)، وابن جرير في صريح السنة ص:٢٥ برقم ٢٨)، والآجري في الشريعة (ص١١١–١١٢) وابن بطة في الإبانة (٨٤٥/٢ برقم ١١٣١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٩٤٩/٥ برقم ١٧٢١)، والصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص ٦٧ برقم ١٠٥).

٤ – أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان (ص ٣٦)، والآجري في الشريعة (ص ١١٢)، وابن بطة في الإبانة (٨٤٧/٢ برقم ١١٣٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٩٤١/٥ برقم ١٧٠٠)، وأبو يعلى في مسائل الإيمان (ص ٤٠٤).

والشافعي، والبخاري، وإسحاق بن راهويه[١]، وأبي عبيد وغيرهم[٢]، كلهم مجمعون على القول بزيادة الإيمان ونقصانه.

وقد نهج العلامة المعصومي -رحمه الله تعالى- منهج سلف هذه الأمة وأئمتها الذين تمسكوا بالسنة على مدى التاريخ في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، كغيرها من المسائل العقدية، حيث ركز في هذا المبحث على ذكر النصوص الدالة على زيادة الإيمان ونقصانه ولم يلتفت إلى ما يخالف تلك النصوص، بالإضافة إلى تجربته الشخصية في هذا الموضوع، وقد رد رحمه الله على الإمام أبي حنيفة وأصحابه في قولهم بعدم زيادة الإيمان ونقصانه واعتبر قولهم مخالفا لظاهر الكتاب والسنة الصحيحة، كما سيأتي ذكره بعد قليل.

وقبل الدخول في رده على الحنفية في عدم القول بزيادة الإيمان ونقصانه نذكر طرفا من تقريره لهذه المسألة التي هي موضوع خلاف بين أهل السنة، والمدرسة الحنفية حيث قال: «إن الإيمان هو التصديق بأن النبي محمدا رسول الله ﷺ، وهو الأصل في النجاة وهو يزيد وينقص ويقوى ويضعف

---

١ – إسحاق بن راهويه بن مخلد التميمي المعروف بابن راهويه، سيد الحفاظ، وشيخ المشرق في زمانه، قال الإمام أحمد عنه: لا أعرف لإسحاق في الدنيا نظيرا، وقال النسائي فيه: أحد الأئمة، ثقة، مأمون توفي (٢٣٨هـ) (سير اعلام النبلاء: الذهبي ٢٥٨/١١، والبداية والنهاية: ابن كثير ٢٣١/١٠).

٢ – انظر: السنة لابن الخلال (٥٨١-٥٨٢)، والشريعة للآجري (ص١١٦-١١٧)، والإبانة لابن بطة (٨٥٠/٢-٨٥٢)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٨٩٣-٨٩٤)، والاعتقاد للبيهقي (ص١٢٠-١٢١).

ولابد مع هذا من الإقرار باللسان والعمل بمقتضاه لما أخرجه ابن ماجه وغيره عن عائشة وعلي رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «الإيمان التصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان يزيد وينقص»[١]. وفي الصحيح «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لاإله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[٢]، والحق أن الإيمان يزيد وينقص كما هو صريح الآيات القرآنية والأحاديث النبوية[٣].

وقد ذكر -رحمه الله- أنه جرب زيادة الإيمان في نفسه، وذلك بتلاوة القرآن الكريم والتفكر والتأمل في آياته، وبمطالعة الأحاديث النبوية الشريفة حيث قال: «والعبد الضعيف قد جربت وعاينت في نفسي أن إيماني زاد يوما فيوما، ويقيني تقوى ساعة فساعة كلما أتلو كتاب الله القرآن، وأتفكر وأتأمل في آياته، أزداد إيمانا على إيمان، ويقينا على يقين، وكذا كلما أطالع أحاديث رسول اللهﷺ فتظهر لي حقائق الأمور حتى صرت في التوحيد، كالجبل الراسخ الذي لايتزلزل ولا يتحرك، فإن جربت كتجربتي ظهرت لك الحقيقة كما ظهرت لي فإن أردت زيادة العلم والبصيرة فعليك بمطالعة كتبي

---

١ - سنن ابن ماجه المقدمة / ص: ١١/ حديث رقم ٦٥

٢ - أخرجه مسلم بهذا اللفظ في كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان. (١/ ٦٣ برقم ٣٥) وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب الحياء (فضل الله الصمد ٢/ ٥٤ برقم ٥٩٨)، وفي صحيحه كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان. (الفتح ١/ ٦٧ برقم ٩) بلفظ: (الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان).

٣ - انظر البرهان الساطع ٨٩ وعقد الجوهر الثمين ص: ٤.

المطبوعة والمنشورة «كحكم الله الواحد الصمد في الطالب من الميت المدد» و «أوضح البرهان في تفسير أم القرآن» و «تحفة السلطان في وتر رمضان» وغيرها، فإن فيها ما يشفي العليل ويروي الغليل وبالله التوفيق[١].

كما أنه -رحمه الله- رد على الإمام أبي حنيفة ومن وافقه من أصحابه في قولهم بعدم زيادة الإيمان ونقصانه، واعتبر مذهبهم في هذه المسألة مخالفا للكتاب والسنة كما مرت الإشارة إليه، حيث قال: «فالإمام أبو حنيفة ومن وافقه من أصحابه رحمهم الله تعالى قد خالفوا ظاهر الكتاب والسنة الصحيحة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه فإن الحق الصواب المطابق للواقع أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو صريح الآيات والأحاديث والآثار[٢]، فقول أبي حنيفة رحمه الله تعالى في كتابه الوصية، والإيمان لا يزيد ولا ينقص، لأنه لا يتصور نقصانه إلا بزيادة الكفر، ولايتصور زيادته إلا بنقصان الكفر..، وقال في رسالته «إن الناس لايختلفون في التصديق ولايتفاضلون فيه وقد يتفاضلون في العمل» ، وفي الفقه الأكبر، «وإيمان أهل السماء والأرض

---

١ - البرهان الساطع ص:٩١-٩٢.

٢ - هذه المسألة تناولها جم غفير من علماء السنة ومن أبرز من استوفى الكلام فيها شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابيه (الإيمان) و(الإيمان الأوسط) ضمن مجموع فتاويه. وانظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، فقد ذكر طائفة طيبة من أدلة الكتاب والسنة التي تبين أن الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان وهو قول وعمل. وهذا مذهب أهل السنة والجماعة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل القرون الثلاثة الفضلى. ومنهم مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وغيرهم كثير كما في كتب الإيمان والسنة والتوحيد.

لايزيد ولاينقص، والمؤمنون مستوون في الإيمان والتوحيد متفاضلون في الأعمال»، وفي الفقه الأبسط له قال أبو مطيع قلت لأبي حنيفة «أيكون إيمانه كإيمان الملائكة قال نعم» وفي كتابه العالم والمتعلم ينبغي لنا أن نقول «إن إيماننا كإيمان الملائكة والرسل، لأنا أقررنا بما أقرت به الملائكة وصدقت به الأنبياء والرسل، فمن هاهنا زعمنا أن إيماننا مثل إيمان الملائكة والانبياء، لأنا آمنا بكل ما آمنت به الملائكة».

فبناء على هذا القول صرح عامة الحنفية في كتب عقيدتهم كالنسفية والعضدية بأن الإيمان لايزيد ولاينقص واشتهر هذا القول حتى صار من شعار الحنفيين عامة، والحال أنه مخالف لصريح الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة الثابتة النبوية وعقيدة كافة الصحابة والتابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم، كما هو المصرح به في صحيح البخاري ومسلم، وكافة كتب السنن المعتبرة وعامة التفاسير المشهورة، فإن أردت تحقيق المسألة فعليك بمراجعة تلك الكتب وخصوصا كتب شيخ الاسلام أحمد بن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية وغيرهما من محققي العلماء[1].

---

١ البرهان الساطع ص٨٩-٩١.

المبحث الثالث:

حكم مرتكب الكبيرة

إن هذه المسألة من المسائل التي اختلفت فيها أقوال الناس و اضطربت إضطرابا كثيرا تبعا لإختلافهم في تعريف حقيقة الإيمان.

وقبل الشروع في عرض قول الشيخ المعصومي، أذكر أقوال السلف رحمهم الله في تعريف الكبيرة و حكم أهلها في الدنيا و مصيرهم في الآخرة، وذلك ليتبين لنا موافقة العلامة المعصومي لمذهب السلف في هذه المسألة، و بالله التوفيق.

وفيما يلي بيان ذلك:

تعريف الكبيرة:

اختلفت أقوال السلف -رحمهم الله- في تعريفها ولكن هذا الاختلاف متقارب في المعنى و في ذلك يحدثنا ابن القيم -رحمه الله- في مقدمة عرضه لأقوال السلف فيها «وأما الكبائر: فاختلف السلف فيها اختلافا لايرجع إلى تباين وتضاد، وأقوالهم متقارب»[1].

وقد أورد ابن تيمية رحمه الله أكثر من عشرين تعريفا للكبيرة مرجحا

---

١ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٣٤٧/١.

أنها «كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب»[١]، ثم ذكر رحمه الله وجوه الترجيح لهذا التعريف فقال: «وإنما قلنا إن هذا الضابط أولى من سائر تلك الضوابط المذكورة لوجوه:

أحدها: أنه المأثور عن السلف بخلاف تلك الضوابط، فإنها لاتعرف عن احد من الصحابة والتابعين والأئمة، وإنما قالها بعض من تكلم في شيء من الكلام أو التصوف بغير دليل شرعي.

الثاني: أن الله تعالى قال: {إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما}[٢]. فقد وعد مجتنب الكبائر بتكفير السيئات واستحقاق الوعد الكريم، و كل من وعد بغضب الله أو لعنته أو نار أو حرمان جنة أو ما يقتضي ذلك، فإنه خارج من هذا الوعد، فلا يكون من مجتنبي الكبائر.

وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد، لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر إذ لو كان كذلك لم يكن له ذنب يستحق أن يعاقب عليه، والمستحق أن يقام عليه الحد له ذنب يستحق العقوبة عليه.

الثالث: إن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله في الذنوب فهو حد يتلقى من خطاب الشارع.

الرابع: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر، واما تلك

---

١ – مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٦٥٠/١١ وانظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ٤١٨.

٢ – سورة النساء، الآية: ٣١.

الأمور فلا يمكن الفرق بها بين الكبائر والصغائر، لأن تلك الصفات لادليل عليها.

الخامس: أن تلك الأقوال فاسدة، ثم ذكر رحمه الله تعالى فساد وتناقض تلك الأقوال[١].

حكم مرتكب الكبيرة:

لقد آثرت الإتيان بأقوال الناس في هذه المسألة قبل الدخول في بيان موقف العلامة المعصومي منها تتميما للفائدة، وفيما يلي بيان هذه الأقوال:

القول الأول: قول أهل السنة والجماعة، بأن مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان، ولايسلبه ذلك الاسم في الجملة - بل يقولون- مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته[٢].

القول الثاني: قول الخوارج بأنه كافر بارتكاب تلك الكبيرة[٣]

القول الثالث: قول المعتزلة، بأنه خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر وهو في منزلة بين المنزلتين لكنه مخلد في النار في الآخرة[٤].

---

١ - للتوسع في ذلك راجع مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ١١/٦٥٤-٦٥٦ ، وانظر أقوال السلف في هذه المسألة في كتاب الزواجر للإمام البيهقي ١/٥ وما بعدها

٢ - مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى ص:٣١٦، ٣٢٢ ، الحجة في بيان المحجة للتيمي ٢/٢٧٩.

البغدادي، ص:٢٤٩، ومسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى ص:٣٢٥، والإرشاد -٣ - أصول الدين للجويني، ص:٣٢٤.

٤ - أصول الدين ص:٢٤٩، ومسائل الإيمان ص:٣٢٥، وشرح العقيدة الطحاوية، ص:٣٥٦.

القول الرابع: قول المرجئة، الغالية منهم قالوا إن المعصية لاتضر صاحب التوحيد والإيمان، وأنه لايدخل النار مؤمن، بل ويقولون لاتضر مع الإيمان معصية كما لاتنفع مع الكفر طاعة[١].

القول الخامس: قول الأشعرية، قالوا إنه مؤمن كامل الإيمان[٢]

وكما ان الخلاف وقع بين الناس في حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا فكذلك اختلفوا أيضا في مصيره في الدار الآخرة على الأقوال التالية:

القول الأول: قول الخوارج والمعتزلة اتفقوا على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار يوم القيامة[٣].

القول الثاني: قول أهل السنة والجماعة، وقد اتفقوا على أن مرتكب الكبيرة تحت المشيئة يوم القيامة، إن شاء ربه عذبه وإن شاء غفر له[٤].

تقدم الكلام عن أقوال الناس ومذاهبهم في مرتكب الكبيرة، ومن بين تلك المذاهب مذهب أهل السنة والجماعة الذي تضمن أن مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان وبالتالي فإنهم لايقولون بتكفيره كحال الخوارج، ولايقولون

---

١ – الملل والنحل للشهرستاني، ١٣٩/١، ١٤٣، ١٤٠، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، ص: ٣٥٥–٣٥٦.

٢ – مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى، ص: ٣٢٦، والإرشاد للجويني، ص: ٣٢٥، ٣٢٤.

٣ – المقالات، ص: ٨٦–٢٧٦، والفرق بين الفرق، ص: ١١٥، ٧٣، الملل والنحل ٤٥/١، ١١٤، ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية، ٤٨١/٧، ٢٢٢، ٤٨٤، وشرح العقيدة الطحاوية، ص: ٤١٧.

٤ – مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٢٢٢/٧، وشرح العقيدة الطحاوية، ص: ٤١٦–٤١٧.

أيضا أنه لاتضر مع الإيمان معصية، كما لاتنفع مع الكفر طاعة كحال المرجئة بل إنهم كعادتهم على المذهب الوسط، وهذا هو الذي نجد أن العلامة المعصومي قرره حين قال بعدم التكفير بالمعصية، ما لم يستحلها صاحبها وذلك في تفسيره لقول الله عز وجل: {إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون}[1] حيث قال: «والعبد المؤمن لا يخرج بالمعصية عن الإيمان إذا لم يستحلها وإن كبرت»[2].

وفي كتابه البرهان الساطع في تبرئ المتبوع من التابع، عرض لهذا الموضوع أيضا بشيء من التفصيل، ذاكرا مذهب أئمة السنة ومبينا لضلال المخالفين له المنحرفين عن النهج الصحيح في هذه المسألة، خاصة متأخري الحنفية الذين ذكر امثلة من كلامهم تلقي الضوء على تشددهم وتعصبهم وجرأتهم على القول بالتكفير بالذنوب، وفيما يلي نص كلامه حيث قال: «اعلم أن عقيدة الإمام أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله تعالى كعقيدة سائر أهل السنة، أنه لايكفر أحد من أهل القبلة بذنب[3] كما نص هو -رحمه الله

١ - سورة الحجرات، الآية: ١٠.

٢ - تمييز المحظوظين، ص: ٢٧١.

٣ - أهل السنة و الجماعة متفقون بصفة عامة على عدم التكفير بارتكاب الذنوب و المعاصي ما لم يستحلها فاعلها، و لكنهم اختلفوا في تارك الصلاة عمدا تكاسلا مع اعترافه بوجوبها، لما ورد من الأدلة في كفر تارك الصلاة و من ذلك قوله عليه الصلاة و السلام «من ترك صلاة متعمدا فقد كفر». رواه الطبراني في الأوسط ٢١١/٤، تحقيق الدكتور محمود الطحان، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الاولى: ١٤١٥هـ، قا الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي «رجاله موثوقون إلا محمد بن أبي داوود فإني لم أجد من ترجمه،و قد ذكر ابن حبان في الثقاة محمد بن أبي داوود البغدادي فلا

تعالى- في كتابه «الفقه الأكبر» ولا نكفر مسلما بذنب من الذنوب، وإن كانت كبيرة إذا لم يستحلها» وفي بيان السنة للإمام الطحاوي ولانكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولكن إلى الله المشتكى من متأخري الأحناف وفي بيانه لمنهجه في الحكم على مرتكب الكبيرة بعدم الكفر ما لم يستحلها كما هو منهج أهل السنة الوسط بين الخوارج المفرطين في هذا الباب والمرجئة المفرطين فيه قال: «إن الكبيرة لاتخرج العبد المؤمن من الإيمان ولاتدخله في الكفر، إذا لم يكن عن استحلال، والاستحلال كفر، فأهل الكبائر في النار لايخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عز وجل عارفين وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم وإن شاء

أدري هو هذا أم لا» مجمع الزوائد و منبع الفوائد ٢٩٥/١، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ، و انظر كلام العلماء عن هذا الحديث في فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي ١٠٢/٦، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت الطبعة الثالثة ١٣٩١هـ، و الحديث ضعفه الألباني في كتابه ضعيف الجامع الصغير و زياداته الفتح الكبير، ٧٩٥/١، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة.١٤١٠هـ.

و قد اختلف العلماء في تارك الصلاة عمدا تكاسلا مع اعترافه بوجوبها، فذهب أبو حنيفة و أهل الظاهر إلى أنه يعزر و يحبس،و ذهب الجمهور إلى أنه يقتل، ولكنهم اختلفوا هل يقتل كفرا أو حدّا، و بالأول قال إسحاق بن راهويه و ابن المبارك و أحمد بن حنبل في رواية عنه، و بالثاني قال مالك و الشافعي» للتوسع في أقوال العلماء في هذه المسألة و أدلتهم انظر بداية المجتهد لابن رشد ٩١/١، ٩٠، و المغني لابن قدامة ٤٤٢/٢-٤٤٧، و شرح السيوطي و حاشية السندي على سنن النسائي ٢٣٣/١، ٢٣٢، دار الكتب العلمية بيروت «د.ت» و مرقاة المفاتيح لعلي القاري ٢٧١/٢-٢٧٢، و أضواء البيان للشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار ٣٢٢/٤، ٣١١.

عذبهم لقوله تعالى: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما}[١].

فلا نكفر أحدا من اهل القبلة أصلا، ولانخرجه من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه أو بما فيه نفي الصانع القادر المختار، أو بما فيه شرك، كالاستمداد من الأرواح، أو إنكار نبوة أو إنكار ما علم مجيئه ضرورة، أو إنكار أمر مجمع عليه وهو ثابت قطعا لقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمنا...}[٢]، فالتكفير بلا سبب موجب للكفر، كفر وزندقة وضلال[٣]، وهذا الكلام يلقي الضوء على موقفه من مسألة الحكم على مرتكب الكبيرة، وهي مسألة ضلت فيها طوائف من الفرق الاسلامية، كما تقدمت الإشارة إليه[٤] وذلك كحال الخوارج الذين يتسرعون في إطلاق الكفر فيكفرون بالكبيرة وعلى النقيض منهم المرجئة الذين لايكفرون أحدا نطق بالشهادتين حتى وإن كان من جاحدي وجوب الصلاة ونحو ذلك من الأمور التي لاخلاف بين العلماء في خروج أصحابها من الملة الاسلامية[٥].

---

١ – سورة الحجرات، الآية: ٩.

٢ – سورة النساء، الآية: ٩٤.

٣ – حبل الشرع المتين، ص: ١٩٥-١٩٦

٤ – انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، ص: ٣٥٥-٣٥٧ وشرح الإمام علي القاري على كتاب ألفاظ الكفر للعلامة بدر الرشيد، دراسة وتحقيق، المقدمة، ص: ١٨-١٩ رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة من جامعة أم القرى ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨م.

٥ – المصدر نفسه، ص: ١٧-٢٠.

أما أهل السنة فقد هداهم الله تعالى لما اختلف فيه من الحق لالتزامهم بالدليل من الكتاب والسنة فهم لايكفرون بكل ذنب، ولايمنعون التكفير بإطلاق، وهذا هو النهج الذي سار عليه العلامة المعصومي رحمه الله، كما تقدم بيان ذلك.

وقد تناول المعصومي رحمه الله طرفا من هذا الموضوع وركز فيه على قضية العفو عن الكبائر والصغائر، وقرر في ذلك مذهب أهل السنة والجماعة – كعادته – وقال: «إن الشرك والكفر غير مغفور، فالكافر المشرك مخلد في النار أبدا، ويجوز العفو عن الصغيرة والكبيرة مع توبة وبلا توبة فضلا من الله تعالى، ويجوز العقاب على الصغيرة عدلا منه جل سلطانه، لقوله تعالى: «إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»[1]، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

١ – حبل الشرع المتين، ص: ٩٤، والآية رقم: ٤٨ من سورة النساء.

المبحث الرابع:

نواقض الإيمان

تعريف نواقض الإيمان:

النواقض في اللغة جمع ناقض، والنقض هو إفساد ما أبرم من عقد أو بناء، ومنه نقض البناء والحبل والعهد، فالنقض ضد الإبرام[١]، ومن ذلك انتقض الوضوء بأحد النواقض المعروفة أي فسد ولزمت إعادته.

والمراد بالنواقض هنا، الأمور التي إذا فعلها الشخص فسد إيمانه، فإذا عرفت معنى الإيمان ومعنى النواقض، فاعلم أن من وقع في شيء مما يفسد الإيمان فقد انتقض إيمانه، وقد يقع العبد أحيانا في ارتكاب بعض ما ينافي كمال الإيمان فيقال إنه نقض كمال إيمانه أي أن إيمانه أصبح ناقصا بعد ارتكابه لما ينافي كمال الإيمان. وقد كان العلماء المتقدمون يعبرون عن النواقض بقولهم خرج عن الإيمان، أو ارتد عن دينه، أو كفر ونحو ذلك كقول الطحاوي رحمه الله «ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه»[٢].

و قد تناول العلماء هذا الموضوع في القديم والحديث و ألفوا فيه، فمن

١ – انظر: لسان العرب لابن منظور ٢٤٢/٧ ، مادة نقض، والقاموس المحيط ٣٥٩/٢ باب الضاد فصل النون.

٢ – انظر: العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز، ص: ٣٧٢.

الذين ألفوا فيه العلامة بدر الرشيد[1] المتوفى سنة ٧٦٨هـ فألف كتابه الفاظ الكفر الذي شرحه عدد من العلماء منهم الملا على قاري[2] المتوفى سنة ١٠١٤هـ.

و منهم زين الدين قاسم بن قطلوبغا[3]، المتوفى سنة ٨٧٩ هجرية قد ألف فيه كتابا سماه «من يكفر ولم يشعر».

ومنهم أحمد بن حجر الهيثمي[4] المتوفى سنة ٩٧٣ هجرية في كتابه الإعلام بقواطع الإسلام.

ومنهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ في كتابه نواقض الإسلام، وغيرهم.

وفي الحقيقة أن هذه المسألة أعني نواقض الإيمان، التي يقصد بها كفر

---

١ – محمد بن اسماعيل بن محمود بن محمد الملقب (بدر الرشيد) الرشيدي موطنا الحنفي مذهبا ت ٧٦٨هـ أنظر الأثمار الجنية في أسماء علماء الحنفية.لعلي القاري مخطوط ص: ٧٥ و الأعلام للزركلي ١٢/٥.

٢ –علي بن سلطان محمد القاري الهروي المكي الحنفي المعروف بملا علي القاري ت ١٠١٤ هـ. كشف الظنون على أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ٧٤٣/١، ٤٤٥،معجم المؤلفين رضا كحاله ١٠٠/٧

٣ – قاسم بن قطلوبغا زين الدين، عالم بفقه الحنفية مؤرخ وباحث ولد بالقاهرة سنة ٨٠٢هـ وتوفي سنة ٨٩٧هـ الأعلام للزركلي ١٨٠/٥

٤ – شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي المصري نزيل مكة المكرمة، صاحب التصانيف الحسنة المفيدة المشهورة المتوفى سنة ٩٧٣هـ، انظر البدر الطالع للشوكاني ١٠٩/١ و الأعلام للزركلي ٢٣٤/١

المسلم أو خروجه من الإيمان أو ارتداده عن دينه، مسألة بالغة الخطورة، ونظرا لذلك فإنني سأعطي نبذة عامة عن هذا الموضوع نركز فيها على الضوابط التي تنقض الإيمان عند أهل السنة والجماعة لنرى بعد ذلك أن العلامة المعصومي لم يخالف تلك الضوابط التي يذكرها بعضهم باسم «ضوابط التكفير» وقبل ذلك لابد من الإشارة إلى أنه يلزم المسلم أن يتسلح بمعرفة معالم الكفر وأسبابه ومقتضياته، حتى يكون على بصيرة من أمره، فيحتاط لنفسه فيما يصدر منه من أقوال وأفعال واعتقادات لئلا يقع في أي ناقض من نواقض الإيمان، فيرتد عن دين الاسلام فيخسر ويندم أشد الندم والعياذ بالله تعالى.

وإن موضوع نواقض الإيمان أو ارتداد المسلم عن دين الاسلام أمر خطير عظمت فيه المحنة وزلت فيه الأقدام في القديم والحديث واضطربت فيه الآراء[1].

فبينما نجد فريقا يتسرعون في إطلاق الكفر فيكفرون بالذنوب والمعاصي ولايحكمون بإسلام من ينطق بالشهادتين وإن صلى وصام وأدى فرائض الاسلام، ما لم يتحققوا اسلامه بشروط حددوها، لم ترد في كتاب ولا سنة وذلك حال الخوارج ومن سار على نهجهم. نجد فريقا آخر فرط أيما تفريط ومنع التكفير منعا باتا ورأى أن من تلفظ بالشهادتين لايمكن الحكم عليه

---

١ – انظر: الاعلام بقواطع الاسلام لابن حجر الهيتمي أحمد بن محمد، ص:٥ دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ، ونواقض الإيمان القولية والعملية للدكتور عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، ص:٩.

بالخروج من الإيمان بحال، بل قالوا إنه لايجوز تكفير شخص بعينه وإنما يكون إطلاق الكفر على الأعمال، ومن هنا فإنهم لايحكمون على أحد بالخروج من الإيمان حتى المرتدين، ومدعي النبوة، وجاحدي وجوب الصلاة ونحو ذلك من الأمور التي لاخلاف بين العلماء في خروج أصحابها من دائرة الاسلام[١].

فأما أهل السنة فمنهجهم هو الوسطية في هذا المجال كغيره من مسائل العقيدة، وقد هداهم الله تعالى لما اختلف فيه من الحق لالتزامهم بالدليل من الكتاب والسنة فهم لايمنعون الخروج من الإيمان بإطلاق ولايكفرون بكل ذنب، ولم يقولوا إن تكفير المعين غير ممكن ولم يقولوا بالتكفير بالعموم دون تحقق شروط التكفير وانتفاء موانعه في حق المعين، ولم يتوقفوا في إثبات وصف الإسلام لمن كان ظاهره التزام الاسلام وأثبت دخوله فيه، بل يحسنون الظن بأهل القبلة الموحدين، ولمن دخل في الإسلام، أو أراد الدخول فيه، ومن أتى بناقض من نواقض الإيمان، واجتمعت فيه الشروط وانتفت في حقه الموانع، فإنهم لايتحرجون من تكفيره[٢].

---

١ – انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، ص٣٥٥-٣٥٧، وفتنة التكفير للشيخ محمد ناصر الدين الألباني مع تعليقات الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد علي بن حسين، ص:٥٢، ونواقض الإيمان القولية والعملية للدكتور عبد العزيز بن محمد بن علي بن عبد اللطيف ص:٥٤، وضوابط التكفير للشيخ حسن بن علي بن الحسين العواجي، ص:أ-ب – دار البخاري الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٢ – انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية، ج٢٨، ص:٥٠٠-٥٠١، ج٣٥، ص:١٦٥=

وقد تناول الإمام الطحاوي هذا الموضوع و قال «ونسمي أهل قبلتنا مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قال وأخبر مصدقين، ولانكفر أحدا من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله، ولا نقول لايضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، ولايخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه»[١].

ومن المعلوم أن أهل السنة لا يكفرون بارتكاب الذنوب والكبائر إلا ما دل الدليل على التكفير به، كمسألة تارك الصلاة الذي قال بعضهم بكفره لقوله صلى الله عليه وسلم «من ترك صلاة متعمدا فقد كفر»[٢].

وقد فرق أهل السنة والجماعة بين كون الفعل كفرا وبين كون فاعله كافرا وأشار شيخ الإسلام ابن تيمية لهذه المسألة بقوله «إن القول قد يكون كفرا فيطلق القول بتكفير صاحبه، ويقال من قال هذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لايحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها وهذا كما في نصوص الوعيد فإن الله تعالى يقول: {إن الذين يأكلون

=والفتاوى التتارخانية لعالم بن العلاء الأنصاري، ج٥، ص:٤٥٨ وما بعدها، تحقيق القاضي سجاد حسين، الناشر إدارة القرآن والعلوم الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، كراتشي باكستان، ١٤١١هـ ، والإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر الهيتمي، ص:٧٤-٧٥، ونواقض الإيمان القولية والفعلية للدكتور عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، ص:١٩٧ وفتنة التكفير المرجع السابق، ص:٥٢-٥٣.

١ – العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز الحنفي، ص:٣٥٠-٣٥١، ٣٥٥، ٣٧٢.

٢ – تقدم تخريج الحديث والكلام عن آراء العلماء في الحكم على تارك الصلاة في المبحث السابق ص:٢٦٨

أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا}[١].

فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق ولكن الشخص المعين لايشهد عليه بالوعيد، فلا يشهد على معين من أهل القبلة بالنار لجواز ألا يلحقه الوعيد لفوات شرط أو ثبوت مانع، فقد لايكون التحريم بلغه وقد يتوب من فعل المحرم، وقد يبتلى بمصائب تكفر عنه، وقد يشفع فيه شفيع مطاع.

وقال أيضا: «وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، قال: وقد تكون بلغته ولم تثبت عنده أو لم يتمكن من فهمها، وقد تكون عرضت له شبهات يعذره الله، ومذاهب الأئمة مبينة على هذا التفصيل بين النوع والمعين[٢].

لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لايمنعنا أن نعاقبه في الدنيا لمنع بدعته، أو أن نستتيبه، فإن تاب وإلا قتلناه، ثم إذا كان القول في نفسه كفرا قيل إنه كفر والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع...[٣].

ويتضح من هذا الكلام أنه ينبغي الإحتياط في الحكم على الأشخاص المعينين، ومن هنا وجب الاحتياط في تكفير فلان أو فلان، إلى أن يصدر منه

---

١ – سورة النساء، الآية ١٠.

٢ – مجموع الفتاوى، ج٢٣، ص:٣٤٥–٣٤٨ ، وانظر: ضوابط التكفير للشيخ حسن بن علي العواجي ص:١٩–٢٠ ، ونواقض الإيمان القولية والعملية للدكتور عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، ص:٥٢.

٣ – شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، ص:٣٥٧–٣٥٨، وانظر: الإيمان أركانه حقيقته نواقضه للدكتور محمد نعيم ياسين، ص:١٧٦.

الكفر الذي ليس له تأويل معقول سوى الكفر مع وجوب التنبيه على جميع الأقوال والأعمال التي يلزم منها الكفر إذا تحققت شروط وانتفت موانع، فلا يكفر عند أهل السنة مع وجود أي وجه أو رواية تدل على عدم كفر المعين.

لأن الأصل عندهم ألا يكفر أحد بلفظ محتمل، لأن الكفر نهاية العقوبة، فيستدعي نهاية في الجناية ومع الاحتمال لانهاية[1].

قال العلامة عالم بن العلاء الأنصاري: «يجب أن يعلم أنه إذا كان في المسألة وجوه توجب التكفير ووجه واحد يمنع التكفير فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير تحسينا للظن بالمسلم، ثم إن كانت نية القائل الوجه الذي يمنع التكفير، فهو مسلم وإن كانت نيته الوجه الذي يوجب التكفير، لاتنفعه فتوى المفتي، ويؤمر بالتوبة والرجوع عن ذلك وتجديد النكاح بينه وبين امرأته»[2].

ونشير هنا إلى أن هذه المسألة يتعلق بها حكمان يترتبان على خروج العبد من الإيمان:

الأول دنيوي: وهو استحقاق المرتد في الدنيا جميع ما دلت عليه النصوص الشرعية من الأحكام التي يجب تنفيذها عليه في هذه الحياة الدنيا، والتي مبناها على ما يصدر عن الإنسان في الظاهر دون النظر إلى مكنونات القلوب، وذلك كاستحقاق المرتد القتل إن لم يتب، والتفريق بينه

---

١ – انظر: الفتاوى التتارخانية لعالم بن العلاء الأنصاري ٤٥٨/٥.

٢ – الفتاوى التتارخانية، ٤٥٨/٥.

وبين زوجته، وعدم حل ذبيحته ولا إنكاحه وغير ذلك، فهذا من اختصاص العباد في هذه الدنيا ويطبقونه على الشخص المعين، وبعض هذه الأحكام مختص بالإمام كالإستتابة والقتل.

والحكم الثاني هو الحكم الأخروي: وهو استحقاق المرتد للخلود في النار فهذا الحكم يختص بإصداره وتنفيذه على فلان وفلان ممن يستحقونه احكم الحاكمين سبحانه وتعالى، ونحن لانقدر عليه في الحياة الدنيا ولا نعلمه بخصوص شخص معين وليس من اختصاص العباد أصلا، فليس لأحد في هذه الدنيا أن يدعي انه يعرف مقعد شخص معين في الجنة أو في النار اللهم إلا من أعلمهم الله بذلك من الرسل عليهم الصلاة والسلام، كمن بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة كالعشرة من الصحابة الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة وكمن أخبر عنهم الله في كتابه وأشهد الرسول ﷺ أنهم من أهل النار كأبي لهب الذي نزل فيه قرآن يدل على ذلك.

نعم لنا أن نحكم بصورة إجمالية فنقول من نقض إيمانه وكفر بالله أو ارتد عن دينه خلد في النار، وحرمت عليه الجنة، وهذا هو الحد الذي يجب على المسلم أن يقف عنده، وإلا كان باغيا ومعتديا.

ومن المتفق عليه عند أهل السنة والجماعة أنه لا يحكم لمعين من أهل القبلة بجنة أو نار إلا من ورد الدليل عليه، قال الطحاوي رحمه الله: «ولاننزل أحدا منهم – أي من أهل القبلة– جنة ولا نارا»[1].

---

١ – العقيدة الطحاوية، مع شرحها لابن أبي العز الحنفي ، ص:٤٢٦=

كلام المعصومي في نواقض الإيمان:

تقدم التعريف بنواقض الإيمان وضوابط التكفير إجمالا مع نبذة عامة تلقي الضوء على منهج أهل السنة والجماعة من هذه المسألة الخطيرة، والآن نبين جهود الشيخ المعصومي وموقفه من هذا الموضوع لنرى في تقريراته الإتباع الكامل لما كان عليه سلف هذه الأمة وأئمتها في هذا الموضوع الخطير، فقد بين رحمه الله، أن من يقر بالشهادة يجب عليه أن يستمر عليها وعلى موجبها ولا يبطلها بالشرك المنافي للإيمان حيث يقول: «فقائل لا إله إلا الله يجب عليه أن يستمر عليه وعلى موجبه، وألا يبطله بما ينافيه من الشرك واتخاذ الأنداد، واعتقاد التصرف الغيبي لغير الله، وإلا بطل، ولا تبقى له منفعة، كما تبطل سائر العبادات بالرياء ونحوه كما قال تعالى: {ياأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى}[1] فأخبر أن صدقة المرائي والمنان باطلة لم يبق منها منفعة له»[2].

وذكر أن شروط قبول كلمة التوحيد ونفعها عند الله تعالى أن يكون القائل لها مخلصا ومعتقدا لألوهية ربه[3].

وركز في هذا الموضوع على إخلاص التوحيد لله عز وجل لأنه كما يقول لايكون إيمان العبد صحيحا حتى يخلص لله تعالى ويكفر بكل ما يعبد من

=وانظر: الإيمان أركانه حقيقته نواقضه للدكتور محمد نعيم ياسين، ص:١٧٩.

١ – سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

٢ – مفتاح الجنة، ص:٢٥.

٣ – انظر: المصدر السابق نفسه، ص:٣٠-٣١.

دون الله، يعني عبادة القبور والنذر لها والطواف بها، وكل آلهة تعبد من دون الله، وهذا معنى قوله سبحانه وتعالى: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها..}[1].

فلابد - كما يقول العلامة المعصومي - من الكفر بالطاغوت وكل آلهة دون الله كما لايخفى ، فمن يقول لا إله إلا الله، ثم يقول إن الأرواح تتصرف و تتحد، أو يدعو غير الله أو ينذر لغير الله أو يخاف غير الله أو يرجو غير الله معينا، فقد أبطل قول لا إله إلا الله، بل أشرك بالله شركا جليا، لا يغفره الله عز وجل[2].

وأشار رحمه الله إلى أنه لابد من بغض ومعاداة كل ما خالف حقيقة التوحيد والإيمان، ومعنى ذلك أن محبة ذلك من نواقض الإيمان، وفي هذا المعنى يقول: «ليس المراد قولها باللسان فقط مع الجهل لمعناها - يعني كلمة الشهادتين - فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النّار مع كونهم يصلون ويحجون ويطوفون ويقرؤون القرآن ويتصدقون، ولكن المراد قولها مع معرفة القلب والإذعان بها ومحبتها ومحبة أهلها، وبغض ما خالفها ومعاداته، كما نصت عليه السنة»[3].

ولاشك - يقول العلامة المعصومي - أن أول ما فرض الله تعالى على عباده الإيمان به، و الكفر بالطاغوت، قال تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة

---

١ - سورة البقرة، الآية: ٢٥٦

٢ - مفتاح الجنة، ص: ٣٤-٣٦.

٣ - مفتاح الجنة، ص: ٣٨-٣٩.

رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}[1]، وصفة الكفر بالطاغوت أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم، ومعنى الإيمان بالله أن تعتقد أن الله هو الإله، المعبود وحده دون من سواه، وعليه فإن الإنسان لايكون مؤمنا بالله تعالى إلا بعد الكفر بالطاغوت[2].

وتحدث – رحمه الله – في بيان أنواع العبادة التي لاتصرف إلا لله عز وجل وبين ان من صرفها لغير الله عز وجل انتقض إيمانه وأصبح من الكافرين، حيث قال: «أنواع العبادة التي لاتصلح إلا لله تعالى وحده، الدعاء والإستغاثة والإستعانة وذبح القربان والنذر والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والمحبة والخشية والرغبة والرهبة والتأله والركوع والسجود والخشوع والتذلل والتعظيم الذي هو من خصائص الألوهية، فمن صرف من هذه الأنواع شيئا لغير الله تعالى فقد أشرك بالله غيره، والشرك في العبادة ينقض الإسلام لقول الله تعالى: {إن الله لايغفر أن يشرك به}[3]، ولقوله عز وجل: {إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة}[4]، ومن ذلك الذبح لغير الله سبحانه وتعالى كمن يذبح للجن أوللقبر أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فهذا كفر إجماعا[5].

---

١ – سورة النحل، الآية: ٣٦

٢ – مفتاح الجنة، ص: ٤٣–٤٤.

٣ – سورة، النساء، الآية: ٤٨.

٤ – سورة المائدة ، الآية: ٧٤

٥ – مفتاح الجنة، ص: ٦٨، ٤٥.

وذكر – رحمه الله– نماذج من نواقض الإيمان بالإضافة إلى ما تقدم وعد منها الاستهزاء أو السخرية بأمور الدين والعبادات الإسلامية وقال: «والحاصل أن الاستهزاء والسخرية بالعبادات الإسلامية من شأن الكفار والمشركين وأعداء الدين فلهذا قد صرح العلماء في عامة كتب الفقه والعقائد أن من استهزأ أو سخر بالعبادات الإسلامية فقد كفر كما يفعل كثير من الجهلة[١]، وعرض لقضية النفع والضر والحلف بغير الله والغلو في تعظيم القبور، وفي هذا السياق قال: «إن من ظنوا أن الميت ينفع فقد تركوا الإيمان والإسلام أساسا كما نرى عليه الكثيرين من جهلة هذه الأمة» ثم ذكر أن من حلف بغير الله فقد أشرك، كما أنه ركز على أن تعظيم القبور والغلو في ذلك إلى حد الشرك يعتبر من نواقض الإيمان[٢].

واعتبر رحمه الله دعوى علم الغيب من نواقض الإيمان حيث قال: «لاشك أن دعوى الإنسان علم الغيب لنفسه أو لواحد من بني آدم أيا كان كفر ونحن معاشر المسلمين لانصدق من يدعي شيئا من علم الغيب كما لانصدق العراف و الكاهن، لقوله تعالى: {قل لايعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله}[٣].

وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وهذا هو المجمع عليه من السلف الصالحين والله تعالى يقول عن نبيه محمد ﷺ {لو كنت أعلم الغيب

---

١ – تمييز المحظوظين، ص: ١٧١، وانظر تفسير القرطبي ١٩٦/٨–١٩٨.

٢ – انظر : مفتاح الجنة، ص: ٥٣–٥٦.

٣ – حكم الله الواحد، ص: ١٥–١٦ والآية رقم: ٦٥ من سورة النمل.

لاستكثرت من الخير وما مسني السوء}[١].

وفي كتابه حبل الشرع المتين زاد هذا المعنى بيانا وتوضيحا فقال: «إن دعوى علم الغيب كفر، ومن ادعى علم الغيب وعلم وقت القيامة او نزول المطر إلا بعلامة إو ما في البطن من ذكر أو أنثى[٢] أو ما يكون في الغد أو مكان الموت فقد كفر ولايعلم هذه الخمسة إلا الله تعالى وحده، فلا نصدق من يدعي علم شيء من ذلك أو خلاف الكتاب والسنة، ولا كاهنا ولا عرافا، لقوله تعالى: {قل لايعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله، وما يشعرون أيان يبعثون} ، وهذا هو عقيدة اهل السنة والجماعة وهو امر مجمع عليه[٣].

وضمن كلامه –رحمه الله– على الإيمان ونواقضه أورد مسألة الحكم على المعين، بجنة او نار، وبحثها وفق مفهوم سلفي لايخرج عن ما درج عليه الأئمة من أهل السنة والجماعة حيث قال: «فالحق الثابت في الكتاب والسنة وإجماع الأمة من أهل السنة أن يعتقد بالقلب ويكتب بالبنان ويقال باللسان أن المؤمنين في الجنة منعمين بلا تعيين شخص بعينه إلا ما ورد في حقه النص من الأنبياء عليهم السلام بأعيانهم كالعشرة المبشرين بالجنة، وأن المشركين والكفار والمنافقين في النار معذبون[٤].

١ – سورة الأعراف، الآية ١٨٨.

٢ – من غير سبب حسي و إلا فإن الأسباب تخرجها من عالم الغيب إلى عالم الشهادة كالأشعة وتحليل الدم والبول و نحو ذلك من وسائل تحديد الجنين في بطن أمه وغيرها.

٣ – حبل الشرع المتين، ص:١٠٦–١٠٧

٤ – الرد الوفي على تعليقات حامد الفقي، ص:٥٠.

وعرض لهذا الموضوع في كتابه حبل الشرع المتين وزاده بيانا وتفصيلا بقوله «إن أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة في الحديبية من اهل الجنة ومنهم العشرة المبشرون بالجنة لقول الله تعالى: {لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا}[1]. وان أهل غزوة بدر من أهل الجنة والعشرة المبشرين منهم وكذا أهل غزوة احد من المؤمنين لقوله عز وجل: «لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما»[2].

وبما سقناه من كلام العلامة المعصومي تبين جليا أنه رحمه الله كان يتعامل مع هذه القضية التي اصطلح على تسميتها بنواقض الإيمان على طريقة أهل السنة والجماعة الوسطية بين طرفي الغلو والتفريط في ضوء النصوص الشرعية وقد برز ذلك واضحا في موقفه من موضوع التكفير وعدم التكفير وهو موضوع خطير عظمت فيه المحنة وزلت فيه الأقدام في القديم والحديث واضطربت فيه الآراء.

ولذلك فقد اعتنى الشيخ رحمه الله بهذا الموضوع ورد على المخالفين

---

١ – سورة الفتح، الآية: ١٨

٢ – حبل الشرع المتين، ص: ١٢١ والآية رقم: ٩٥ من سورة النساء.

لأهل السنة والجماعة فيه بما في ذلك بعض متأخري الحنفية الذين غالوا في الجرأة على القول بالتكفير، حتى قالوا بكفر الشافعية والمعتزلة ثم قال: «فانظر يا أخي إلى جرأة هؤلاء كيف لايستحيون من الله ولا يخافون المسؤولية بين يدي الله تعالى وبذلك صاروا من الأئمة المضلين»[1].

ومن هنا فإنني أرى أن بيان موقف أهل السنة والجماعة في هذا الموضوع يعتبر من امور الدين ومسائل العقيدة، لخطورته فينبغي استبانته تجنبا لما يحيط بالخطإ فيه من مخاطر جسيمة، والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء الطريق.

---

١ – انظر: البرهان الساطع، ص: ٥٨–٦١ تجد بحثا في هذا الموضوع.

الفصل الثاني

جهوده في بقية أركان الإيمان

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول: الإيمان بالملائكة

المبحث الثاني: الإيمان بالكتب

المبحث الثالث: الإيمان بالرسل

المبحث الرابع: الإيمان باليوم الآخر

المبحث الخامس: الإيمان بالقدر

المبحث الأول

الإيمان بالملائكة

إن الإيمان بالملائكة ركن من أركان عقيدة المؤمن بحيث لايتم إيمان إلا إذا آمن بالملائكة.

قال تعالى{ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين}[١] وقال عز وجل{آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله}[٢] فذكر الله سبحانه في هاتين الآيتين أركان الإيمان و ذكر من بينها الإيمان بالملائكة كما ذكر في حديث عمر رضي الله عنه المشهور المعروف بحديث جبريل أركان الإيمان الستة وذكر من بينها الإيمان بالملائكة[٣].

والملائكة خلق عظيم وعدد كثير لا يحصيهم إلا الله عز وجل خلقهم من نور وطبعهم على طاعته جل شأنه لا يأكلون ولايشربون ولاينامون يسبحون الليل والنهار لا يفترون. قال تعالى{فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسأمون}[٤] وصفات الملائكة كما وردت في الكتاب

---

١ – سورة البقرة الآية ١٧٧

٢ – سورة البقرة الآية ٢٨٥

٣ – تقدم تخريجه في ص:

٤ – سورة فصلت الآية ٣٨

والسنة كثيرة وقد أشار الشيخ المعصومي رحمه الله تعالى إلى بعضها، كما أشار إلى بعض أعمالهم بقوله: « معلوم لكل ذي عقل من المؤمنين أن حاملي الوحي والقرآن من الله تعالى ومبلغيه إلى الأنبياء والمرسلين إنما هم الملائكة عليهم السلام وقد وصفهم الله تعالى في القرآن بصفات كمال ونعوت جمال وأخبر أنهم رسله إلى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام يبلغون عن الله تعالى ما أمر الله تعالى به من الدين والتوحيد والأمر والنهي وهم عباد مكرمون وعقلاء مكلفون ومطيعون {لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون}[1].

وقد أورد العلامة المعصومي أثناء كلامه على مسألة الإيمان بالملائكة نصوصا تخبرها وذكر فيها صفاتهم وأعمالهم مبينا موقفه السلفي الواضح من هذه المسألة ومستشهدا بالآيات القرآنية الكريمة على ما ذكره كعادته حيث قال«إن لله تبارك وتعالى ملائكة ذوي أجنحة منزهين عن صفة الذكورة ونعت الأنوثة فلا يذكرون ولا يؤنثون وهم عاملون بأمر الله تعالى ومعصومون عن مخالفة أمره وعن الكفر والفسق والكبيرة والصغيرة لا يحصون في عدد معين بل لايعلم أحد عددهم إلا الله عز وحده كما لايعلم أحد صفتهم إلا الله لقوله تعالى: {الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع..}[2]

---

١ – تنبيه النبلاء ص ٥ والآية رقم ٦ من سورة التحريم

٢ – حبل الشرع المتين، ص ٨٢ والآية رقم: ١ من سورة فاطر

وفي أثناء كلامه عن الأعمال التي وكل الملائكة بها بين«أن الكرام الكاتبين حق وهم ملائكة قد جعلهم الله تعالى على عباده حافظين يكتبون كل ما يصدر عن العبد أو يفعله من النقير والقطمير وهم مع العبد في كل حياته لا يفارقونه لقوله تعالى{ وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون}[١].

وقد جعل الله عز وجل الملائكة سفراء بينه وبين خلقه ووكلهم بوظائف عديدة شتى وأعمال مختلفة وأمور عظام وقد أشار الشيخ المعصومي إلى ذلك بقوله: « ومن الملائكة من هم موكلون بأمور عظام وإن ملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين حق وهو يقبض روح كل ذي روح بأمر الله سبحانه إلى ما شاء عز و جل لقوله تعالى{ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون} ([٢]) وقد فضل الله عز وجل الملائكة وجعلهم عباد مكرمون {لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون}[٣] وحرم الانتقاص منهم وجعل سبهم وبغضهم كفر شأنهم في ذلك شأن الرسل عليهم الصلاة والسلام وقد أشار العلامة المعصومي لذلك بقوله « إن شتم الملائكة وسب الرسل وبغضهم كفر فمن شتم جبريل ومكائيل أو ملائكة من الملائكة أو سب نبيامن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد كفر لقوله تعالى {من كان عدوا لله وملائكته ورسله

---

١ – حبل الشرع المتين، ص ١١٥ والآية رقم: ١٣ من سورة الإنفطار

٢ – تنبيه النبلاء ص ٥ وحبل الشرع المتين، ص ١١٦ والآية رقم: ١١ من سورة السجدة

٣ – سورة التحريم الآية ٦

وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين}[١] قال الشيخ رحمه الله تعالى بعد بيانه في حكم الانتقاص من الملائكة والرسل بشتمهم أو سبهم أو بغضهم «وذلك عقيدة ومذهب أهل السنة والجماعة جعلنا الله من محبي ملائكته وكتبه ورسله وأوليائه»[٢].

---

١ – سورة البقرة، الآية: ٩٨

٢ – حبل الشرع المتين ص ١١١

المبحث الثاني:

الإيمان بالكتب المنزلة

إن من أركان الإيمان التي لايصح إيمان عبد إلا باستكمال الإيمان بها كلها، الإيمان بالكتب السماوية المنزلة التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام وقد دلت آيات كثيرة من كتاب الله عزوجل أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأنزل الكتب السابقة على من سبقه من الأنبياء والمرسلين، ومن هذه الآيات قوله تعالى{ الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان}[1] وقوله عز وجل {يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخرفقد ضل ضلالا بعيدا}[2] وهذه الآية صريحة في الدلالة على وجوب الإيمان بكتب الله المنزلة عامة وبالقرآن الكريم خاصة.

قال الشيخ المعصومي رحمه الله تعالى في بيانه للإيمان بالكتب المنزلة:

«إن لله تعالى كتبا أنزلها على رسله وأنبيائه وبين فيها أمره ونهيه ووعده وعيده وكلها كلام الله تعالى والقرآن الكريم كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو مكتوب في المصاحف ومحفوظ في

---

١ – سورة آل عمران الآية ١–٤

٢ – سورة النساء الآية ١٣٦

الصدور غير حال فيها والحروف والحركات والكاغد والكتابة كلها مخلوقة وكلام الله تعالى القائم بذاته تعالى قديم غيرمخلوق، فمن قال إن كلام الله عز وجل مخلوق فهو كافر بالله العظيم فالقرآن والتوراة والزبور والصحف كتب أنزلها الله عز وجل على رسله عليهم الصلاة والسلام أما القرآن فقد أنزله الله على سيدنا ونبينا محمد بلسان عربي مبين وهو معجزة باهرة له صلى الله عليه وسلم باقية إلى يوم القيامة لقوله تعالى «طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى..»[1].

وأما الكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى على من قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الأنبياء والمرسلين فقد فصل المعصومي الكلام فيها قائلا: «إن التوراة كلام الله وهي منزلة على موسى رسول الله على نبينا وعليه الصلاة والسلام لقوله تعالى{ وإذ آتينا موسى الكتاب ..}[2] وإن الإنجيل كلام الله الذي أنزله على عيسى روح الله على نبينا وعليه الصلاة والسلام لقوله تعالى{ وآتيناه الإنجيل ...}[3] وإن الصحف المنزلة على إبراهيم الخليل وموسى الكليم على نبينا وعليهما الصلاة والسلام كلام الله تعالى وكذا سائر الصحائف المنزلة كلها كلام الله تعالى حق لقوله تعالى {إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى}[4].

---

١ – حبل الشرع المتين، ص ٧٥-٧٦ والآية رقم ١ من سورة طه .

٢ – سورة البقرة، الآية:٥٣

٣ – سورة المائدة، الآية: ٤٦.

٤ – حبل الشرع المتين، ص ٧٦ –٨٠ والآية رقم:١٨ من سورة الأعلى

المبحث الثالث:

الإيمان بالرسل والأنبياء

إن الرسول هو من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه فالرسول أخص من النبي فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول[1].

والرسل صلوات الله وسلامه عليهم هداة إلى الله تعالى هداية دلالة وإرشاد قال تعالى {إنما أنت منذر ولكل قوم هاد}[2] وقد اصطفاهم الله من عباده فأرسلهم إليهم بمهمة سامية مبلغين توحيده وشرائعه، منذرين عقابه ووعيده فهذا هو المقصود من إرسال الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ويشير المعصومي لهذا المعنى بقوله« إن الله تعالى أرسل رسلا من البشر إليهم مبشرين ومنذرين ومبينين للناس ما يحتاجون إليه من أمور الدنيا والدين وأن إرسالهم لطف من الله عز وجل ورحمة على عباده ومحض فضل وجود وأن بعثتهم جائزة عقلا وواقعة قطعا وإن حصول النبوة لمن حصلت له بمجرد الإصطفاء الإلهي لا غيره لقوله تعالى { ومانرسل المرسلين إلا مبشرين

---

١ – هذا هو القول المشهور في تعريف الرسول والنبي وإن كان عليه بعض الإعتراضات، انظر على سبيل المثال شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ١٦٧ ولوامع الأنوار البهيية للسفاريني ٤٩/١ والوحي المحمدي للشيخ محمد رشيد رضا ص٤٧. طبعة المكتب الإسلامي.

٢ – سورة الرعد الآية ٧

ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون}[١] وقوله سبحانه وتعالى{رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما}[٢].

وبعد أن أورد المعصومي جملة من النصوص في هذا الموضوع قال«وذلك مجمع عليه»[٣].

وقد بين – رحمه الله– وجوب الإيمان بالأنبياء والمرسلين بلا تفرقة بينهم في ذلك حيث قال «إن الإيمان بجميع الأنبياء والرسل واجب بلا اقتصار على عدد معين في التسمية فنقول إننا نؤمن بجميع الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى البشر لهدايتهم ودعوتهم لأن في ذكر العدد المعين لا يؤمن الزيادة والنقصان لقوله تعالى{ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ...}[٤] ولا شك يقول العلامة المعصومي،أن من صفات المهتدين الإيمان بجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بلا تفريق بين أحد منهم والتسليم لهم ولما جاؤوا به واتباع الحق حيث ماكان وإكرامهم واحترامهم فإن كان الامر هكذا فكذا يجب إكرام ورثتهم من الصحابة والتابعين والعلماء المجتهدين [٥].

---

١ – سورة الأنعام، الآية:٤٨

٢ – سورة النساء، الآية:١٦٥

٣ – حبل الشرع المتين ص ٥٥–٥٦

٤ – حبل الشرع المتين، ص ٥٦ والآية من سورة النساء رقم:١٦٤

٥ – هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين، ص ٦١–٦٢، وأوضح البرهان ص:٣٤٣

وقد تناول المعصومي رحمه الله هذا الموضوع بالتفصيل مستشهدا بالآيات القرآنية الكريمة و الأحاديث النبوية الشريفة على ما أورده في كتابه حبل الشرع المتين ذاكرا لعدد كثير من الرسل عليهم الصلاة والسلام حيث قال: «إن من أول الأنبياء آدم عليه السلام وهو نبي رسول ونؤمن بجميع الأنبياء المذكورين في القرآن المجمع على نبوتهم وهم خمسة وعشرون رسولا وهم آدم وإدريس ونوح وهود وصالح ولوط وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وشعيب وموسى وهارون وداوود وسليمان وأيوب وذو الكفل ويونس وإلياس واليسع وزكريا ويحيى وعيسى وسيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»[1].

وبعد أن أورد الشيخ رحمه الله أسماء الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم المجمع على نبوتهم، ذكر الخلاف في نبوة عدد من الأنبياء، وقال إن الخضر على نبينا وعليه الصلاة والسلام نبي الله عند الجمهور وولي الله عند البعض لقول الله تعالى{فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما}[2] وفي هذه الآية {ما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا}[3] وإن لقمان على نبينا و عليه الصلاة والسلام نبي الله عند الجمهور وولي الله عند البعض لقول الله تعالى {ولقد آتيننا لقمان الحكمة أن

---

١ – للتوسع في هذا الموضوع راجع حبل الشرع المتين ص ٥٩ – ٧٠

٢ – سورة الكهف، الآية: ٦٥

٣ – سورة الكهف ، الآية : ٨١

اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم}[١].

فنبوة لقمان مختلف فيها أما إيمانه وولايته فمتفق عليه.

وإن عزيرا على نبينا و عليه الصلاة والسلام نبي عند الجمهور لقوله تعالى{وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون}[٢] ثم قال الشيخ المعصومي: « وبالجملة فأكثر العلماء على أنه نبي الله سبحانه والله سبحانه وتعالى أعلم[٣].

وأما ذو القرنين على نبينا وعليه الصلاة والسلام فهو نبي عند البعض وعبد مؤمن صالح وليس بنبي عند الآخرين وقد بلغ المشرق والمغرب وبنى السد وملك وجه الأرض وليس اسمه اسكندر لقول الله تعالى {ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا فأتبع سببا حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا}[٤] وبالله تعالى التوفيق.

---

١ – حبل الشرع المتين، ص ٧١–٧٣ والآية رقم: ١٣ من سورة لقمان.

٢ – سورة التوبة، الآية: ٣٠

٣ – حبل الشرع المتي،ن ص ١٣٨–١٣٩ و ٨٣–٨٦

٤ – المصدر نفسه ص ٧٣ والآيات من: ٨٣–٨٦ من سورة الكهف

عصمة الأنبياء والرسل ووجوب تبليغ الشرائع عليهم :

اتفق المسلمون على ثبوت عصمة الأنبياء والمرسلين وهي أن الرسل والأنبياء معصومون في تحمل الرسالة والتبليغ عن الله عز وجل فلا ينسون شيئا مما أو حاه الله عليهم ولا يكتمون شيئا منه قال تعالى {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته}(١) وقال عز وجل{ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى}(٢)، ومعصومون عن ارتكاب الذنوب والمعاصي مما يزري بمناصبهم، والعصمة ثابتة للأنبياء والمرسلين دون غيرهم من العلماء والأولياء والصالحين فهي من صفاتهم التي أكرمهم الله تعالى بها وميزهم على سائر البشر.

وقد اتفقت الأمة الإسلامية على عصمتهم في التبليغ عن الله عز وجل فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين(٣).

لقد اتفق العلماء على أن الأنبياء والمرسلين معصومون أيضا من الكبائر ومايزري بمناصبهم كرذائل الأخلاق والدناءات وسائر ما ينفر عنهم وهي التي يقال لها صغائر الخسة وأما الصغائر التي لاتزري بالمنصب ولا كانت من

---

١ – سورة المائدة الآية ٦٨

٢ – سورة النجم الآية ٣-٤

٣ – انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/٢٨٩-٢٩٠ والشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض اليحصبي تحقيق علي محمد البجاوي

الدناءات فاختلفوا في جوازها عليهم ووقوعها منهم ونقل القاضي عياض تجويز الصغائر ووقوعها عن جماعة من العلماء[1].

ومال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى هذا القول ونسبه لأكثر العلماء حيث قال: «القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر العلماء وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين إلا ما يوافق هذا القول»[2].

يقول المعصومي رحمه الله: «إن الأنبياء والرسل معصومون ومحفوظون عن الصغائر والكبائر والكفر والقبائح عمدا قبل النبوة لقول الله تعالى {وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين}[3]. ولقوله عز وجل {الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير}[4] وعلى عصمة الأنبياء عن الكبائر والصغائر عمدا وسهوا عن الأول وعمدا عن الثاني انعقد الإجماع فمن نسب إلى أحد منهم إحدى الكبائر أو الكذب أو الغدر والخيانة فهو كافر

---

١ – للتفصيل في هذا الموضوع انظر الشفا للقاضي عياض ٢/٧٨٦ وإرشاد الفحول للإمام الشوكاني، ص: ٣٣–٣٤

٢ – مجموع الفتاوى ٤/٣١٩

٣ – سورة البقرة، الآية: ١٢٤

٤ – سورة الحج، الآية: ٧٥

بالله تعالى[١] وكذلك من تعرض لسب نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنه حري بالكفر والعياذ بالله تعالى وقد أشار لذلك المعصومي بقوله: «وسب الرسل أو بعضهم كفر فمن سب نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أو موسى أو عيسى أو نبيا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد كفر لقوله تعالى{ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا}[٢].

ولقوله عز وجل{ من كان عدوا لله وملائكته وكتبه ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين}[٣]. وفي هذا السياق بين المعصومي رحمه الله عصمة الأنبياء في تبليغ رسالاتهم وقال:

«إن تبليغ الشرائع واجب على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وكل الأنبياء والرسل كانوا مخبرين ومبلغين عن الله تعالى صادقين ناصحين وقد بلغوا مع الأمانة والصدق و الإبانة لقول الله عز وجل {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لايهدي القوم الكافرين}[٤] ولقوله سبحانه وتعالى {ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون}[٥] وقد صح عن النبي

---

١ – حبل الشرع المتين، ص ٧٣ –٧٤

٢ – سورة الكهف، الآية:١٠٦

٣ – حبل الشرع المتين، ص:١١١ والآية رقم:٩٨ من سورة البقرة

٤ – سورة المائدة، الآية:٦٧

٥ – سورة المائدة، الآية:٩٩

صلى الله عليه وسلم أنه قال «اللهم هل بلغت فليبلغ الشاهد الغائب الحديث».

آيات الأنبياء وبراهينهم:

لقد أطلق الله عز وجل في كتابه العزيز على دلائل النبوة وآيات ثبوتها «الآية» و«البرهان» قال تعالى في قصة موسى عليه السلام عن معجزة العصا واليد{فذانك برهانان من ربك}[١] وقال سبحانه في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم {قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا}[٢].

وأما كلمة «الآية» فقد وردت في مواطن كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى {ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات}[٣] وقوله عز وجل {واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى} [٤] وحكى الله عز وجل عن صالح قوله {هذه ناقة الله لكم آية}[٥].

وعن عيسى عليه السلام قوله: {قد جئتكم بآية من ربكم} الآية[٦]. وقد ركز شيخ الإسلام ابن تيمية على أن معجزات الأنبياء سماها الله عز وجل آيات وبراهين وعنون لبعض فصول كتابه النبوات بذلك حيث قال، فصل في

---

١ – سورة القصص الاية ٣٢

٢ – سورة النساء ١٧٤

٣ – سورة الإسراء الآية ١٠١

٤ – سورة طه الآية ٢٢

٥ – سورة هود الآية ٦٤

٦ –سورة آل عمران الآية ٤٩

آيات الأنبياء وبراهينهم وهي الأدلـة والعلامـات المسـتلزمة لصـدقهم والـدليل لايكون إلا مستلزما للمدلول عليه مختصا به»[١].

وقد اقتضت حكمة الله عـز وجـل أن يرسـل رسـله بالـدلائل الواضـحة والحجج والبراهين القطعية الدالة علـى صـدقهم في دعـواتهم أنهـم رسـل الله سبحانه وتعالى لكي تقوم الحجة علـى النـاس و لايبقـى لأحـد عـذر في عـدم تصديقهم وطاعتهم قال تعالى {ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات}[٢] أي بالمعجزات البينة والشرائع الظـاهرة والعلامـات الواضـحة الـتي تـدل علـى صـدقهم»[٣]. وآيات الرسل مختلفة فهذا يأتي بآية أو آيات لم يأت بها الآخر بحسب مـا يعطيه الله سبحانه وتعالى منها فليس المراد من الآيات إلا الدلالة على النبـوة لكونها معجزة خارقة للعادة خارجـة عـن القـدرة البشـرية[٤] وفي هـذا المعنـى عـرض العلامـة المعصـومي رحمـه الله لهـذا الموضـوع ودرج علـى تسـميته بمعجزات الأنبياء وذكر طرفا منها، وقال: «إن القرآن الكريم كـلام الله تعـالى معجز كله قليله وكثيره ومعناه، ولا يمكـن الإتيـان بمثلـه، وإعجـازه بـاق إلى يوم القيامة، فمن ادعى الإتيان ولو بآية من مثله فهو كذاب وكافر ولا يصـدق أصلا»[٥].

---

١ – للتوسع في هذا الموضوع راجع كتاب النبوات ص ٤٤–٢٨٩ وما يليها

٢ – سورة الحديد الآية ٢٥

٣ – فتح القدير للشوكاني ١/١١٨، ٥/١٧٧

٤ – انظر فتح القدير للشوكاني ٣/٦٨

٥ – حبل الشرع المتين، ص:٨١–٨٢

وفي أثناء كلامه عن معجزات نبينا محمد ﷺ قال: «إن من أشهر معجزات سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تكثير الماء وتفجيره عند الحاجة إليه وقد وضع يده الشريفة في ماء قليل فصار يخرج الماء من بين أصابعه الشريفة بالمشاهدة في مشاهد عظيمة والناس يشربون حتى رووا من كثرتهم وتسبيح الحجر والشجر له صلى الله عليه وسلم والناس يسمعونه، ونطق العجماء في مشهد من الناس حتى سمعوا كلامه قال وهذا هو المعتقد في حقه صلى الله عليه وسلم ومعجزاته»[1] ثم عرض الشيخ المعصومي رحمه الله لأشهر معجزات الأنبياء السابقين قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين وقال: «إن من اشهر معجزات سيدنا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام أنه ألقي في النار فلم تصبه النار بسوء ولم تحرقه بل صارت بردا وسلاما وبستانا له صلوات الله تعالى وسلامه عليه لقول الله عز وجل {قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يانار كوني بردا وسلاما على إبراهيم...}[2] وإن من أشهر معجزات سيدنا موسى الكليم على نبينا وعليه الصلاة والسلام أنه كانت له عصا تصير ثعبانا مبينا مهيبا في أعين الناس وإذا أخذها موسى بيده فإذا هي عصا بيضاء نقية من غير سوء لقوله تعالى {قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين}[3] وقال عز

---

١ – عقد الجوهر، ص ٥-٦

٢ – سورة الأنبياء، الآية: ٦٨-٦٩

٣ –سورة الأعراف، الآية: ١٠٦-١٠٨

وجل: {قل أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين}[١].

وأثناء حديث المعصومي عن أشهر معجزات الأنبياء والرسل عليهم الصلوات والسلام وهي كثيرة دالة على نبوتهم قد وردت في نصوص كثيرة من الكتاب و السنة قال«إن من أشهر معجزات سيدنا موسى الكليم على نبينا وعليه الصلاة والسلام انفلاق البحر له ولأصحابه وانفتاح الطرق المتعددة له فمر موسى عليه السلام ومن معه سالما وغرق فرعون وجيشه وسال البحر عليهم وانطبق فمات فرعون كافرا لقوله تعالى {وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون}[٢] وقد قال عز وجل {وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين آ الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون}[٣].

وإن من أشهر معجزات سيدنا عيسى روح الله على نبينا وعليه الصلاة والسلام، أنه قد تكلم في المهد وهو طفل وصنع من الطين طيرا ثم نفخ فيه فصار طيرا بإذن الله تعالى وكان يبرئ الأكمه والعمى المتأصل والعارض والبرص ويحيي الموتى بإذن الله وغير ذلك لقول الله تعالى { وإذ قال الله

---

١ – حبل الشرع المتين ص ١٣٦ والآية رقم: ٣١-٣٢ من سورة الشعراء

٢ – سورة البقرة، الآية: ٥٠

٣ – حبل الشرع المتين ص ١٣٧ والآية رقم: ٩٠-٩٢ من سورة يونس

ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوارة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين}[1] و لقوله عز وجل {فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا...}[2].

وفي الحقيقة أن معجزات الأنبياء كثيرة وهي آيات وبراهين وتعتبر بمثابة دلائل على نبوتهم وقد ورد الكثير منها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. واقتصر العلامة المعصومي على أمثلة منها وفي ذكر هذه الأمثلة ما يغني عن سرد معجزات سائر الأنبياء والله أعلم.

---

١ – سورة المائدة، الآية:١١٠

٢ – للتوسع في هذا الموضوع راجع حبل الشرع المتين، ص ١٣٨ والآية رقم:٢٩–٣٠ من سورة مريم.

أفضلية الرسول صلى الله عليه وسلم وعموم رسالته :

ورد في القرآن الكريم ما يدل على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام متفاضلون، وأن بعضهم أفضل من بعض، كما قال تعالى{تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات}[1].

فهذه الآية تدل على المفاضلة بين الرسل والأنبياء وأن بعضهم أفضل من بعض، وأن هذا التفضيل على علم منه بمن هو أعلى مرتبة وبمن دونه، وبمن يستحق مزيد الخصوصية بتكثير فضائله وفواضله... وقداتخذ الله إبراهيم خليلا، وموسى كليما، وجعل عيسى كلمته وروحه، وجعل لسليمان ملكا عظيما، وغفر لمحمد صلى الله عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وجعله سيد ولد آدم. وفي هذه الآية دفع لما كان ينكر الكفار مما يحكيه صلى الله عليه وسلم من ارتفع درجته عند ربه عز وجل.

وقد اجتمعت الأمة على أن الرسل أفضل من الأنبياء، والرسل بعد ذلك متفاضلون فيما بينهم، وأفضل الرسل والأنبياء خمسة وهم محمد صلى الله عليه وسلم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عيهم الصلاة والسلام. وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل، وقد خصهم الله سبحانه بالذكر في آيتين من كتابه :

---

١ – سورة البقرة، الآية ٢٥٣

قال تعالى: {شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه}[١].

وقال تعالى{ وإذ أخذنا من النبيئين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا}[٢]

إن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم هو أفضلهم عليهم الصلاة والسلام، وهو خاتمهم وقد فضله الله عز وجل بأمور دون بقية الرسل والأنبياء وقد تناول المعصومي رحمه الله هذا الموضوع حيث قال : «إن أفضل الأنبياء هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو سيد الأنبياء والمرسلين وسيد الخلق أجمعين لقول الله تعالى {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون}[٣] وورد في سورة الأنبياء {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}[٤].

وقد فضله الله تعالى بأمور دون بقية الرسل و الأنبياء منها ما أخبرنا به صلى الله عليه وسلم بأن الله قد خصه به دون غيره بست لم يعطها أحدا من

---

١ – الشورى ، الآية ١٣

٢ – الأحزاب، الآية ٧

٣ – سورة آل عمران، الآية: ١١٠

٤ – حبل الشرع المتين ص ٥٧ والآية رقم: ١٠٦ من سورة الأنبياء.

الأنبيـاء قبلـه قـال: «فضـلت علـى الأنبيـاء بسـت أعطيـت جوامـع الكلـم([1]) ونصرت بالرعب وأحلت لـي الغنـائم وجعلـت لـي الأرض طهـورا ومسـجدا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون»([2]).

وأن سيدنا و نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل و مبعوث إلى كافـة الخلق و جميع أهل العالم وهو المبعوث إلى عامة الجن و كافة الورى بالحق و الهدى و هو المبعوث إلى العرب و العجم والأبيض و الأسود والأحمر و جميـع أجناس بني آدم، و هو رسـول الله اليـوم ودائمـا إلى يـوم القيامـة، لا تنقطـع رسالته لقول الله تعالى « يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الـذي لـه ملك السماوات و الأرض لا إله إلا هو يحيـي و يميـت فـآمنوا بـالله و رسـوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله و كلماته و اتبعوه لعلكم تهتدون »([3]).

و قوله عز وجل {وما أرسـلناك إلا كافـة للنـاس بشـيرا و نـذيرا و لكـن أكثر الناس لايعلمون}([4]).

كان هذا بيانا لجهود المعصومي في الإيمان بالرسل والأنبياء، وفي المبحث الآتي سيأتي الحديث إن شاء الله عن الإيمان باليوم الآخر، والله الموفق.

---

١ – وفي الرواية الأخرى بعثت بجوامع الكلم قال الهروي يعني به القرآن جمع الله تعالى في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة وكلامه صلى الله عليه وسلم كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعاني: شرح النووي على صحيح مسلم ٥/٥

٢ – صحيح مسلم ٣٧١/١ ، برقم ٥٢٣

٣ – سورة الأعراف الآية: ١٥٨

٤ – انظر تمييز المحظوظين ص ٧٤ و حبل الشرع المتين ص ٥٧–٥٨ و الآية: ٢٨ من سورة سبأ

المبحث الرابع :

الإيمان باليوم الآخر

إن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان الستة وعقيدة من عقائد الإسلام الأساسية وأصل عظيم من أصول الإيمان ذلك أنه لا يصح إيمان أحد إلا به، و قد دل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على وجوبه قال تعالى {ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق و المغرب و لكن البر من آمن بالله و اليوم الآخر}[1]، و قال عز و جل {قاتلوا الذين لا يومنون بالله و لاباليوم الآخر ...}[2].

و من الأحاديث الدالة على وجوبه قوله عليه الصلاة والسلام «الإيمان أن تومن بالله وملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر »الحديث[3].وموضوع الإيمان باليوم الآخر هو من القضايا المهمة التي كرر القرآن الكريم الآيات عنها و ربطها بالإيمان بالله وتوحيده.

و قد تحدث العلامة المعصومي عن هذا الموضوع بشيء من التفصيل لأهميته فتناول عددا من القضايا التي تتعلق باليوم الآخر وبالإرهاصات التي تسبقه، مثل أشراط الساعة و وقت القيامة والحشر و النشر و البعث و الميزان و القصاص و جزاء الأعمال و الحساب و الإيمان بعذاب القبر و نعيمه و

---

١ – سورة البقرة الآية ١٧٧

٢ – سورة التوبة الآية ٢٩

٣ – تقدم تخريجه في ص:

الصراط، و الحوض و الجنة و النار و رؤية الله تعالى في الجنة و غير ذلك، و سأعرض لنماذج من تقريراته في هذا الركن من أركان الإيمان الذي كثر الجدل فيه و احتدم النزاع بين أهل السنة من جهة والمتكلمين و الفلاسفة من جهة أخرى في عدد من مسائله بادئا بالكلام عن أشراط الساعة وذلك لإلقاء الضوء على جهود المعصومي في هذا المجال و موقفه الموافق لمنهج أهل السنة من هذه المسائل و فيما يلي بيان ذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول : أشراط الساعة

إن الأشراط هي العلامات واحدها شرط بالتحريك و به سميت شرطة السلطان لأنهم جعلو لأنفسهم علامات يعرفون بها[١] و المراد بالأشراط هنا العلامات التي يعقبها قيام الساعة[٢].

و معنى الساعة هو يوم القيامة وقد تكرر ذكرها في الكتاب و السنة قال الزجاج «معنى الساعة في كل القرآن هو الوقت الذي تقوم فيه القيامة يريد أنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم فلقلة الوقت الذي تقوم فيه سماها ساعة»[٣].

فأشراط الساعة المراد بها علامات القيامة التي تسبقها و تدل على قربها، و قد ورد في الكتاب والسنة جملة من أشراط الساعة سيأتي ذكر بعضها أثناء عرضها قريبا بإذن الله تعالى و ذلك من خلال ما أورده العلامة المعصومي في هذا الموضوع حيث قال:

«إن القمر قد انشق نصفين معجزة للنبي صلى الله عليه و سلم حين طلبه منه الكفار و لقد انشق في ليلة بدر فلقتين حتى رآه الناس القريب و البعيد والحاضر و الغائب و هو من أمارات الساعة لقوله تعالى {اقتربت

---

١ – انظر لسان العرب لابن منظور ٣٢٩/٧–٣٣٠ و النهاية لابن الأثير ٤٦٠/٢

٢ – فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٧٩/١٣

٣ – انظر النهاية لابن الأثير ٤٢٢/٢و المفردات للإصفهاني ص٢٤٨و لسان العرب لابن منظور ١٦٩/٨

الساعة وانشق القمر و إن يروا آية يعرضوا و يقولوا سحر مستمر و كذبوا و اتبعوا أهواءهم و كل أمر مستقر}[١].

و إن نفخ الصور قرب الساعة حق و هو من أشراط الساعة الكبرى و كل ما أخبر به الشارع من أشراط الساعة على ما وردت به الآيات و الأحاديث الصحيحة حق كائن لقول الله تعالى{و نفخ في الصور فصعق من في السماوات و من في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون}[٢]و لقوله عز وجل {و تركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض و نفخ في الصور فجمعناهم جمعا}[٣].

و أن نزول عيسى على نبينا و عليه الصلاة والسلام قرب الساعة حق فيقتل الدجال الكذاب الموعود فخروج الدجال حق، وأن عيسى عليه السلام حي مرفوع في السماء ما قتله اليهود و ما صلبوه و لكن شبه لهم لقول الله تعالى {و إنه لعلم للساعة فلا تمترن بها و اتبعون هذا صراط مستقيم}[٤]، و ورد في القرآن الكريم الرد على اليهود عليهم لعنة الله في زعمهم الكاذب بقتل عيسى عليه الصلاة والسلام و ذلك في قول الله عز و جل {و قولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه و لكن شبه لهم و إن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن و ما قتلوه

---

١ – سورة القمر الآية: ١–٣

٢ – سورة الزمر الأية: ٦٨

٣ – سورة الكهف الآية: ٩٩

٤ – سورة الزخرف، الآية: ٦١

يقينا بل رفعه الله إليه و كان الله عزيزا حكيما و إن من أهل الكتاب إلا ليومنن به قبل موته و يوم القيامة يكون عليهم شهيدا}(١).

قال الشيخ المعصومي رحمه الله بعد سرده للأدلة على ما ذكره في هذا الموضوع «و ذلك عقيدة أهل السنة والجماعة ثبتنا الله تعالى على ما هم عليه»(٢).

و أن خروج ياجوج و ماجوج قرب الساعة كما ذكر المعصومي حق لقوله تعالى{قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج و مأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا و بينهم سدا... قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء و كان وعد ربي حقا و تركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض و نفخ في الصور فجمعناهم جمعا}(٣).و قوله عز و جل {حتى إذا فتحت يأجوج و مأجوج وهم من كل حدب ينسلون و اقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين}(٤).

و إن من علامات الساعة التي تدل على قربها خروج الدابة و قد أشار له المعصومي و قال«إن خروج الدابة قرب الساعة حق لقول الله تعالى {و إذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا

---

١ – سورة النساء، الآية: ١٥٩

٢ – حبل الشرع المتين ١٠٠–١٠٣

٣ – سورة الكهف، الآية: ٩٤

٤ – سورة الأنبياء، الآية: ٩٦–٩٧

لا يوقنون }»[١]. و لما أخرج الإمام مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال«ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها و الدجال و دابة الأرض»[٢].و أن طلوع الشمس من مغربها قرب الساعة حق لقول الله تعالى {هل ينظرون إلا أن يأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون }[٣]،و لقول النبي صلى الله عليه و سلم «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من في الأرض جميعا فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل»[٤] و ذلك معتقد أهل السنة والجماعة[٥].

و إن من علامات الساعة التي أوردها العلامة المعصومي في كتابه حبل الشرع المتين خروج الدخان حيث قال رحمه الله «إن خروج الدخان قرب الساعة حق لقوله تعالى «فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس

---

١ – سورة النمل، الآية:٨٢

٢ – صحيح مسلم الإيمان و الفتن١/١٣٨،كتاب لإيمان، مختصر المستدرك لمسلم ص:٥٦٧-٥٦٨ كتاب التفسير

٣ – سورة الأنعام، الآية:١٥٨

٤ – صحيح البخاري كتاب الإيمان و التفسير٥/٢٣٨٦ و صحيح مسلم كتاب الإيمان و التفسير١/٤٢٣

٥ – حبل الشرع المتين ص١٠٤-١٠٥

هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون »[١]، و ذلك عقيدة أهل السنة والجماعة[٢].

و أن الزلزلة العظيمة الكثيرة قرب الساعة حق فتكثر الزلازل لقول الله تعالى«ياأيها الناس اتقو ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم»[٣]، و لقوله عز و جل «إذا زلزلت الأرض زلزالها و أخرجت الأرض أثقالها و قال الإنسان مالها »[٤]. و لقوله صلى الله عليه و سلم «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ويتقارب الزمان و تكثر الزلازل و تظهر الفتن و يكثر الهرج و القتل»[٥].

كانت هذه نماذج من أشراط الساعة عرضها العلامة المعصومي بأدلتها من الكتاب و السنة وفق منهج السلف الصالح و معتقدهم وفيما يلي نعرض موقفه و جهوده في أهم ما أورده من المسائل الأخرى التي تتعلق بالإيمان باليوم الآخر و الحياة الأخروية.

---

١ – سورة الدخان، الآية: ١٠–١٢

٢ – حبل الشرع المتين، ص: ١٠٦–١٠٧

٣ – سورة الحج، الآية: ١

٤ – سورة الزلزلة، الآية: ١–٣

٥ – حبل الشرع المتين، ص: ١٠٦، ١٠٥ وما يليها، والحديث من صحيح البخاري١/٣٥٠ و صحيح مسلم .

المطلب الثاني : الإيمان بعذاب القبر و نعيمه

إن من أصول أهل السنة والجماعة التي يجب الإيمان بها الإيمان بعذاب القبر و نعيمه و كونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة وقد تضافرت نصوص الكتاب و السنة المتواترة[١] على إثبات عذاب القبر ونعيمه و أجمع على ذلك سلف الأمة من الصحابة والتابعين و من بعدهم من أهل السنة و الجماعة، وقد خالف أهل البدع عقيدة أهل السنة والجماعة في ذلك، وفيما يلي نورد الأقوال في هذه المسألة.

لقد اختلف الناس إلى عدة أقوال أهمها مايلي:

القول الأول: ذهب بعض المعتزلة إلى إنكار عذاب القبر ونعيمه، وأن البرزخ ليس فيه نعيم ولاعذاب، بل لايكون ذلك حتى تقوم القيامة الكبرى، وبهذا قال الخوارج[٢].

القول الثاني: قول الفلاسفة وبعض المتكلمين، وهو أن العذاب لا يكون إلا على الروح وأن البدن لاينعم ولايعذب، وأنه لايصل شيء من ذلك إلى الأجساد في القبور[٣].

---

١ – انظر على سبيل المثال نيل الأوطار للشوكاني ٣/١٤٨-١٤٩ و تحفة الذاكرين ٣٤٨

٢ – مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ٤/٢٨٤، الروح لابن القيم، ص٧٣، المقالات للأشعري ص٤٣٠.

٣ – مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ٤/٢٨٣، الروح لابن القيم: ص ٧٢، المقالات للأشعري ص ٤٣٠

القول الثالث: قول بعض المتكلمين وبعض الفلاسفة وهوأن الروح بمفردها لاتنعم ولاتعذب وإنما الروح هي الحياة، وينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن[1].

القول الرابع: هو أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانا، فيحصل له معها النعيم والعذاب، ولم يخض أصحاب هذا القول في كيفية النعيم والعذاب، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، وبهذا قال أهل السنة والجماعة، وبعض أهل الكلام [2]

و قرر الشيخ المعصومي - رحمه الله - مذهب السلف في إثبات عذاب القبر و نعيمه و استدل بأدلة كثيرة وقال: «إن عذاب القبر للفاسقين و لبعض عصاة المؤمنين حق و كذا نعيم أهل الطاعة حق و كذا سؤال منكر و نكير حق ، فيسألان العبد عن دينه و نبيه و العذاب على الجسم والروح جميعا على ما يشاء الله عز و جل لقوله تعالى {النار يعرضون عليها غدوا وعشيا و يوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب}[3]، و لقوله عز و جل {يثبت

---

١ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٨٣/٤، الروح لابن القيم ص:٧٣

٢ - مجموع الفتاوى: ٢٨٤/٤، الروح لابن القيم ،ص ٧٣-٧٤ ، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٤٧، الإبانة للأشعري ص ٢١٥، المواقف ص:٣٨٢، شرح الصدور بأحوال الموتى للسيوطي، ص ٢٢٢ -٢٤٨، أهوال القبور لابن رجب ص:٤١-٦٠

٣ - سورة غافر، الآية:٤٦

الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا و في الآخرة و يضل الله الظالمين و يفعل ما يشاء}[١].

و بعد أن أورد المعصومي رحمه الله أدلة متعددة تؤيد ما ذهب إليه من الإيمان بعذاب القبر وفق ما عليه سلف الأمة وأئمة السنة على مر العصور قال«و ذلك عقيدة أهل الفرقة الناجية أعاذنا الله تعالى من عذاب القبر و غفر لنا بفضله و رحمته»[٢].

---

١ – سورة إبراهيم، الآية :٢٧

٢ – حبل الشرع المتين ص ٨٣–٨٤ و انظر كتاب المشاهدات المعصومية ص٩

المطلب الثالث : رؤية الله سبحانه و تعالى في الجنة

إن أعظم نعيم يناله المؤمنون في الجنة هو رؤية الله عز وجل بابصارهم و هي ثابتة بالكتاب و السنة وقد جاء التصريح بذلك في قوله تعالى «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة »[1].

وأهل السنة والجماعة يثبتون رؤية الله يوم القيامة بالأبصار حين يتجلى لعباده في الموقف وفي الجنة من فوقهم، ويخاطبهم،ويسلم عليهم، ويرونه كما يرون الشمس ليس دونها سحاب، وأن النظر إليه في الجنة أحب إليهم من كل شيء فيها[2].

قال الطبري «حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري قال: حدثنا آدم قال حدثنا المبارك عن الحسن في قوله «وجوه يومئذ ناضرة » قال حسنة «إلى ربها ناظرة»قال تنظر إلى الخالق و حق لها أن تنضر و هي تنظر إلى الخالق »[3].

قال الشوكاني إلى ربها ناظرة: هذا من النظر، أي إلى خالقها و مالك أمرها. ناظرة أي تنظر إليه هكذا قال جمهور أهل العلم و المراد ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون إلى ربهم يوم القيامة كما ينظرون

---

١ – سورة القيامة الآيتان٢٢-٢٣

٢ – الإبانة عن أصول الديانة، للأشعري، ص:٦٥ ومابعدها، رسالة أهل الثغر، للأشعري ص ٢٣٧، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، ص٢٠٤ ومابعدها،شرح العقيدة الطحاوية ص:٢٠٣، النهاية في الفتن والملاحم ٣٥١/٢.

٣ – جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩٢/٢٩

إلى القمر ليلة البدر...[1] قال الحافظ عماد الدين ابن كثير: «و هذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة و التابعين و سلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام و هداة الأنام»[2].

وقد اختلفت آراء الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة، في هذه المسألة على أقوال وهي كالآتي:

القول الأول: للأشعرية

ذهبوا إلى إثبات الرؤية بالأبصار يوم القيامة بدون تأويل النصوص الواردة في ذلك ولكنهم حاروا في ذلك فقالوا إن الله يرى بدون مقابلة، وبدون إثبات الفوقية والجهة و يقولون إنه ليس فوق الرائي أو على يمينه أويساره أو تحته [3].

القول الثاني: للمعتزلة والجهمية والخوارج

ذهبوا إلى ان الله سبحانه وتعالى لايرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل لا يجوز ذلك عليه تعالى[4].

---

١ – فتح القدير ٣٣٨/٥

٢ – تفسير ابن كثير٤/٤٥٠

٣ – الملل والنحل للشهرستاني: ١/١٠٠، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلاني ص٧٢-٧٤، ٢٥٢، شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١١.

٤ –مقالات الإسلاميين ، ص ٢٥٧، ٢٦١،وانظر الإنصاف للباقلاني، ص٢٤٢، ومجموع الفتاوى ٣٣٧/٢، وشرح العقيدة الطحاوية، ص: ٢٠٤

القول الثالث : لبعض طوائف المجسمة

قالوا يجوز أن نرى الله بالأبصار في الدنيا، ولسنا ننكر أن يكون بعض من نلقاه في الطرقات، وأجاز عليه بعضهم الحلول في الأجسام، وأجاز كثير ممن أجاز رؤيته في الدنيا مصافحته، وملامسته، ومزاورته إياهم[١]

وقد قرر المعصومي – رحمه الله – هذه المسألة وفق ماهو متفق عليه بين أهل السنة وأئمة الإسلام وهداة الأنام، واستدل بجملة من النصوص مبينا أن ذلك هو عقيدة أهل السنة والجماعة ونقل الإجماع على ذلك و قال: «إن الله تعالى يرى في دار الآخرة فيراه المؤمنون بلا كيفية، و لا ثبوت مسافة بين الرائي و بين الله عز وجل فالرؤية حق لقوله تعالى في سورة القيامة {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة}، و في سورة يونس {للذين أحسنوا الحسنى و زيادة و لايرهق وجوههم قتر ولاذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون}[٢].

و أما الأدلة من الأحاديث فهي كثيرة جدا ومنها ما أخرجه البخاري في الأذان و مسلم في الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال إن ناسا قالوا لرسول الله صلى الله عليه و سلم يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم «هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه

---

١ – مقالات الإسلاميين للأشعري، ص:٢١٣، ٢١٤، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية٢/٣٣٧

٢ – سورة يونس الآية ٢٦

سحاب قالوا لا يارسول الله قال هل تمارون[1] في رؤيـة الشـمس لـيس دونهـا سحاب قالوا لا قال فإنكم ترونه كذلك الحديث»[2].

وقد بين العلامة المعصومي رحمه الله حقيقـة هـذه المسـألة أعـني مسـألة الرؤية بما فيه الكفاية، وفي نهاية كلامه عنها قال: « وعلى حقيقة رؤيـة الله تعالى في دار الآخرة انعقد الإجماع من كافـة الصـحابة والتـابعين وهـو عقيـدة أهل السنة والجماعة رضي الله عـنهم وأرضـاهم وأكـرمهم يـوم القيامـة في دار كرامته برؤياه»[3].

---

١ – روي تضارون بتشديد الراء و تخفيفها و التاء مضمومة فيهما و معنى المشدد هل تضارون غيركم في حال الرؤية بزحمة او مخالفة في الرؤية أو غيرها لخفائه ومعنى المخفف هل يلحقكم في رؤيته ضير وهو الضرر» شرح النووي على صحيح مسلم ١٨/١ وانظر النهاية لابن الأثير ٨٢/٣.

٢ – صحيح البخاري مع الفتح ، ٢٧/٢، ٢٦

٣ – حبل الشرع المتين، ص: ٣٤–٣٥ ذكر المعصومي رؤية الله تعالى في الدنيا وقال: إن الله تعالى لايرى في دار الدنيا فمن ادعى الرؤية في الدنيا فهو كذاب لايصدق وما وقعت الرؤية في الدنيا إلا لسيدنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم واستدل بالكتاب والسنة على ما ذكره وقال: وذلك عقيدة أهل السنة والجماعة الحقة ثبتنا الله تعالى عليها، انظر المصدر السابق نفسه ص: ٤٧–٤٨.

المطلب الرابع : الجنة و النار

إن من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة ونعيمها والنار و عذابها، وأنهما حق لا ريب فيهما، و الجنة هي دار النعيم التي أعدها الله عز وجل لعباده المؤمنين المتقين المشتملة على أصناف النعيم الدائم والبهجة والسرور وكلما لذ وطاب على وجه الدوام والخلود الأبدي، و أما النار فهي دار العذاب و العقاب الدائم الأبدي الذي لا ينقطع.

وقد أكثر الله سبحانه وتعالى من ذكر نعيم الجنة وعذاب النار في كتابه الكريم، كقوله تعالى: {إن المتقين في مقام أمين، في جنات وعيون، يلبسون من سندس واستبرق متقابلين، كذلك وزوجناهم بحور عين، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين، لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم، فضلا من ربك، ذلك هو الفوز العظيم}[1].

وقوله تعالى: {مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، ولهم فيها من كل الثمرات، ومغفرة من ربهم}[2].

وأما ما ورد في النار ووصفها وعذابها، وصفات أهلها، من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، فهو كثير ومنه قوله تعالى: {واتقوا النار التي أعدت للكافرين}[3].

---

١ – سورة الدخان الآيات: ٥١–٥٧

٢ – سورة محمد الآية :١٥

٣ – سورة آل عمران: الآية ١٣١

وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون}[١]. وقال تعالى: {وكفى بجنهم سعيرا، إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب، إن الله كان عزيزا حكيما}[٢].

ومن السنة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في وصف النار: «ناركم جزء من سبعين جزء من نار جهنم، قيل يارسول الله: إن كانت لكافية، قال: فضلت عليهن بتسع وستين جزء، كلهن مثل حرها»[٣].

وقال عليه الصلاة والسلام في وصف أخف العذاب في النار: « إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة، لرجل توضع في أخمص[٤] قدميه جمرة يغلي منها دماغه»[٥].

---

١ – سورة التحريم الآية :٦

٢ – النساء الآيتان: ٥٥-٥٦ .

٣ –أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة(الفتح ٣٨١/٦ برقم ٣٢٦٥) واللفظ له، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم إلخ(٢١٨٤/٤ برقم ٢٨٤٣)

٤ – الأخمص من القدم: الموضع الذي لا يلصق بالارض منها عند الوطء، (النهاية لابن الأثير ٨٠/٢ مادة خمص)

٥ – أخرجه البخاري في كتاب الرقاق،

الجنة والنار باقيتان لاتفنيان:

خلود الجنة والنار وبقاؤهما بإبقاء الله لهما، وأنهما لاتفنيان أبدا، ولايفنى من فيهما ثابت بالكتاب والسنة، والأدلة عليهما كثيرة جدا.

قال تعالى في الجنة وأهلها: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة}[1]. وقال تعالى: { وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم}[2]، وغير ذلك من الآيات القرآنية الكريمة الكثيرة.

ومن الأحاديث الدالة على أبدية الجنة والنار وخلود أهلهما فيهما: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل الله أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لاموت، ويا أهل النار لاموت، كل خالد فيما هو فيه»[3].

باب صفة الجنة والنار(الفتح ٤٢٤/١١)، برقم ٦٥٦١ - واللفظ له، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذابا ١٩٦/١)

١ - سورة النساء الآية ٥٧

٢ - سورة التوبة الآية ١٠٠

٣ - أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون الفا بغير حساب (الفتح ٤١٤/١١ برقم ٦٥٤٤) و مسلم في كتاب الجنة،وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون إلخ،(٢١٨٩/٤ برقم ٢٨٥٠) واللفظ له

فهذا الحديث وأمثاله يدل دلالة واضحة على أبدية الجنة والنار ودوامهما، وخلود أهلهما فيهما، لا إلى غاية ولا إلى أمد.

وهذا هو مذهب السلف الذي سار عليه أئمة السنة على مر العصور ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث نص على ذلك بقوله: « وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة، على أن من المخلوقات ما لايعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار، والعرش وغير ذلك، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كجهم بن صفوان و من وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها[1].

وقد نسب القول بفناء النار إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى[2]، وهي نسبة غير صحيحة لعدم البرهان عليها من شيخ الإسلام، فإنه رحمه الله أنكر أشد الإنكار على من قال بفناء النار، وحكى إجماع سلف الأمة وجماهير المسلمين على تضليل صاحب هذ القول، كما تبين من كلامه السابق، وكما تبين من كلامه الصريح في عدة مواضع من كتبه[3].

---

١ – مجموع فتاوى بن تيمية(١٨/٣٠٧)

٢ – انظر كتاب رفع لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للصنعاني.بتحقيق الألباني.

٣ – انظر مجموع فتاوى(٣/٣٠٤، ٨/٣٨٠، ١٢/١٤، ٤٥/٣٤٨)، وموافقة صحيح المنقول لصريح المعقول(١/٢٢٧، ٢٢٨)، وبيان تلبيس الجهمية(١/١٥٢، ١٥٧). ودرء تعارض العقل والنقل (١/٣٨، ٣٠٤، ٣٠٥، و ٣/١٥٧، ١٥٨، و٨/٣٤٥).

وأما تلميذه ابن القيم فقد صرح بدوام النار في كثير من مؤلفاته[1] كما جاء في كتابه حادي الأرواح[2]، حاكيا له بأنه قول أهل السنة، مستدلا به على أهل البدع، حيث قال: وقد خلقت الجنة وما فيها، وخلقت النار وما فيها خلقهما الله عز وجل، وخلق الخلق لهما، ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبدا فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل: { كل شيء هالك إلا وجهه }[3]، وبنحو هذا من متشابه القرآن، قيل له كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء والهلاك، وهما من الآخرة لا من الدنيا».

والواقع أن النصوص التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله فيها دليل واضح على أنهما يقولان بدوام النار وخلود الكفار فيها، وهذا هو الأولى بأن ينسب إليهما، ويجعل هو رأيهما في هذه المسألة، لاتفاقه مع قواطع الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وهما من أعظم الدعاة إلى ذلك، ولست بصدد الحديث عن الشيخين الجليلين، وإنما حديثي عن الشيخ المعصومي الذي وافق أهل السنة والجماعة في باب الجنة والنار في

---

١ – انظر أيضا اجتماع الجيوش الإسلامية(ص٩١) ط/١ السلفية، وطريق الهجرتين(ص ٢٥٤، ٢٥٥) – تحقيق / عبد الله إبراهيم الأنصاري، وزاد المعاد(١/٦٦ – ٦٨) تحقيق/ شعيب وعبد القادر الأرناؤط.

٢ – ص: (٧٩–٨٠) تحقيق يوسف علي بديوي و محيي الدين مستو والوابل الصيب ص ٣٢ تحقيق مصطفى بن العدوي

٣ – سورة القصص الآية: ٨٨.

جميع المسائل المتعلقة به ومنها هذه المسألة، حيث تحدث - رحمه الله- عن الجنة ونعيمها و النار و عذابها وكونهما بقايتان لاتفنيان، و أطال الكلام في ذلك و سنعرض من كلامه ما يلقي الضوء على منهجه ومعتقده في هذا الجانب من الإيمان باليوم الآخر و ما يتعلق به من المسائل و الأمور الغيبية، خاصة وأن موضوع الجنة والنار كان مثار جدل بين أهل السنة والجماعة وبعض الفرق و الطوائف المبتدعة الضالة[1]، لذلك ركز عليه العلامة المعصومي وقال :

«إن الجنة دار النعيم و دار السلام موجودة الآن و هي باقية لا تفنى ولا يفنى أهلها أبدا لقوله تعالى{سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات و الأرض أعدت للمتقين}[2].

و لقوله جل شأنه {أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم}[3]، و أن المؤمنين يدخلونها و يخلدون فيها أبدا لقول الله عز و جل{و الذين آمنوا و عملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا}[4]، و قال تعالى في سورة التوبة{ الذين آمنوا و هاجروا و جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله و أولئك هم الفائزون،

---

١ - انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص:٢/١٦١٤

٢ - سورة آل عمران، الآية:١٣٣

٣ - سورة التوبة، الآية:٨٩

٤ - سورة النساء، الآية:٥٧

يبشرهم ربهم برحمة منه و رضوان و جنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم }[1].و قد روي في الحديث الصحيح «يا أهل الجنة خلود ولا موت و يا أهل النار خلود و لا موت»[2]، و ذلك عقيدة أهل السنة والجماعة، بل كافة الفرق الإسلامية[3].

و إن جهنم يقول العلامة المعصومي «دار العذاب والعقاب موجودة الآن وهي باقية لا تفنى ولا يفنى أهلها و أن الكفار و المشركين يدخلونها و يخلدون فيها أبدا، و قد أعدها الله عز و جل لهم، كما قال تعالى { و اتقوا النار التي أعدت للكافرين}[4]. و قال سبحانه و تعالى { إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا}[5]، و قال عز وجل{و من يعص الله و رسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا}[6]. وأخرج البخاري في الرقائق و مسلم في صفة النار في صحيحيهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال«إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم يا أهل النار لا

---

١ – سورة التوبة، الآية :٢٠–٢٢

٢ – صحيح البخاري مع الفتح ٤١٥/١١ و صحيح مسلم

٣ – حبل الشرع المتين ص ٩١–٩٣

٤ – سورة آل عمران الآية :١٣١

٥ – سورة الأحزاب، الأية :٦٤–٦٥

٦ – سورة الجن، الآية :٢٣

موت و خلود ويا أهل الجنة لاموت وخلـود »[1]و ذلـك كمـا يقـول المعصـومي مجمع عليه عند أهل السنة والجماعة[2].

و الله سبحانه و تعالى -كما يقول المعصومي - يهدي مـن يشـاء و يعصـم ويعافي و يعطي الثواب و يدخل الجنة فضلا و لطفا و يضل من يشاء و يخذل و يبتلي ويعذب و يدخل النـار عـدلا و قسـطا لقولـه تعـالى { والـذين كـذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله و من يشأ يجعله علـى صـراط مستقيم}[3]، و لقوله سبحانه و تعالى{و ما أرسلنا من رسول إلا بلسـان قومـه ليبين لهم فيضل الله من يشاء و يهدي مـن يشـاء و هـو العزيـز الحكـيم}[4]. وانعقد الإجماع من كافة أهل السنة أنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضـلل فلا هادي له[5]

---

١ – البخاري الجزء الخامس ص ٣٩٦ رقم ٦١٧٦وصحيح مسلم الجزء الرابع رقم ٢٨٤٩

٢ – حبل الشرع المتين، ص:١٠٢،٩٣

٣ – سورة الأنعام، الآية :٣٩

٤ – سورة إبراهيم، الآية:٤

٥ – حبل الشرع المتين ص ٤١-٤٢

المطلب الخامس: نماذج من المسائل التي تتعلق بالإيمان باليوم الآخر

تقدم في المطالب السابقة الكلام عن أشراط الساعة وبعض المسائل المهمة التي تتعلق بالإيمان باليوم الآخر وفي هذا المطلب سنلقي الضوء على مسائل أخرى في هذا الموضوع.

ولعل من أهم تلك المسائل وأولها وأولاها بالاهتمام والبيان هو يوم القيامة وقد ذكره العلامة المعصومي وتناوله بالبيان مستشهدا على كلامه بالقرءان الكريم حيث قال رحمه الله: «إن القيامة لاتعلم متى هي وكم بقي إليها فإنها لاتجيء إلا بغتة فمن عين لها وقتا كمن قال إن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة فقد خالف الكتاب والسنة والعقل وهو كفر لقوله تعالى {يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا..}[1]. وقد أجمع كافة المسلمين أن القيامة آتية البتة ولايعلم وقتها إلا الله تعالى وحده فمن عين وقتها فقد خالف كتاب الله وكفر بما أنزل الله تعالى لأن ذلك من الغيب ولايعلم الغيب إلا الله عز وجل وذلك عقيدة اهل السنة والجماعة ومجمع عليه فمدعي علم الغيب كافر[2] وان الحشر والنشر والبعث وإحياء الأموات يوم القيامة حق يقول المعصومي: «فيحشر الناس يوم القيامة للحساب وجزاء الأعمال لقوله تعالى: {ثم إنكم يوم القيامة

---

١ – سورة الأحزاب، الآية: ٦٣

٢ – حبل الشرع المتين، ص: ١٠٦–١٠٧

تبعثون﴾(1) وعلى حقيقة وقوع الحشر والبعث انعقد الإجماع فمن أنكر ذلك جوازا أو وقوعا فهو كافر بالله العظيم(2).

وأما مسألة الميزان و هو الذي توزن به الحسنات وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى﴿والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾(3).

وهذه الآية وغيرها من الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر الميزان، تدل على أن أعمال العباد خيرها وشرها توزن بالموازين إظهارا لعدل الله عز وجل، واختلف الناس في معنى الوزن فذهب جمهور أهل السنة إلى أن المراد به وزن صحائف أعمال العباد، بالميزان وزنا حقيقيا(4) وأنكر بعض الناس الميزان وذهبوا إلى أن الوزن والميزان بمعنى العدل والقضاء(5)، علما أنه ثبت

---

١ – سورة المؤمنون الآية: ١٦

٢ – حبل الشرع المتين، ص: ٨٤–٨٥

سورة الأعراف الآية ٧-٣

٤ – فتح الباري لابن حجر ٥٤٨/١٣

٥ – وأنكر المعتزلة حقيقة الميزان لأن الأعمال أعراض وإن أمكن إعادتها فلا يمكن وزنها، إذ لاتوصف بالخفة والثقل، وأيضا فالوزن للعلم بمقدارها، وهي معلومة لله تعالى، فلافائدة فيه، فيكون قبيحا ننزه عنه الرب تعالى، انظر المواقف للأيجي ص ٣٨٤ ومقالات الإسلاميين للأشعري ١٦٤/٢

في النصوص وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال كما ثبت أن الميزان كفتان والله أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات[١].

وقد تناول العلامة المعصومي هذا الموضوع وقرر فيه مذهب أهل السنة والجماعة وقال: «إن الميزان يوم القيامة حق ووزن الاعمال به حق وقد أفلح من ثقل ميزانه وقد خاب من خف ميزانه لقوله تعالى: {والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون}[٢] وقوله عز وجل: {فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية}[٣].

وفي كلامه عن الإيمان بالحساب والجزاء والقصاص في الدار الآخرة قال رحمه الله«إن الحساب يوم القيامة حق فيحاسب العبد حسابا لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فيا ويل من خبث باطنه وساء عمله لقوله تعالى: {ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولايظلم ربك أحدا}[٤]، ولقوله عز وجل: {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا

---

١ – شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٧٥ ، وشرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة ١٥٨/١، ١٧٧، وتفسير ابن كثير٣١٠/٢

٢ – سورة الأعراف، الآية: ٩

٣ – حبل الشرع المتين ص: ١٠٥–١٠٧ والآيتان رقم: ٦–٩ من سورة القارعة.

٤ – سورة الكهف الآية: ٤٩

تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين}[١]. وأول من يحاسب هذه الأمة وذلك مجمع عليه[٢].

وفي عرض الشيخ المعصومي لجزاء الأعمال والقصاص قال: «إن جزاء الاعمال بأسرها يوم القيامة حق فيجزى كل شخص على عمله واعتقاده إن خيرا فخير وإن شرا فشر لقوله تعالى: {اليوم تجزى كل نفس ما كسبت لاظلم اليوم إن الله سريع الحساب}[٣] وقوله عز وجل: {يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لايظلمون}[٤] وقد وصل الشيخ المعصومي رحمه الله الحديث عن القصاص في الآخرة بمسألة جزاء الأعمال يوم القيامة مبينا الحق فيه ومحذرا من ارتكاب الظلم ذاكرا للآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة حيث قال: «إن القصاص في ما بين الخصوم يوم القيامة حق فطوبى لمن لم يظلم أحدا شيئا وويل للظالم ثم ويل له لقوله تعالى: {إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون}[٥]، وقوله عز وجل: {اليوم تجزى كل نفس ما كسبت لاظلم اليوم إن الله سريع الحساب}[٦].

---

١ – سورة الأنبياء، الآية: ٤٧

٢ – حبل الشرع المتين، ص: ٨٥.

٣ – سورة غافر، إلآية: ١٧

٤ – حبل الشرع المتين ص: ٨٥–٨٦ والآية رقم: ١١١ من سورة النحل.

٥ – سورة الزمر، الآية: ٣٠–٣١

٦ – سورة غافر، الآية: ١٧

وبعد بيان الشيخ رحمه الله لمنهج السلف في هذا الموضوع قال: «وذلك هو معتقد الفرقة الناجية»[١].

وفي أثناء كلامه رحمه الله عن الإيمان باليوم الآخر وأهواله ذكر العرض والكتاب وبين معتقد أهل السنة والجماعة في ذلك وقال: «إن العرض يوم القيامة حق فيعرض على كل نفس ما لها وما عليها لقول الله تعالى: {وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا}[٢]، وقوله عز وجل: {يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية}[٣].

وإن الكتاب يقول المعصومي: «حق فيعطى المؤمن كتابه بيمينه وأما الكافر فيعطى بشماله فيقرأ كل كتابه فطوبى لمن أعطي كتابه بيمينه وويل لمن اعطي بشماله لقوله تعالى: {وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا}[٤]، وقوله عز وجل: {فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا}[٥]، وبعد أن بين المعصومي رحمه الله هذا الموضوع

---

١ – حبل الشرع المتين ص:٨٨–٨٩.

٢ – سورة الكهف، الآية:٤٨

٣ – حبل الشرع المتين ص:٨٦ والآية رقم من سورة الحاقة.

٤ – سورة الإسراء، الآية:١٢–١٤

٥ – سورة الإنشقاق، الآية:٧–١٢

بيانا شافيا في ضوء النصوص الشرعية وفق منهج أهل السنة الخالي من شوائب البدعة قال: «وذلك مجمع عليه»[١].

ويقرر العلامة المعصومي منهج اهل السنة والجماعة ومعتقدهم كعادته في الإيمان بالحوض والصراط فيقول: «إن الحوض الكوثر الذي أكرم الله تعالى به نبيه سيدنا محمداﷺ حق فطوبى لمن شرب منه فإنه لايظمأ بعده أبدا لقوله تعالى: {إنا أعطيناك الكوثر}[٢] ولقول النبيﷺ «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لايظمأ أبدا»[٣]. قال رحمه الله بعد ان أورد جملة من الاحاديث بهذا المعنى « وذلك عقيدة أهل السنة والجماعة»[٤].

وأما الصراط فهو كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله – «جسر منصوب على متن جهنم بين الجنة والنار يمر الناس عليه على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كلمح البصر ومنهم من يمر كالبرق ومنهم كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجواد ومنهم من يمر كركاب الإبل و منهم من يعدو عدوا ومنهم من يمشي مشيا و منهم من يزحف زحفا و منهم من يخطف ويلقى في جهنم فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم فمن مر على الصراط دخل

---

١ – حبل الشرع المتين ص: ٨٦–٨٧.

٢ – سورة الكوثر، الآية: ١.

٣ – صحيح البخاري مع الفتح ٤٦٣/١١ وصحيح مسلم

٤ – حبل الشرع المتين، ص: ٩١

الجنة »[١]. وقد وردت أحاديث كثيرة فيها ذكر الصراط وصفة المرور عليه و الذي عليه أهل الحق إثبات الصراط على ظاهره بغير تأويل كما وردت به الأخبار الصحيحة [٢] و قد تعرض المعصومي -رحمه الله- للحديث عن الصراط، بعيدا عن التأويلات الكلامية وقال «إن الصراط جسر ممدود على متن جهنم أدق من الشعر و أحد من السيف حق فيمر كل الخلق عليه فأهل الجنة سالمون وأهل النار ساقطون لقوله تعالى {و إن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثيا}[٣]. وورد في سورة الصافات قوله عز و جل {احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانو يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسؤولون}[٤]. ثم ساق المعصومي رحمه الله نصوصا كثيرة تخيرها، كلها تؤيد ما ذهب إليه وقال«وذلك مجمع عليه»[٥]، و هذا في حق الإعتقاد بما في يوم الدين.

---

١ -العقيدة الواسطية مع شرحها للدكتور صالح فوزان الفوزان ص:١٥٣

٢ - انظر لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢/١٩٢-١٩٤

٣ - سورة مريم، الآية: ٧١-٧٢

٤ - سورة الصافات، الآية: ٢٢-٢٤

٥ - حبل الشرع المتين، ص: ٨٩.

و أما حقيقة الصراط فـأعلم أنـه الصـراط المستقيم صـراط الـذين انعـم الله عليهم من المرسلين و هو الآن دين وشريعة سيدنا محمدٍ صلى الله عليه و سلم فمن استقام في هذا فهو ناج و من لم يستقم فهو ساقط وهالك[1].

كانت هذه نماذج مـن المسـائل الـتي تتعلـق بالإيمـان بـاليوم الآخـر، وفي المبحث الآتي إن شاء الله تعالى سنتناول الكلام في الإيمان بالقدر.

والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء السبيل

---

١ – للتوسع في هذا الموضوع راجع حبل الشرع المتين ص،٨٩–٩٠

المبحث الخامس:

الإيمان بالقدر

المطلب الأول: تعريف الإيمان بالقضاء والقدر

إن الإيمان بقضاء الله وقدره من القضايا العقدية المهمة التي احتدم فيها النزاع بين أهل السنة و الطوائف المبتدعة على مر العصور، و تعتبر مسألة القدر إحدى المسائل الرئيسة التي بدأت بها المباحث الكلامية في الإسلام و ضل فيها كثير من الناس عن النهج الصحيح، و نظرا لخطورتها و لكونها ظلت مثار جدل بين مختلف الطوائف فإنني سأعطي عنها نبذة تتضمن تعريف القضاء و القدر و تبين منهج أهل السنة و معتقدهم فيه و ذلك قبل بيان جهود العلامة المعصومي في هذا الركن من أركان الإيمان، لنرى تطابق منهجه و معتقده في هذا الموضوع لما كان عليه أهل السنة و الجماعة من قبله وفيما يلي بيان ذلك مبتدئا بالتعريف اللغوي للقدر.

القدر محركة القضاء و الحكم ومبلغ الشيء، ويضم كالمقدار و الطاقة، كالقدر فيهما جمع أقدار، و القدرية جاحدوا القدر، و قدر الله تعالى ذلك عليه يقدره ويقدره قدرا و قدرا و قدره عليه و له. و استقدر الله خيرا: سأله أن يقدر له به، و قدر الرزق قسمه، و القدر الغنى و اليسار[1].

---

١ – الفيروز أبادي: القاموس المحيط ١١٤/٢، مطبعة فن الطباعة روزين شلهوت ١١٣٥هـ

قال الرازي[1] في مختار الصحاح: القدر ما يقدره الله من القضاء و قدر الشيء مبلغه،و هو بسكون الدال و فتحها، و هو في الأصل مصدر. قال تعالى{وما قدروا الله حق قدره }[2] أي عظموه حق تعظيمه، ويقال مالي عليه مقدرة بكسر الدال و فتحها أي قدرة، ومنه قولهم المقدرة تذهب الحفيظة،و رجل ذو مقدرة بالضم أي ذو يسار،و أما القضاء و القدر فالمقدرة بالفتح لا غير [3].

و قال الراغب الأصفهاني[4] في كتابه المفردات في غريب القرآن: القدر هو التقدير، و القضاء هو الفصل و القطع، وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزل المعد للكيل والقضاء بمنزلة الكيل وهذا كما قال أبو عبيدة لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما لما أراد الفرار من الطاعون بالشام، أتفر من القضاء؟ قال: أفر من قضاء الله إلى قدر الله، تنبيها على أن القدر ما لم يكن قضاء فمرجو أن يدفعه الله فإذا قضي فلا مدفع له[5].

---

١ –احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين من أئمة اللغة والأدب و انتقل إلى فتوفي بها من تصانيفه مقاييس اللغة ولد ٣٢٩ و توفي ٣٩٥هـ .

٢ – سورة الأنعام الآية ٩١

٣ – المختار الصحاح ٥٢٣

٤ –الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الإصفهاني أو الإصبهاني المعروف بالراغب أديب من الحكماء العلماء، من كتبه الذريعة إلى مكارم الشريعة، توفي ٥٠٢هـ الأعلام ٢/٢٥٥

٥ – المفردات في غريب القرآن ص ٤٠٧

وأما تعريف القدر في الإصطلاح، فقال فيه الشريف الجرجاني[1]: القدر تعلق الإرادة الذاتية بالأشياء في أوقاتها الخاصة، فتعليق كل حال من أحوال الأعيان بزمان معين، وسبب معين، عبارة عن القدر.. وخروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحدا بعد واحد، مطابقا للقضاء.

والقضاء في الأزل والقدر فيما لا يزال والفرق بين القدر والقضاء هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها[2].

وقال الحافظ ابن حجر القدر مصدر تقول قدرت الشيء بتخفيف الدال وفتحها: أقدره بالكسر والفتح قدرا وقدرا إذا أحطت بمقداره، والمراد أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته[3].

وقيل في تعريف القضاء والقدر: هو «ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه عز وجل قدر مقادير الخلائق وما يكون في الأشياء

---

١ -علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني فيلسوف من كبار العلماء باللغة العربية له مصنفات كثيرة منها التعريفات، ولد ٧٤٠ و توفي ٨١٦هـ الأعلام ٧/٥

٢ - علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات ص ٢٢٠ -٢٢١ تحقيق ابرهيم الأبياري دار الكتاب العربي بيروت ١٤١٣ هـ ١٩٩٢م

٣- فتح الباري ١/١١٨

قبل أن تكون في الأزل و علم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة،فهي تقع على حسب ما قدرها»[١]

وإلى جانب ذلك كله ينبغي أن لانغفل حقيقة مهمة دعا إليها رسول اللهﷺ وتمسك بها السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن اقتدى بهم على مر العصور ألا وهي: أن القدر سر الله فلا نكشفه كما قال الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢] يقول الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا، ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه {لايسأل عما يفعل وهم يسألون}[٣]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين[٤].

و لهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يؤمنون بقدرة الله تعالى، و أنه خالق كل شيء و يؤمنون بالقدر خير و شره من الله، و لكن لا يخوضون فيه إذا ذكر القدر أمسكوا كما علمهم رسول الله ﷺ.

---

١ – لوامع الأنوار للسفاريني ١– ٣٤٨

٢ – انظر شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٧٧

٣ – سورة الأنبياء الآية ٢٣

٤ – شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٧٦

و قال الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – هذه مسألة قد استعصت على الناس، فأنى يطيقونها. هذه مسألة مقفلة قد ضل مفتاحها، فإن وجد مفتاحها علم ما فيها ولم يفتح إلا بمخبر من الله تعالى يأتي بما عنده و يأتي ببينة وبرهان..

و قال لقوم من القدريين جاؤوا يجادلونه في القدر أما علمتم أن الناظر في القدر كالناظر في شعاع الشمس كلما ازداد نظرا ازداد حيرة ؟..

و في نفس المعنى قال جعفر الصادق[1]: إن الله تعالى أراد بنا شيئا و أراد منا شيئا فما أراد بنا طواه عنا و ما أراده منا أظهره لنا فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عما أراده منا؟..

و قد سأل بعض الناس الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن القضاء و القدر،و صلته بالجزاء، فأجابه علي بما يزيل الشبهة من غير خوض، ثم ختم كلامه بقوله «إن الله أمر تخييرا و نهى تحذيرا و كلف تيسيرا، و لم يعص مغلوبا، و لم يرسل الرسل إلى خلقه عبثا، و لم يخلق السموات و الأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا {فويل للذين كفروا من النار}([2]).

---

١ – جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين الهاشمي القرشي الملقب بالصادق، كان من أجلاء التابعين و له منزلة رفيعةفي العلم أخذ عنه جماعة منهم أبو حنيفة و مالك و لقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. ولد بالمدينة ٨٠و توفي بها سنة ١٤٨هـ الأعلام ١٢٦/٢.

٢ – اقتباس من الآية رقم ٢٧ من سورة ص

يقول الشيخ محمد أبو زهرة معلقا على هذا النص الذي نقله لنا: «وإن الذي يستخلص من كلام الخليفة الراشد علي بن أبي طالب الذي نقلناه آنفا أن علينا أن نطيع الله تعالى فيما أمرنا به، وأن نجتنب ما نهانا عنه، وحسبنا في ذلك أننا نعلم ونحس ونشعر بأننا مختارون فيما نفعله وأننا في استطاعتنا أن نفعل وان لا نفعل وأنه يكفي ذلك لنشعر بما يجب علينا، وما لايصح لنا إن الاشتغال عن ذلك بتعرف أمر مغلق قد ضاع مفتاحه لايجدي فتيلا[1]».

---

١ – العقيدة الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة ص ٥١–٥٥ ، نشر مجمع البحوث الإسلامية ١٩٦٩م . وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٥٣ – ١٥٥.

المطلب الثاني: مراتب القضاء والقدر

إن للقضاء والقدرأربع مراتب وردت بها نصوص الكتاب والسنة، وهي العلم والكتابة والإرادة والمشيئة والخلق، وفيما يلي بيان هذه المراتب بأدلتها من الكتاب والسنة:

المرتبة الأولى: مرتبة العلم، وهي الإيمان بان الله تعالى عالم بكل شيء جملة وتفصيلا أزلا وأبدا، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده فعلمه محيط بما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

ودليلها من القرآن العظيم قوله تعالى: { وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين}[1] ، ومفاتح الغيب فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي المذكورة في قوله تعالى{ إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير }[2] .

والآية دلت على أن الله سبحانه وتعالى محيط علمه بجميع الموجودات، بريها وبحريها، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، فهو يعلم حركة الجمادات،

---

١ – سورة الأنعام الآية ٥٩

٢ –سورة لقمان الآية ٣٤ ، والحديث رواه البخاري: كتاب التفسير – سورة الأنعام ، باب(وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو) ، وفي تفسير سورة لقمان، باب(إن الله عنده علم الساعة)، فتح الباري ٢٩١/٨، ٥١٣/٨ الطبعة السلفية

ومن باب أولى غيرها من الحيوانات، وبني الإنسان المكلفين[١] ، وقد أحاط علمه سبحانه وتعالى بكل حبة كائنة في الأرض من الأمكنة المظلمة، أو النبات الذي في بطن الأرض قبل أن يظهر[٢] .

و دليلها من السنة النبوية المطهرة الصحيحة ما رواه مسلم في صحيحه من أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال: «يا رسول الله صلى الله عليه و سلم، أعلم أهل الجنة من أهل النار؟ قال نعم، قال ففيم يعمل العاملون؟ قال : كل ميسر لما خلق له[٣] ، فالرسول ﷺ أخبر الرجل بأن الله قد علم أهل الجنة من أهل النار، وهذا يدل على علم الله المحيط بكل شيء.

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة، وهي الإيمان بأن الله عز وجل كتب ما سبق به علمه، من مقادير الخلائق، إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ.

ودليلها من القرآن الكريم قوله تعالى{ألم تعلم أن الله يعمل ما في السماوات والأرض، إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير}[٤] ، وهذه الآية من أوضح الأدلة الدالة على علمه الميحط بكل شيء، وأنه علم

---

١ – انظر تفسير ابن كثير٣/٢٦٠ – ط الشعب، تحقيق : غنيم – عاشور –البنا.

٢ – انظر فتح البيان : صديق خان ٣/١٧٢

٣ – رواه مسلم : كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، ورقمه ٢٦٤٩ ، ورواه البخاري لكن بلفظ : أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ كتاب القدر، باب جف القلم على علم الله، فتح الباري ١١/٤٩١، ورواه أبو داوود: كتاب السنة، باب في القدر، ورقمه ٤٧٠٩.

٤ – سورة الحج: الآية ٧٠

الكائنات كلها قبل وجودها، وكتب الله ذلك في كتابه اللوح المحفوظ [١] ،فالآية جمعت بين المرتبتين.

وأما دليلها من السنة فقد روى مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما– قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال وكان عرشه على الماء[٢]

المرتبة الثالثة: مرتبة الإرادة والمشيئة، وهي تقتضي الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لاحركة ولا سكون، ولا هداية ولا إضلال إلا بمشيئته جل شأنه.

ودليلها من القرآن الكريم قوله تعالى{ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير}[٣] ، وهذه الآية تدل على أن كل شيء يجري وفق مشيئة الله – سبحانه وتعالى– فهو الذي يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، فيعز من يشاء ويذل من يشاء، كل ذلك بمشيئته تعالى وإرادته.

ودليلها من السنة المطهرة ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، من أن النبي ﷺ قال: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن

---

١ – انظر تفسير ابن كثير ٤٤٨/٥، وانظر أيضا تفسير النسفي ٣٨٩/٣

٢ – رواه مسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم موسى، ورقمه ٢٦٥٣.

٣ – سورة آل عمران الآية ٢٦

كقلب واحد يصرفه حيث يشاء»[1] والمعنى قوله: كقلب واحد يصرفه حيث يشاء، فهو سبحانه وتعالى متصرف في قلوب عباده كلهم، فيهدي ويضل كما يشاء، فيه دلالة على مرتبة المشيئة.

المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق، وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها وصفاتها وحركاتها، وأن كل من سوى الله مخلوق، وموجود من العدم كائن بعد أن لم يكن.

وقد دلت الآيات القرآنية الكريمة عليها ومنها قوله تعالى{ أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون}[2] ، أي خلقكم وعملكم، فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة[3]، فالله تعالى خالق الخلق و أفعالهم كما دلت على ذلك الآية والحديث. ودليلها من السنة ما أخرجه الإمام الخباري في خلق أفعال العباد، عن حذيفة بن اليمان رضي الله قال قال رسول الله ﷺ : «إن الله يصنع كل صانع وصنعته»[4] .

كان ذلك بيانا لمراتب القدر الأربعة باختصار، والتي لا يتم الإيمان بالقدر إلا بها.

---

١ – رواه مسلم: كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كما يشاء، رقمه٤، ٢٦٥٤/٢٠٤٥ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٢ – سورة الصافات الآيتان ٩٥ –٩٦

٣ – انظر تفسير ابن كثير ٢٢/٧ ط: الشعب ، وانظر نص البخاري: خلق أفعال العباد ص ٤٦، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرات ط:دار المعارف السعودية ، الرياض ١٣٩٨هـ

٤ – خلق أفعال العباد ص ٢٥، باب أفعال العباد.

المطلب الثالث: مسألة أفعال العباد

تعتبر مسألة أفعال العباد من المسائل العقدية التي احتدم فيها النزاع بين أهل السنة والفرق الأخرى المخالفة لهم في هذه المسألة، ذلك أن فرق المتكلمين في مسألة القضاء والقدركان يتوزعها اتجاهان كلاميان، قبل بروز مذهب الأشعري، اتجاه الجبرية من جهة، واتجاه القدرية والمعتزلة من جهة أخرى، وفيما يلي عرض لآراء هذه الفرق بإيجاز:

رأي الجبرية : يرى الجبرية أن الإنسان مجبور على كل ما يفعله، لا إرادة له فيه ولا اختيار، بل هو كالريشة في مهب الرياح، تحركها ولا تحرك نفسها، وإنما تنسب الأفعال إليه مجازا مثل قول القائل: تحركت الشجرة، وليس للشجرة اختيار فيما ينسب إليها، بل تتحرك بإرادة الله عز وجل، وخلقه لذلك فيها، فالإنسان عندهم مجبور في كل ما يجري عليه، والتكليف جبر، والجزاء الأخروي جبر[1].

رأي القدريين والمعتزلة: يأتي رأي القدريين والمعتزلة على النقيض من مذهب الجبرية، حيث يرى المعتزلة، أن في مذهب الجبرية إخلال بالعدل الإلهي، فليس من العدل في نظر المعتزلة أن يخلق الله المعصية في العبد ثم يعاقبه عليها، و لا أن يخلق الطاعة فيه ثم يثيبه عليها، وإنما العدل أن يجزيه على فعله، ثوابا وعقابا، لا على فعل غيره فيه، ومن هنا قالوا إن الله خلق في العبد القدرة، وأنه بهذه القدرة يخلق أفعاله الاختيارية خيرا

---

١ – شرح العقيدة الطحاوية، المرجع السابق ص٤٣٣

كانت أو شرا، ويختارها بمشيئته، فلا تتعلق بها مشيئة الله عز وجل وقدرته، لاخلقا ولا اختيارا.

يقول القاضي عبد الجبار: إن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنهم المحدثون لها[١].

رأي الأشاعرة: لقد أراد الأشاعرة في مسألة القدر وأفعال العباد حلا وسطا بين الجبرية من جهة والقدريين المعتزلة من جهة أخرى فجاؤوا بنظرية الكسب، وخلاصة مذهبهم في هذه المسألة، هي أن أفعال العباد مخلوقة لله، وليس للإنسان فيها غير اكتسابها، أي أن الفاعل الحقيقي هو الله، وما الإنسان إلا مكتسب للفعل الذي أحدثه الله على يد هذا الإنسان، والكسب هو تعلق قدرة العبد وإرادته بالفعل المقدور المحدث من الله على الحقيقة[٢]. ويشير بعض الباحثين إلى أن نظرية الكسب تؤول إلى الجبر وقد صرح د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي بذلك في قوله: أراد الأشاعرة هنا أن يوفقوا بين الجبرية والقدرية، فجاؤوا بنظرية الكسب، وهي في مآلها جبرية لأنها تنفي أي قدرة للعبد أو تأثير، أما حقيقتها النظرية الفلسفية عجز الأشاعرة أنفسهم عن فهمها، فضلا عن إفهامها لغيرهم[٣].

---

١ – شرح الأصول الخمسة ص:٢٢٣

٢ – للتوسع في نظرية الكسب وما أورده الأشاعرة من حجج وردود على الاعتراضات، راجع كتاب اللمع لأبي الحسن الأشعري ص٣٨ –٣٩

٣ – مناهج الأشاعرة في العقيدة ، ص٢١

مذهب أهل السنة والجماعة في أفعال العباد:

يرى أهل السنة والجماعة أن أفعال العباد الاختيارية تسند إليهم حقيقة والله خالقهم وخالق أفعالهم، وهذا هو الذي تدل عليه الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة.

فمن الآيات القرآنية قوله تعالى: {الله خالق كل شيء}[١]، ووجه الدلالة من الآية على أن أفعال العباد مخلوقة قوله تعالى{خالق كل شيء} فهي داخلة في شيء فتكون حينئذ مخلوقة.

وقال تعالى{ والله خلقكم وما تعملون}[٢]، قال ابن جرير رحمه الله في قوله تعالى {وما تعملون}: «وجهان، أحدهما: أن يكون قوله: «ما» بمعنى المصدر، فيكون معنى الكلام حينئذ والله خلقكم وعملكم، والآخر أن يكون بمعنى الذي، فيكون معنى الكلام عند ذلك: والله خلقكم والذي تعملون، أي والذي تعملون منه الأصنام،وهو الخشب والنحاس والأشياء التي كانوا ينحتون منها أصنامهم.

ورجح القول الثاني ابن القيم رحمه الله[٣]،

وقال تعالى: { وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة}[٤].

---

١ – سورة الزمر الآية ٦٢

٢ – سورة الصافات الآية ٩٦

٣ – شفاء العليل(١/١٥٧)

٤ – سورة القصص الآية: ٦٨

وقد ورد في السنة النبوية المطهرة عن النبيﷺ قوله: «الله يصنع كل صانع وصنعته»[١].

يقول شيخ الإسلام بن تيمية: والعباد فاعلون حقيقة، والله خلق أفعالهم، فالعبد هو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلى والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خلقهم وإرادتهم، كما قال تعالى{لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين}[٢].

وقد تناول العلامة المعصومي –رحمه الله– هذه المسألة وقرر فيها مذهب أهل السنة والجماعة، وفق الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة حيث قال: «إن الله تعالى خالق لأفعال العباد، و أنما الكسب منهم و الخالق هو الله، و هو سبحانه خالق الإيمان و الكفر و الطاعة و العصيان الكسب من العباد، وإنما الجزاء على الكسب {وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين}، لقول الله تعالى في سورة الصافات{والله خلقكم وما تعملون} وفي سورة الزمر { الله خالق كل شيء و هو على كل شيء وكيل}[٣].

---

١ – أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص٣٩ وابن أبي عاصم في السنة ١٥٨/١

٢ – شرح العقيدة الواسطية للهراس ص ١٤٩–١٥١ والآيتان من سورة التكوير ٢٨–٢٩

٣ –حبل الشرع المتين ص: ٣٥

المطلب الرابع : الإيمان بعموم القدر و الرضا به

إن الإيمان بعموم القدر هو مذهب أهل السنة والجماعة ومعنى ذلك أن كل ما يقع من خير و شر[١]، كفر أو إيمان طاعة كان أو معصية إنما هو مراد الله تعالى داخل في قضائه وقدره، ولا يتنافى هذا، أعني إرادة الله للكفر والمعاصي قدرا وكونا مع كونه سبحانه لا يحبها ولا يرضاها، ولايأمر بها، بل ينهى عنها لأن مفهوم الإرادة هو التخصيص والترجيح وهذا يخالف معنى الأمر والمحبة والرضا، و مذهب أهل السنة، هو أن الله تعالى وإن كان يريد المعاصي قدرا فهو لايحبها ولايرضاها ولايأمر بها بل يبغضها ويسخطها وينهى عنها، وهذا قول السلف قاطبة فيقولون ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن[٢].

وهذا هو ماصرح به العلامة المعصومي رحمه الله حيث قال«إن أي شيء جرى ويجري في الخلق فهو بتقدير الله تعالى وحكمه وقضائه وإرادته ومن أنكر القدر فهو كافر بالله العظيم لقوله تعالى{إنا كل شيء خلقناه بقدر وما

١ – إذا قدر الله على الإنسان شرا فإنما هو شر بالنسبة للإنسان نفسه بسبب ذنوبه وجهله، وأما بالنسبة إلى الله عز وجل فإن ذلك خير محض لأنه جار على مقتضى حكمته وعدله، وهذا هو الذي تؤيده الأدلة ، وهو قول أهل السنة ، فكل ما يبتلى به العبد من الذنوب فهي عقوبة له على ذنوب قبلها، فالذنب يكسب الذنب، انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٤٩٧، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٦٣/٨

٢ – للتوسع في هذا الموضوع راجع شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ١١٦–١١٧

أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر}[١] ولقوله عز وجل { الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا}([٢])».

وبعد أن أورد رحمه الله جملة من النصوص كلها تؤكد وتبين مذهب السلف ومعناه أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، « وأن القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر فقد استمسك بالعروة الوثقى»([٣])، قال: روى أبو داوود عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال «القدرية مجوس[٤] هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم»[٥].

---

١ – سورة القمر، الآية: ٤٩–٥٠.

٢ – حبل الشرع المتين ص ٤١ والآية رقم ٢ من سورة الفرقان

٣ – هذا النص منقول عن ابن عباس رضي الله عنه انظر الشريعة للآجري ص:

٤ – قال الخطابي : إنما جعلهم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس، في قولهم بالأصلين، وهما النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة، فصاروا ثانوية وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله عز وجل والشر إلى غيره، والله سبحانه خالق الخير والشر لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته وخلقه الشر شرا في الحكمة كخلقه الخير خيرا والأمران معا مضافان إليه خلقا وإيجادا وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا، راجع معالم السنن مع سنن أبي داوود ٦٦/٥ .

٥ – حديث القدرية مجوس هذه الأمة أخرجه أبو داوود في سننه ج٤/ص٢٢٢، مراجعة وضبط وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية بيروت(د.ت)، وابن ماجه في سننه ج١، ص: ٣٥ حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية بيروت (د.ت)، والحاكم وصححه على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي لكن قالا إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر انظر المستدرك على الصحيحين ج١ ص: ٨٥ وبذيله التلخيص للحافظ

وذكر المعصومي رحمه الله الهدى والضلال والمشيئة ، وقال: «إن الله تعالى يهدي من يشاء ويعصم ويعافي ويعطي الثواب ويدخل الجنة فضلا ولطفا ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي ويعذب ويدخل النار عدلا وقسطا لقول الله تعالى{و الذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله و من يشأ يجعله على صراط مستقيم}[1] وقوله عز وجل{وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيزالحكيم}[2] ثم يبين رحمه الله أن هذا المعنى الذي أورد هو الذي انعقد عليه الإجماع من كافة المسلمين من أهل السنة»[3].

وأما الرضا بقضاء الله وقدره فقد حصل فيه إشكال عند أهل العلم واختلفوا في حكمه، فقال بعضهم بوجوبه، وقال آخرون باستحبابه لأن

الذهبي ، قال الحافظ ابن حجر رجاله رجال الصحيح لكن في سماع أبي حازم هذا واسمه سلمة بن دينار عن ابن عمر نظر وجزم المنذري بأنه لم يسمع منه وقال أبو الحسن بن قطان قد أدركه وكان معه بالمدينة فهو متصل على رأي مسلم، وهذا الإسناد أقوى من الأول وهو من شرط الحسن»، انظر أجوبة الحافظ بن حجر على رسالة القزويني مطبوعة في آخر الجزء الأول من مرقاة المفاتيح لعلي القاري ص ٥٤٠-٥٤١وقال الألباني «إسناده ضعيف لكن له طرق يتقوى بها» انظر تخريجه لهذا الحديث في شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، ص: ٣٠٤، هامش رقم ٢.

١ – سورة الأنعام، الآية: ٣٩.

٢ – سورة ابراهيم، الآية: ٤.

٣ – حبل الشرع المتين ص ٤١-٤٢

العباد غير مأمورين بالرضا بكل ما يقضيه الله ويقدره، حيث لم يـرد بـذلك كتاب ولا سنة(١)، بل إن هذا الأمر فيه تفصيل(٢)

---

١ – شرح العقيدة الطحاوية : ٢٥٨، وانظر منهاج السنة، ٣/ ٢٠٥ والاستقامة ٢/١٢٥ –١٢٦

٢ – فصل شيخ الإسلام ابن تيمية الكلام في هذه المسألة وهي: هل يجب الرضا بكل ما قدره الله حيث قال في قصيدته التائية في القدر:

وأما رضانا بالقضاء فإنّما أمرنا بان نرضى بمثل المصيبة

كسُقم وفقر ثم ذل وغربة وما كان من مؤذ بدون جريمة

فأما الأفاعيل التي كرهت لنا فلا نص يأتي في رضاها بطاعة

وقد قال قوم من أولي العلم لا رضا بفعل المعاصي والذنوب الكبيرة

وقال فريق نرتضي بقضائه ولا نرتضي المقضي أقبح خصلة

وقال فريق نرتضي بإضافة إليه ومافينا فنلقى بسخطة

كما أنها للرب خلق وأنها لمخلوقه ليست كفعل الغريزة

فنـرضى مـن الوجـه الـذي هـو خلقـه ونسخـط من وجـه اكتسـاب الخطيئـة

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في شرح هذه الأبيات: «يعني إذا أورد المورد علينا أنه يجب الرضا بقضاء الله – يعني والمعاصي من قضاء الله – فقد أجاب الشيخ –يعني شيخ الإسلام– بأربعة أجوبة، كل واحد منها كاف شاف فكيف إذا اجتمعت؟

أحدها : أن الذي امرنا أن نرضى به المصائب دون المعائب، فإذا أصبنا بمرض أو فقر أو نحوهما من حصول مكروه أو فقد محبوب، فيجب علينا الصبر واختلف في وجوب الرضا، والصحيح استحبابه، لأنه لم يثبت ورود الأمر به على وجه الوجوب، لتعذره على أكثر النفوس، لأن الصبر حبس النفس عن التسخط، واللسان عن الشكوى، والأعضاء عن عملها بمقتضى السخط من نتف الشعر وشق الجيوب وحثو التراب على الرأس ونحوها وذلك واجب مقدور.

وقد أورد المعصومي رحمه الله هذه المسألة وذكرأن التسليم لأمر الله تعالى واجب، وقال: «إن الرضا بقضاء الله وقدره والتسليم لأمره سبحانه واجب[1]

أما الرضا الذي هو مع ذلك طمأنينة القلب عند المصيبة، وأن لايكون فيه تمني أنها ماكانت، فهذا صعب جدا على أكثر الخلق،فلهذا لم يوجبه الله ولارسوله، وإنما هو من الدرجات العالية وهو مأمور به أمر استحباب.

وأما الرضا بالذنوب والمعائب فلم نؤمر بالرضا بها ولم يات نص صحيح أو ضعيف في الأمر بها، فأين هذا من ذلك؟

الجواب الثاني: ما قاله طائفة من أهل العلم أن الله لم يرض لنا أن نكفر ونعصي فعلينا ان نوافق ربنا في رضاه، وسخطه، قال تعالى{إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم} سورة الزمر الآية ٧.

فالدين: موافقة ربنا في كراهة الكفر والفسوق والعصيان مع تركها، وموافقته في محبة الشكر والإيمان والطاعة لنا مع فعلها.

الجواب الثالث: أن القضاء غير المقضي، فنرضى بالقضاء لأنه فعله تعالى، وأما المقضى الذي هو فعل العبد فينقسم إلى أقسام كثيرة: الإيمان والطاعة، علينا الرضا بها، والكفر والمعصية، لا يحل لنا الرضا بها، بل علينا أن نكرهها، ونفعل الأسباب التي ترفعها من التوبة، والاستغفار والحسنات الماحية، وإقامة الحد والتعزير على من فعلها، والمباحات مستوية الطرفين.

الجواب الرابع: أن الشر والمعاصي تختلف إضافتها فهي من الله خلقا وتقدير وتدبيرا، وهي من العبد فعلا وتركا، فحيث أضيفت إلى الله – قضاء وقدرا – نرضى بها من هذا الوجه وحيث أضيفت إلى العبد،نسخطها، ونسعى بإزالتها بحسب مقدورنا.

راجع الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل مشكلة القدرية.ص ٥١– ٥٣، وانظر إلى مجموع الفتاوى ٢٥٣/٨، ومناهج السنة٢٠٣/٣ –٢٠٩،والاستقامة ٧٣/٢–٧٦،وشرح الطحاوية ص٢٥٨،

١ – هذه المسألة أعني هل يجب بكل ما قدره الله تعالى تقدم كلام العلماء فيها بالتفصيل قبل قليل من بين الأقوال التي وردت في الإجابة على هذا الإشكال. هو أن القضاء غير المقضي فيجب الرضا بالقضاء لأنه فعله تعالى.

فلزوم التسليم دين المرسلين وعباد الله المؤمنين الصالحين فمن لم يرض بقضاء الله تعالى ولم يسلم لأمر الله تعالى فهو كافر بالله العظيم لقوله تعالى {إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين}[1] ولقوله عز وجل {قل إن هدى الله هو الهدى وأمرت أن أسلم لرب العالمين}[2].

وورد في الحديث «خمس من الإيمان من لم يكن فيه شيء منهن فلا إيمان له التسليم لأمر الله والرضا بقضاء الله والتفويض والتوكل على الله تبارك وتعالى والصبر عند الصدمة الأولى»[3] وعلى ذلك انعقد الإجماع من كافة المسلمين [4].

وبما عرضنا له من نصوص تبين لنا منهج الشيخ المعصومي رحمه الله ومعتقده في هذا الركن من أركان الإيمان، وسنرى في الباب الآتي إن شاء الله تعالى موقفه من البدعة، وبعض الفرق الضالة، وبالله تعالى التوفيق.

---

١ – سورة البقرة، الآية: ١٣١

٢ – سورة الأنعام، الآية:

٣ – السيوطي في الصغير ص

٤ – حبل الشرع المتين، ص: ١١٢

الباب الرابع:

موقفه من البدعة وبعض الفرق الضالة والشيوعية

و يشتمل على أربعة فصول

الفصل الأول:

موقفه من البدعة [1] وآثارها

إن الدارس لحياة العلامة المعصومي – رحمه الله – وفكره يرى أن موقفه من البدع وأهلها يمثل منهج أهل السنة والجماعة فيما عرف عنهم من كراهية للبدع، وتحذيرهم منها[2]، فرغم أنه رحمه الله عاش مدة من حياته

---

١ – أبدع الشيء اخترعه لا على مثال، والبدعة بالكسر «الحدث في الدين بعد الإكمال، أو ما استحدث بعد النبي ﷺ من الأهواء والأعمال»، القاموس المحيط للفيروز أبادي ص ٩٠٦، ومختار الصحاح لزين الدين الرازي ص ٤٣–٤٤، وعرف الشاطبي البدعة بقوله « البدعة ويسمى فاعلها مبتدعا عبارة عن طريق في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بها المبالغة في التعبد لله عز وجل»، الاعتصام ٣٧/١ ، دار المعارف بيروت، وعرفها الجرجاني بقوله: «هي الفعلة المخالفة للسنة ، سميت البدعة لأن قائلها ابتدعهامن غير مقال إمام وهي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون، ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي» ، التعريفات ص: ٦٢

٢ – لقد اشتهر عن أهل السنة على مر العصور حب الاتباع وكراهية الابتداع والتحذير منه وذلك اعتمادا على الأدلة التي تدل على وجوب الاتباع والنهي عن البدعة، وقد جاءت النصوص الكثيرة في كتاب الله تعالى وسنة رسول صلى الله عليه التي تدل علىوجوب الاتباع والنهي عن البدع ومحدثات الأمور، منها قوله تعالى{ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا} سورة الحشر الآية ٧، وقوله تعالى{ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون} سورة الأنعام الآية ١٥٣.

وأما الأحاديث في هذا الموضوع فكثيرة جدا منها حديث العرباض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب،

في بيئة سادت فيها البدع ، وانتشرت فيها الطرق الصوفية وخرافاتها، وبلغ انتشار المقولات الفلسفية في ذلك الوقت إنتشاراً واسعاً، فقد كان متمسكا بالكتاب والسنة واقفا عند منهج السلف في فهم الإسلام و تطبيقه.ومقتفيا لآثار علماء السنة الذين بحثوا هذا الموضوع وصنفوا فيه[1]. وردوا على المنحرفين فيه، فقد لفظ علم الكلام[2] المنطقي وحرم الاشتغال بالفلسفة[1]

فقال قائل: يارسول الله كأنها موعظة فأوصنا فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجد، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة» أخرجه أحمد في مسنده ١٢٦/٤ وأبو داوود ١٣/٥ والترمذي ٤٣/٥، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني٦٤٧/٢ رقم ٩٣٧. ومنها حديث أنس رضي الله عنه قال جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبيصلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر الله له ما تقدم من دنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلى الليل أبدا، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر أنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه فقال: «أنتم الذين قلتم كذا و كذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكن أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني. صحيح البخاري مع الفتح ٥/٩ برقم ٥٠٦٣ وصحيح مسلم ١٠٢٠/٢ برقم ١٤٠١.

فهذه النصوص من الكتاب والسنة تدل على وجوب الاتباع والابتعاد عن البدع ومحدثات الأمور

١ – صنفت كتب كثيرة قديما وحديثا في بيان البدع والرد عليها ، منها «البدع والنهي عنها» لابن وضاح و«الحوادث والبدع » للطرطوشي ،و«الاعتصام» للشاطبي ، و «الباعث على إنكار البدع والحوادث» لأبي شامة وغيرها كثير.

٢ –علم الكلام عرفه ابن خلدون بأنه « علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة»، المقدمة ص ٤٥٨ ونقل الملا علي القاري عن سعد الدين التفتازاني أنه عرف علم الكلام «بأنه العلم بالعقائد الدينية عن

ووقف منهما ومن أهلهما موقفا معارضا وأنكر على الصوفية[٢]، وبين مخالفتها للسنة ورد على خرافاتها خاصة فيما عندهم من شركيات تتعلق بدعاء غير الله تعالى والإستغاثة به وصرف الأمور التي هي من خصائص الله عز وجل لغيره من مخلوقاته سواء كانوا أحياء أم أمواتا و غير ذلك، وسنذكر من كلامه ما يبرهن على ما نحن بصدده.

قال رحمه الله، «وقد أكمل الله هذا الدين وأتمه تماما فمن ألحق به ما لم يكن في عصر التنزيل فقد كذب الله ورسوله، وارتكب إثما كبيرا وخسر في الدارين خسرانا مبينا، فعمل المبتدع مردود عليه وإن ظنه حقا وأحسنه صنعا فياخسارة المبتدع المغرور المفتون الذي قد غره هواه ونفسه أوشيطانه، فإنه قد ضيع عمره، فيا خسارة من هذا حاله، فإنه سيطرد من حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم من على الكوثر»[٣]. وفي هذا المعنى يقول رحمه الله تعالى«وميزان هذا المفتاح – يعني مفتاح الجنة– ومعياره إنما هو ماجاء به

الأدلة اليقينية » شرح الفقه الأكبر ص ١٦٩، وعرفه بداه بن البوصيري الشنقيطي«بقوله هو ما تنصب فيه الأدلة العقلية وينقل فيه أقوال الفلاسفة» ، الدر النضيد في علم الكلام وحقيقة التوحيد ص ٩ مخطوط شخصي، وانظر شرح الفقه الأكبر لعلي القاري ص ١٦٩، ٢١٩.

١ – يقول المعصومي رحمه الله «إن الاشتغال بالعلوم الفلسفية ومنطق اليونان لايجوز وكذا الاشتغال بعلم لاينفع لا للدين ولا للدنيا فكل ذلك مضيع للأوقات العزيزة، فيجب الاحتراز إلا بقدر الضرورة » عقد الجوهر ص٢٠٢

٢ –سيأتي موقفه من الصوفية في المبحث الآتي إن شاء الله

٣ – مفتاح الجنة ص ٧

سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كتاب الله تعالى القرآن، وسنة رسول الله الصحيحة الثابتة بالعيان في دواوين أهل العلم والعرفان.

وأما أهل البدعة فقد زادوا على ما جاء به رسول الله بأشياء: عقيدة وكما وكيفا، باستحسان عقولهم القاصرة بل الفاسدة، أو قياساتهم الكاسدة الباطلة فبعضهم كبر المفتاح وضخمه وبعضهم زاده أسنانا أو عوجها بحيث صار المفتاح لا يوافق القفل، فلا ينفتح القفل ولاالباب أصلا وبعضه قد ينفتح بغاية التعب والمعالجات الكثيرة، فلو أبقى المفتاح والقفل على ما هو عليه لانفتح القفل من أول الأمر، كما ورد في شأن السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة دار السلام دخولا أوليا بلا عذاب ولا حساب[1] ولكن المبتدعين سولت لهم أنفسهم ، واعتقدوا كلما رأوه حسنا دينا وثوابا ، والحال أن الدين ما يدان به الإنسان ويطلب أجره من مالك يوم الدين والأجر والثواب عند ما لك يوم الدين لا عند أحد ممن سواه أصلا[2]».

ثم يستطرد رحمه الله في هذا الموضوع ويزيده بيانا وتوضيحا بقوله«وحيث ثبت أن الأمر هكذا، فليس لأحد أن يدين دينا أو يشرع شرعا ويقول هذا فرض أو سنة أو مستحب ، أو له فضل وثواب إلا إذا ثبت وصح عن رسول الله ﷺ لأن رسول الله لا ينطق عن هواه بل عن وحي رب العالمين الذي هو مالك يوم الدين فمن أثبت عبادة أو طاعة أو ذكرا لم ترد تلك

---

١ - رواه البخاري ٣٥٩/١١ ومسلم ٢١٦ عن أبي هريرة ، وفي الباب عن سهل ابن سعد وأبي أمامة وغيرهما

٢ - مفتاح الجنة ص ٨-٩

العبادات أو الأذكار عن رسول الله ﷺ ومع ذلك اعتقد أن في ذلك أجرا وثوابا فقد أتى بدعوى بلا برهان، وذا باطل قطعا بل إنه شرك أو بهتان لأنه تشريع بلا سلطان كما هو غير خفي على كل من آتاه الله عقلا سليما وفهما مستقيما.

ولذا حذرنا الله تعالى ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وكذا خلفاؤه الراشدون رضي الله عنهم عن الابتداع في الدين وأوعد المبتدعين وعيدا شديدا ، عصمنا الله تعالى عن الشرك وعن البدع في الدين[1]».

وقد تحدث رحمه الله عن أسباب دخول البدع وانتشارها بين المسلمين، مبينا أنها تعود إلى أمرين اثنين حيث قال: «اعلم أن سبب دخول البدع في الدين من وجهين:

أحدهما: القياس وحسن الظن: فإن كثيرا من الصالحين حسنوا ظنهم فاخترعوا أشياء وقاسوا أشياء بأشياء والحال أن القياس لا مدخل له في الأمور الدينية التعبدية لأن مبنى العبادات على الإتباع لا على الابتداع، فأخطأوا في قياسهم وحسن ظنهم وهم معذورون في ذلك لحسن قصدهم.

الوجه الثاني: أن كثيرا من أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والمشركين والمجوس وغيرهم لما رأوا شوكة الإسلام ودولة أهله قد زادت قوة ونموا وظهورا وشيوعا ، وعجزوا عن المقاومة الظاهرية أدخلوا أنفسهم في الإسلام، وتزيوا بزي المسلمين، وزيادة على ذلك أظهروا الزهد والتقشف

١ـ المصدر السابق ٩-١٠

والعلم والورع والتقوى ، وانتشروا في بلاد المسلمين وساكنوهم فتمكنوا من أن يدخلوا في المسلمين ما أمكنهم من الشركيات والضلالات[١]».

وذكر رحمه الله من جملة البدع تأثر بعض العلماء بالفلسفة وآثار ذلك على الفكر الإسلامي حيث قال«وبعضهم أي المبتدعة، كانوا علماء ماهرين في علوم دينهم وحكماء متفلسفين وكانوا إنما علموا من الإسلام بعض الظواهر كبني الإسلام على خمس...«الحديث»[٢] وليس لهم علم بحقيقة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فخلطوا علومهم الأولى بالعلوم الإسلامية ، فتفلسفوا في الأمور الدينية، فمزجوا ذلك بهذا وهم لا يشعرون بقبح ما فعلوا لقلة علمهم بمقاصد الشريعة فجاء من بعدهم وأخذوا بالممزوج وشاع ذلك وذاع إلى أن آل الأمر إلى ما ترى من الشركيات والبدعيات والضلالات والترهات وسفاسف الخيالات..»[٣].

وفي الحقيقة أن من يطالع في مؤلفات العلامة المعصومي يتبين له بجلاء مدى جهوده رحمه الله في الوقوف ضد البدع ومقاومتها والرد عليها بالحجة والبراهين القاطعة النقلية والعقلية وفق منهج السلف الصالح في فهم نصوص الكتاب والسنة وتطبيقها، ومن الأمثلة على ذلك – والأمثلة كثيرة– ما نص

---

١ مفتاح الجنة ص ١٣-١٤

٢ – الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٤٥/١ ونصه: بتمامه «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإيقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا».

٣ – مفتاح الجنة، ص:٣٢.

عليـه في كتابـه«أجوبـة المسائل الثمـان في السـنة والبدعـة والكفـر والإيمـان» وسنذكر من كلامه رحمـه الله مـا يزيـد هـذا الموضـوع بيانـا وتوضـيحا لموقفه السلفي المتميز بالجرأة والوضـوح في هـذا المجـال حيـث قـال: «إن الله تعـالى أرسل محمدا بالتوحيد الخالص والدعوة إليه، ونفي الشرك والكفـر والتحـذير منه فهو صلى الله عليه وسلم رسول الله إلى النا س كافـة يـبين لنـا مـراد الله وما يرضيه وما يسخطه والشرك والكفـر مـن أكـبر مـا يسـخط الله ويغضـبه ، وكل ما أمر الله بفعله فهو مما يرضيه ، وكل مانهى عنه فهو مما يسخطه.

وقد قال تعالى{أطيعوا الله وأطيعوا الرسـول}[1] ،و{ مـن يطـع الرسـول فقد أطاع الله}[2] {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله}[3].

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تركت فيكم شيئين أو – أمرين – لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسـوله» رواه مالـك في موطئـه مرسلا[4]

١– سورة النساء، الآية: ٥٩

٢ –سورة النساء، الآية: ٨٠

٣ – آل عمران :٣١

٤ – برقم ١٦١٩

وقال الحافظ ابن عبد البر في التمهيد (٣٣١/٢٤) « وهذا محفوظ معروف مشهور عن النبي صلى الله عليه و سلم عند أهل العلم شهرة يكاد يستغنى بها عن الإسناد وروي في ذلك من أخبار الآحاد أحاديث من أحاديث أبي هريرة وعمرو بن عوف.

وقد حسن الحديث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في تعليقه على المشكاة برقم ١٨٦ وكذا الشيخ أحمد حسن الدهلوي في تنقيح الرواة (٤٤/١) ، كما في لمعات التنقيح ٢٤٤/١

وكذا في الاعتصام من مشكاة المصابيح[1] وفي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كبيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها و عضوا عليها بالنواجد ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[2]. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن بني إسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة» قالوا من هم؟ يارسول الله قال ما أنا عليه اليوم [وفي لفظ]: وهي الجماعة[3].

وبعد هذه الجملة من الأحاديث الصحيحة التي أوردها المعصومي رحمه الله في الحض على اتباع السنة و التحذير من البدع والمخالفات واصل حديثه في بيان هذا الموضوع مع سهولة في التعبير وجرأة في الصدع بالحق – كعادته– وقال«فالخير كل الخير إنما هو في التمسك والعمل بالكتاب والسنة، وما أجمع عليه سلف هذه الأمة، والاجتناب كل الاجتناب عن المحدثات في الاعتقادات والعبادات ، لأن كل الدين قد كمل تمام الكمال ،

١ – انظر: مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي أبي عبد الله محمد بن عيد ص٣١

٢– رواه أحمد (١٢٦/٤) وأبو داوود (٤٦٠٧)والترمذي ٢٦٧٦، وابن ماجه ٤٣ و ٤٤ وهو حديث صحيح انظر السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني ٧١٧/٢.

٣ أجوبة المسائل الثمان ص ٢٨–٣١ والحديث أخرجه الترمذي في سننه وأوده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٠٣–٢٠٤

بشهادة الله ذي الجلال وحكمه عز وجل بذلك حيث قال: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا }[١] فمن يخترع في الدين شيئا لم يكن في عصر النبي صلى الله عليه ولا الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، فقد عارض الله ورسوله وظن الدين ناقصا ، فجاء بما يتممه ويكمله ، وهذا كفر و ضلال، فلهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد»[٢] أي مردود. وكل واحد ممن يحفظ عنه الدين والعلم من أئمة المسلمين والسلف الصالحين قد ثبت تمسكه بظاهر الكتاب والسنة الثابتة ويرغب الناس إلى التمسك بهما.

كما ثبت عن الإمام أبي حنيفة النعمان ، ومالك بن أنس والشافعي وأحمد، رضي الله عنهم وكلهم يحذرون من البدعة في الدين ، وعن التقليد لغير المعصوم ، والمعصوم إنما هو النبي صلى الله عليه وسلم وحده ، أما غيره فغير معصوم أيا كان، فيؤخذ من قوله ما لايخالف الكتاب والسنة ويترك ما خالفهما أيا كان »[٣]

وقال –رحمه الله – « فكل من يزيد عقيدة أو حكما من غير استناد إلى كتاب الله، أو كلام المعصوم، فهو من الذين يقولون على الله بغير علم، كالزائرات للقبور، وما يأتينه من البدع والمنكرات باسم الدين، وكتشييع الجنازة بقراءة البردة ونحوها بالنغمة المعروفة ... و لا شك أن كثيرا من

---

١ – سورة المائدة الآية ٣

٢ – تقدم تخيجه في ص من هذا البحث

٣– أجوبة المسائل الثمان ص ٣١–٣٣

البدع في العقائد والأحكام قد دخلت على المسلمين بتساهل رؤساء الدين وتوهمهم أنها تقوي أصل العقيدة، وتخضع العامة لسلطان الدين، أو لسلطانهم المستند إلى الدين»[١].

وبهذا يظهر أنه – رحمه الله- كان من العلماء المحققين المناوئين للبدعة وأهلها المتمسكين بالكتاب والسنة وما درج عليه سلف الأمة وعلماء السنة، فقد بين أن الحق هو ما دل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وما خالف ذلك فهو باطل مردود على صاحبه.

وهو في ذلك كله كان مستنيرا بمواقف العلماء المحققين العارفين بالسنة المترسمين لخطى السلف الصالح على مر العصور ، وهذا هو دأبه ومنهجه الذي تعود عليه في جميع مؤلفاته، يقول في كتابه مفتاح الجنة مركزا على هذا المعنى ومحذرا من التقليد والتعصب «فعليك بمطالعة كتب العلماء المحققين وتفهم ما فيها واستعمال العقل وترك التقليد والتعصب لمذهب أو فرقة أوطريقة فإن التقليد لغير المعصوم صادر عن عمى البصيرة، ولا تغتر بترهات هؤلاء وأوهامهم ، بل عليك بالأخذ والعمل بكل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فلن تهلك أبدا ولن تضل سرمدا بحول الله وقوته»[٢].

والحقيقة أن العلامة المعصومي رحمه الله كان يحب الإتباع ويكره الابتداع ويحذر منه ويرد على أهله بردود علمية وقوية وجريئة في ضوء الأدلة

---

١ – أوضح البرهان ص ٦٣

٢ مفتاح الجنة ص ١٥

الشرعية بمنهج علمي رصين خال من الغلو والتقصير ، ويقوم على التسليم بأنه لايجوز لأي أحد كائنا من كان أن يزيد في الدين بعدما أكمله الله سبحانه وتعالى، ومن زاد فيه فقد تعدى وظلم، يقول في بيانه لهذا المعنى في كتابه مفتاح الجنة، الذي تناول فيه هذا الموضوع بالتفصيل، «اعلم أن أسنان المفتاح قد كملت وبين عددها وقدرها ووزنها وشكلها كما وكيفا، بواسطةمن أنزل عليه الكتاب وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لأحد بحال من الأحوال أن يزيد على ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ومن زاد شيئا فقد تعدى وظلم ، فلهذا قد ورد التهديد الشديد والوعيد الأكيد على من يزيد في الدين شيئا وإنه قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه مردود عليه[1]، ولاشك أن خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار[2].

وقد قال تعالى ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾[3]

---

١ – تقدم بيان ذلك وتخريج الحديث فيه وهو قوله ﷺ «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» انظر: ص من هذا البحث.

٢ – رواه مسلم في صحيحه ١١/٣ إلى قوله «وكل محدثة بدعة» عن جابر ، وزاد عند النسائي ٢٣٤/١، «وكل ضلالة في النار» وإسناده صحيح وانظر خطبة الحاجة ص ٢٦ ، لمحمد نا صر الدين الألباني رحمه الله

٣ – سورة الحشر الآية ٧

وقال الله عز وجل: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله}[١]

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، «لا يكون أحدكم مؤمنا حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»[٢]. وقد قال صلى الله عليه وسلم «من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشديين المهديين عضوا عليها بالنواجذ»[٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: «ستفترق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة ، قيل من هم يارسول الله؟ قال هم على ما أنا عليه وأصحابي»[٤] وغيرها من الآيات والأحاديث الصحاح والحسان [٥].

وقد ذكر رحمه الله أمثلة كثيرة من آثار البدعة على الطوائف المبتدعة المنحرفة عن النهج القويم ، وحذر من ذلك كله أشد التحذير وحكم على

---

١ – سورة آل عمران الآية ٣١

٢ رواه الخطيب البغدادي في تاريخه٣٦٩/٤ والبغوي في شرح السنة ، ٢١٢/١ ، وابن الجوزي في ذم الهوى ص ١٨ ، وضعفه ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم و الحكم.

٣ – هذه رواية بالمعنى لحديث سنده صحييح رواه أحمد ٢٢٦/٤ –٢٢٧ وأبو داوود (٤٦٠٧) والترمذي (٥٦٧٦).

٤ – رواه الطبراني في الصغير ٢٥٦/١ والترمذي (٢٦٤١) والحاكم (١٢٦/١) ،وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني ٢٠٣-٢٠٤ .

٥ – مفتاح الجنة ص ١٦-١٩

بعضهم بالكفر مثل رئيس الطائفة الحلولية القائلة بوحدة الوجود المعروف بابن عربي[1].

وفي الحقيقة أن الدارس للفكر الإسلامي السلفي عند العلامة المعصومي يلاحظ انه ينكر على المبتدعة ويرد عليهم دائما، ولهذا نراه يرد على أهل بدعة المولد بقوله: «ومن شأن الشيطان أن يأمركم أيها الناس بالسوء ويأمركم أن تتقولوا على الله ما لاتعلمون بأن تحلوا شيئا أو تحرموا شيئا بلا استناد على دليل شرعي من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ مثل عمل الموالد والتقرب إلى الله بها رجاء الثواب، وهذا تقول على الله بلا علم ولا دليل»([2]) وبهذا يتضح موقفه من الموالد.

---

١ – انظر أجوبة المسائل الثمان ص ١٠٨ وابن عربي هو محمد بن علي بن عربي الطائي الأندلسي=

=رحل إلى مكة المكرمة وأقام بها مدة. وصنف فيها كتابه المسمى الفتوحات المكية وله كتاب فصوص الحكم، وفيه أشياء كثيره ظاهرها كفر صريح. قال الذهبي «ومن أردإ تواليفه كتاب الفصوص فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر». ولاريب أن كثيرا من عبارات ابن عربي لها تأويل ، إلا كتاب الفصوص كما يقول الإمام الذهبي وله مصنفات أخرى كثيرة وله ديوان شعر ، وكلام طويل على طريقة التصوف الفلسفي.أقام قبل وفاته مدة طويلة في دمشق ولقي بها إقبالا من بعض الناس وتوفي بها عام ٦٣٨هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٤٨/٢٣–٤٩ ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف و د. محيي هلال السرحان ، والبداية والنهاية لابن كثير ج١٣ ص ١٥٦ وشجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص ١٥٥ طبعة دار الفكر (د.ت).

٢ – تمييز المحظوظين ص٣٢، وأجوبة المسائل الثمان ص١٠٧ وأوضح البرهان ص: ٢٤٧–٢٤٨

قال: «ويدخل في هذه الفرقة يعني المبتدعة والضلال كثير من المنتسبين إلى هذه الأمة كالمجسمة والمعطلة والحلولية ، فليس الله تعالى موصوفا عندهم بأوصاف الكمال، وليس بمستو على العرش بل في كل مكان بذاته، وهو حال في الموجودات، كما يصرح به رئيس الطائفة ابن عربي ومن شاكله»[1].

وقد عقد رحمه الله تعالى فصلا كاملا لطرف من الكلام على البدع والمحدثات في الدين التي تتعلق بالمسجد النبوي الشريف ، فذكر ما استحدثه المبتدعون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاب ذلك واعتبره خطأ ظاهرا بل فاحشا وتغييرا لمعالم الدين وتقليدا لليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان، وقال إن السبب في ذلك يعود إلى إسناد أمور المسلمين إلى غير أهلها.

وساق في ذلك كلاما طويلا نذكر بعضه بنصه حيث قال «اعلم أن المسلمين منذ أسند أمرهم إلى غير أهله من أهل الجهل والهوى والأغراض الفاسدة غيروا شرع الله وخالفوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين، فاتباعا للهوى أو هوسا وتخيلا للسياسة النفسانية قد قلدوا النصارى في كل الشؤون عقيدة وعملا ، فمن جملتها انهم زخرفوا مسجد رسول الله صلى الله وسلم إلى ان جعلوه ككنائس النصارى مزخرفا، مطليا محلى ، والحال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن ذلك .. والحاصل أن أكثر المسلمين ، قد أخطأوا خطأ ظاهرا بل فاحشا».

---

١ – انظر أجوبة المسائل الثمان ص ١٠٧– ١٠٨

ولو كان النبي صلى الله وسلم حيا وشاهد هذا المسجد على هذا الحال لأنكره ولم يدخل فيه حتى يغير وتزال النقوش ويعاد إلى ما كان عليه[١].

وأثناء حديثه رحمه الله عن البدعة ونقده ونقضه لها ورده على أصحابها ذكر كتاب دلائل الخيرات وما ورد فيه من البدع والمنكرات والغلو المنهي عنه في الدين[٢] ومن ذلك أن التمائم تنفع وكذلك ما ورد في الكتاب من الإقسام بالمخلوق ، وفي الرد على هذه البدع والمفتريات قال العلامة المعصومي عند قول صاحب دلائل الخيرات « اللهم صل على محمد ما نفعت التمائم» قال: « لا يخفى أن التمائم وتعليقها قد ورد فيه المنع والنهي عن النبي صلى الله عليه وسلم كما في الأحاديث الصحيحة[٣] وبعضهم عدها شركا وخصوصا إذا كانت بغير القرآن أو بالألفاظ العجمية و غيرها»[٤].

ويذكر المعصومي أثناء رده على كتاب دلائل الخيرات ان مؤلفه قال فيه«ونقسم به عليك» يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي رد الشيخ المعصومي على هذه البدعة الشركية قال: «ومعلوم لكل ذي علم من اهل

١- للتوسع في هذا الموضوع راجع المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية ص ٤٠ وما بعدها

٢ – انظر أجوبة المسائل الثمان ص ٢١، ٨٥، ٩٥، ١١٣، ١٢٤،

٣ – روى الإمام أحمد في مسنده ٢١٩/٤ بإسناد حسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله «من علق تميمة فقد أشرك»

٤ –أجوبة المسائل الثمان ص ٩٣

الإسلام أنه لايجوز الإقسام بالمخلوق لأنه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من حلف بغير الله فقد أشرك »»[١].

وفي حديثه عن الرؤى والإلهامات والخيالات بين رحمه الله للمبتدعة المنحرفة عن النهج القويم انه لا يثبت حكم شرعي إلا بدليل يجوز الاعتماد عليه ، ورد عليهم في هذا المعنى بقوله: «ومحمد صلى الله عليه خاتم النبيين لا نبي بعده، ولم يبق طريق إلى الله تعالى إلا اتباع محمد صلى الله عليه وسلم، فما أمر به من العبادات امر إيجاب أو استحباب، فهو مشروع ومرغوب فيه، وما لم يأمر به ولم يفعله فلايقال إن هذا مستحب أو مشروع إلا بدليل شرعي، ولا يجوز أن تثبت الشريعة بحديث ضعيف، فضلا عن منكر أو موضوع أو كشف أو إلهام أو نوم أو خيال أو آراء الرجال ، لأن الثواب عند الله ولا يعلم أحد ما عند الله وأن في الأمر الفلاني ثوابا إلا بعلم الله ، وذلك لا يكون إلا بواسطة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم»[٢].

وقد عرض المعصومي – رحمه الله– لصور من الشرك تعتبر من آثار البدعة كالاستغاثة والاستعانة بالمخلوق ، ونقل عن الشوكاني في الدر النضيد [٣] أنه لاخلاف في أنه يجوز أن يستغاث بالمخلوق فيما يقدر عليه واما ما لايقدر عليه فلا يجوز أن يستغاث فيه إلا بالله عز وجل ، وفي هذا المعنى

١– المصدر السابق ص٩٤ والحديث رواه أحمد ٢ /٣٤ ، ٨٦ وأبوداوود ٣٢٥١ والترمذي ١٥٣٥ بسند صحيح.

٢ –مفتاح الجنة ص ٣٦–٣٧ وأوضح البرهان ص ٣٨٦ – ٣٨٧، ١٧٨

٣ – انظر هذا الموضوع في الدر النضيد للشوكاني ص ١٤٤ وما يليها

ذكر الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه«إنه لا يستغاث بـي وإنمـا يستغاث بالله»[١]، فمراده صلى الله عليه وسلم أنه لايستغاث به فيما لايقـدر عليه إلا الله تعالى وأما ما يقدر عليه المخلـوق فـلا مـا نـع مـن ذلـك مثـل أن يستغيث المخلوق بالمخلوق ليعينه على حمل حجر. أو يحول بينه وبين عدوه الكافر أو يدفع عنه سبعا صائلا أو لصا أو نحو ذلك. قال وقال أبـو عبـد الله الحليمي[٢] يرحمه الله تعالى «الغياث والمغيث وغيـاث المستغيثين الله تعـالى فالاستغاثة من المخلوق فيما لا يقدر عليه لاتجـوز بـل تكـون كفـرا إذا قامـت عليه الحجة». وأما الاستعانة يقول المعصومي «فهي طلـب العـون ولا خـلاف أنه يجوز أن يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه من امور الـدنيا، كـأن يسـتعين بـه أن يحمـل معـه متاعـه أو يعلـف دابتـه أو يبلـغ رسـالته كمـا في قولـه تعالى{وتعاونوا على البر والتقوى}[٣] وأما ما لايقدر عليه إلا الله جـل جلالـه فلا يستعان فيه إلا به ومنه {إياك نعبد وإياك نستعين}[٤].

---

١ – أخرجه الطبراني في المعجم الكبير كما في مجمع الزوائد ١٥٩/١٠ من حديث عبادة بن الصامت ، قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح غير بن لهيعة وهو حسن الحديث، وقد رواه أحمد بغير هذا السياق.

٢ –الحليمي ٣٣٨–٤٠٣هـ، الحسين بن الحسن بن محمد البخاري الجرجاني فقيه شافعي كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر له المنهاج في شعب الإيمان ، الأعلام ٢٣٥/٢

٣ سورة المائدة الآية ٢٠

٤ – حكم الله الواحد الصمد ص ٣٨–٤٠ والآية من سورة الفاتحة رقم ٥

والواقع أن العلامة المعصومي رحمه الله أسس منهجه العلمي على منهج أهل السنة الخالص من شوائب البدعة، وعاش عمره في الدعوة إليه والدفاع عنه ومحاربة البدعة وأهلها ، ولعل خير برهان على ذلك هو ما عرضنا له بموقفه من البدعة وآثارها فإنه لايدع مجالا للشك في أنه كان يحب الاتباع ويكره الابتداع ويحرس العقيدة السلفية من البدع والفلسفة والضلال ،وكل تعقيد فكري.

وسيأتي في المبحث الآتي إن شاء الله تعالى مايزيد هذا الموضوع بيانا وتوضيحا وذلك أثناء الحديث عن موقفه من الصوفية.

الفصل الثاني:

موقفه من بدعة التصوف والصوفية[١]

لقد عاش العلامة المعصومي رحمه الله فترة من حياته وهو يعتنق الطريقة الصوفية النقشبندية، التي تقدم التعريف بها، وبيان ما فيها من بدع وضلالات وانحرافات، ومعتقدات فاسدة(٢)، غير أنه - رحمه الله- قد تبين له الحق بعد رحلته العلمية التي زار فيها عددا من الأقطار الإسلامية ودرس على كثير من العلماء حيث قرر الرجوع إلى منهج أهل السنة والجماعة وعقيدتهم الصافية، وترك الطرق الصوفية ومناهج المبتدعة كلها وأقام حياته

---

١ - لقد اختلف الناس في نسبة الصوفية فنسبهم شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره إلى لبس الصوف وذهب البعض إلى أن كلمة صوفية يونانية الأصل «صوفيا» بمعنى الحكمة ثم تطورت إلى الشكل العربي «صوفية»، وهناك من نسب الصوفية إلى العصر الجاهلي، كالإمام ابن الجوزي يقول إن قوما في الجاهلية يقال لهم «صوفة» انقطعوا إلى العبادة حول الكعبة.

وقيل إن الصوفية نسبة إلى أهل الصفة الفقراء الزهاد من الصحابة المهاجرين وكانوا يسكنون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من نسب الصوفية إلى الصحابة للبسهم الصوف مثل أبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي اللذين يعتبرهم بعض المتصوفة رائدين للتصوف.

وقال بعض الباحثين أن لفظ صوفي مشتق من صفاء ، ويعني به صفاء القلوب وانشراح الصدور، والصحيح أن النسبة إلى لباس الصوف لاشتهارهم به أول الأمر زهدا وتقشفا، والصوفية تتطور منذ بدايتها وانتسب لها كثير من العلماء وكتبوا فيها، ولا تخلو كتبهم من شحطات. للتوسع في تعريفات التصوف انظر الرسالة القشيرية ٢:٥٥١، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/٥-٧ ومجموع ألفاظ العقيدة لابن عبد الله عامر عبد الله فالح ص :٢٤٨

٢ - انظر ص ٥٢ من هذا البحث

على العبادة الخالية من شوائب البدعة، وجهاد النفس القائم على تعاليم الكتاب والسنة وإيثار الآخرة على الدنيا، والاشتغال بالذكر وتلاوة القرآن والتفقه في الدين.

والدارس لحياته العلمية والفكرية والدينية لايستطيع أن ينكر أو يتجاهل ذلك، وقد تقدم ما يدل على تمسكه بالسنة ومجانبته البدعة ولذلك فإنه أنكر التصوف أيما إنكار واعتبره من البدع والمحدثات في الدين وناصبه العداء و وقف ضده بجرأة وحزم، ومع أن هذا هو منهجه الذي قرره في كتبه و عرف عنه في دروسه ومحاضراته حتى اشتهر به عند العارفين به وبحياته العلمية إلا أن هذا الموضوع قد يحتاج إلى مزيد من البيان، لذلك سوف أتناوله بشيء من التفصيل لأبرز من خلاله حملته على التصوف والصوفية وجرأته في الصدع بالحق، والحث على اتباع النبي ﷺ فيما جاء به من عند الله عز وجل، وفي هذا المعنى يقول: «فاعلم أن الواجب على المسلم في حق النبي ﷺ اتباعه وامتثال أمره، والاحتراز عن ما نهى عنه لقول الله تعالى: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}[1].

وفي نقده للصوفية وكشف عوراتها ذكر مسائل أساسية يقوم عليها الفكر الصوفي، ومنها السلطة الغيبية لمشائخهم حيث قال رحمه الله في ردوده على ضلالاتهم: «إنهم يعظمون قبور مشايخهم تعظيما دينيا مع الاعتقاد بان لهم سلطة غيبية تعلو الأسباب التي ارتبطت بها المسببات لحكمة الله تعالى، بها

---

١ – أجوبة المسائل الثمان، ص: ٦٣ والآية رقم: ٧ من سورة الحشر

يديرون الكون ويتصرفون فيه كما يشاؤون، وأنهم قد تكفلوا بقضاء حوائج أمور دينهم والمستعينين بهم أينما كانوا، وهذا الاعتقاد هو عين اتخاذ الأنداد وهو مخالف للكتاب والسنة(١).

ومن المسائل المهمة التي يقوم عليها الفكر الصوفي، مسألة الإلهام والمنامات، وذلك لأنها من مصادر التلقي عندهم، وقد تناولها العلامة المعصومي عندهم ورد عليها بان الإلهام ليس من أسباب المعرفة بالأحكام الشرعية وذلك أنه لايجوز الاستدلال به على شيء لعدم العصمة وعدم الدليل على جواز الاستدلال به يقول رحمه الله: «إن الإلهام ليس من أسباب المعرفة بالأحكام بشيء عند أهل الحق وكذلك الرؤى في المنام، خصوصا إذا خالفت كتاب وسنة محمد ﷺ»(٢)

وفي أثناء كلامه - رحمه الله - عما تسميه الصوفية الشريعة والحقيقة قال: «وزعمهم أن الشريعة شيء والحقيقة شيء آخر، قبيح وهدم لدين الإسلام، وذلك إذا اقترف أحدهم ذنبا فانكر عليه منكرا قالوا في المجرم إنه من أهل الحقيقية فلا اعتراض عليه، وفي المنكر أنه من أهل الشريعة فلا التفات إليه، وكأنهم يرون أن الله عز وجل أنزل للناس دينين أنه يحاسبهم بوجهين ويعاملهم معاملتين، فحاشا لله ولكتابه ولرسوله فلا طريق لمعرفته عز و جل و الوصول إلى رضوانه غير ما أنزله من البينات و الهدى»(٣)

---

١ - أوضح البرهان ،ص: ٢٤٦ بتصرف

٢ - اوضح البرهان ص ٣٧٨

٣ - أوضح البرهان ص ٢٤٦ -٢٤٧ بتصرف

وأثناء كلام المعصومي رحمه الله على المتصوفة وبيانه لفساد مذهبهم بين أن أصل دخول التصوف في الإسلام له علاقة بدخول أصحاب الملل الأخرى في الدين الإسلامي وما قاموا به من دور في مزج علومهم الأولى قبل إسلامهم التي هي نابعة من ديانات ومذاهب وفلسفات بعيدة عن روح الإسلام والعلوم الإسلامية، وشاع ذلك وذاع.

يقول المعصومي« إلى أن آل الأمر إلى ما ترى من الشركيات والبدعيات والضلالات والترهات وسفاسف الخيالات، كمرابطة صورة الشيخ حين الذكر و المراقبة، والتوجه إلى أرواح الموتى والعكوف على قبورهم والنذر لهم والإستمداد منهم وغير ذلك من الترهات.

فإن كثيرا من أعداء الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم لما دخلوا في الإسلام أظهروا الزهد والتقشف والعلم والورع والتقوى وانتشروا في بلاد المسلمين وساكنوهم فتمكنوا من أن يدخلوا في المسلمين ما أمكنهم من الشركيات والضلالات وسموها طريقة وحقيقة وتصوفا وباطنا[1]»

وفي بيانه رحمه الله لهذا الموضوع ذكر ما يجب أن يستمر عليه المؤمن من التوحيد، وحذر من كل ما ينافي ذلك من الانحرافات الشركية التي وقع فيها وللأسف كثير من المسلمين خاصة أتباع مشايخ الطرق والزوايا الصوفية كاعتقاد التصرف الغيبي لغير الله تعالى، أو أن الأرواح تتصرف أو غير ذلك من الأمور الشركية التي تنقض عرى التوحيد، يقول رحمه الله: «فقائل لاإله

---

١ – مفتاح الجنة ١٣ بتصرف

إلا الله، يجب عليه أن يستمر عليها وعلى موجبها، وألا يبطلها بما ينافيها من الشرك واتخاذ الأنداد، واعتقاد التصرف الغيبي لغير الله، وإلا بطلت ولاتبقى لها منفعة، كما تبطل سائر العبادات بالرياء ونحوه، كما قال تعالى: {لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى}[١]. فلابد من الاستمرار على التوحيد وعلى كل ما يقتضيه التوحيد ولابد من الكفر بالطواغيت وبكل آلهة دون الله كما لايخفى، فمن يقول لاإله إلا الله ثم يقول إن الأرواح تتصرف وتمد، أو يدعو غير الله، أو ينذر لغير الله أو يخاف غير الله أو يرجو غير الله غيبا فقد أبطل قوله لاإله إلا الله[٢].

كما أنه رحمه الله بين للمتصوفة أن التوقيت في العبادات حق لله عز وجل سواء كانت العبادة مكتوبة أو نافلة، وأن تخصيص أوقات معينة للأحزاب -كما في دلائل الخيرات- للجزولي، فيه التزام ما لم يلزمه الدين الاسلامي فيكون من قبيل اتباع الهوى واتخاذ الأرباب من دون الله كما لايخفى»، لأن العبادات كما يقول، «مبناها على الاتباع لاعلى الابتداع[٣]،

---

١ – سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

٢ – مفتاح الجنة، ص: ٣٥.

٣ – يقول المعصومي في كتابه أوضح البرهان ص: ١٧٨«فالأصل في العبادات أن لا يشرع نتها إلا ما شرعه الله، و الأصل في العادات أن لا يحظر منها إلا ما حظره الله، و إن كان الأمر هكذا فليعلم أن العبادات كلها طرق و أسباب لإصلاح النفس الإنسانية و تزكيتها، و طرق العبادات الصحيحة إنما هي ما بينه الذي خلق الرسول صلى الله عليه و سلم فمن زاد على هذا او نقص فقد خالف شرع الله و عبادته معصية لأن الدين قد كمل تمام الكمال.

فليس لأحد ان يشرع في الدين ما لم يأذن به الله وإذنه تعالى لايعرف إلا ببيان رسول الله ﷺ لاغيره كما لايخفى، ولهذا قال الفقهاء بالإجماع العبادات مبناها على التوقيف، فلا نعبد الله إلا بما شرع ولا نعبده بعبادة مبتدعة» لأن الدين قد كمل تمام الكمال فمن زاد شيئا فيه فقد ظن الدين ناقصا، فياخسارة من هذا شأنه، وقد ثبت في الآيات المحكمة القطعية الدلالة أن الله تعالى هو شارع الدين وأن رسول الله ﷺ هو المبلغ عنه عز وجل، فليتق الله من يضع للناس الأوراد والأحزاب ويوقت لها توقيتا كالصلوات المكتوبات، كحزب فلان وفلان، فإنها من البدع المحدثة في الدين[1].

وفي هذا المعنى أشار إلى كثير من الإنحرافات الصوفية وبين رحمه الله الذكر المشروع النافع المنجي عند الله عز وجل والذكر غير المشروع، الذي قال إن صاحبه لايكون من أهل الإسلام، وذلك ليكون الذاكر لله عز وجل على بصيرة من أمره في عبادته لربه سبحانه وتعالى حيث يقول: «واعلم أن لاإله إلا الله هي الكلمة الفارقة بين الكفر والاسلام، فمن قالها عالما بمعناها ومعتقدا إياها فقد دخل في الإسلام وصار من أهل دار السلام الجنة، وأما من قال لا خالق إلا الله أو لارازق إلا الله أو لاموجود إلا الله، او نحو ذلك فلا يكون مسلما ولا يكون من أهل دار السلام، وهذه الكلمات وإن كانت كلمات حقة ولكن يشترك في القول بها سائر الناس من المسلمين وغيرهم، فقد ثبت

---

١ – مفتاح الجنة، ص: ٦٤–٦٦.

بهذا التحقيق أن الذكر النافع المنجي من عذاب الله تعالى إنما هو لاإله إلا الله.

و لا شك أن الذكر بالإسم المفرد[١]، مظهرا و مضمرا بدعة في الشرع و خطأ في القول و اللغة و ما يسميه أهل الطرق من اسم الذات «الله» و تكرارهم ذلك لا ينفعهم، و لا يكون ذكرا مشروعا، و لا يحصل لهم به ثواب، لأن الذكر المشروع هو قول لا إله إلا الله، فهو المحصل للثواب على وفق سنة المصطفى عليه الصلاة و السلام[٢]، لذلك فإنما يتداوله العوام، ومن يدعي العلم والدين من الطغام من قولهم الله موجود، أو لارب إلا الله، أو نحو ذلك فليس من خصائص دين الاسلام، ولا من خصائص المسلمين، بل يشترك فيه المشركون واليهود والنصارى والمجوس، فتنبه وتدبر، ولا تكن أعمى وأصم تقلد كل ناعق وناهق[٣].

والحقيقة أن العلامة المعصومي رحمه الله كانت له نظرة شاملة في حماية الدين من كل بدعة وضلالة وانحراف فكري أو سلوكي، لكنه ركز بطريقة أكثر على الصوفية وضلالاتها وخرافاتها وآثارها السلبية في المجتمع الاسلامي خاصة فيما يتعلق بالشركيات والكفريات وغير ذلك من الانحرافات، التي سنأتي بنماذج منها في هذا المبحث إن شاء الله تعالى، أما

---

١ – فيه رد على من يجيز الذكر بالاسم المفرد «الله، الله» وانظر: العبودية، ص:١٥٨-١٥٩ لشيخ الاسلام ابن تيمية.

٢ – انظر مفتاح الجنة ص:٤٠ و أوضح البرهان ص: ٣٤-٣٥ بتصرف

٣ – مفتاح الجنة، ص:٤٠-٤١، و أوضح البرهان ص:٣٥

موقفه من القبورية التي تعتبر من الآثار السيئة للتصوف المنحرف فقد خصصت لها مبحثا كاملا[1]، كما سنرى بإذن الله عز وجل وتوفيقه.

وفي بيانه رحمه الله لموقفه من الصوفية والتصوف وما اخترعه مشايخ هذه المدرسة المبتدعة في الاسلام قال: «فطرق الدين والعبادات الصحيحة، إنما هي ما بينه الذي خلق الخلق على لسان رسوله محمد ﷺ، ومن زاد على هذا أو نقص فقد خالف الحكيم الخلاق العليم، بتركيبه الأدوية من عند نفسه، لأن الدين قد كمل، فمن زاد شيئا فيه فقد ظن الدين ناقصا وهو يكمله باستحسان عقله الفاسد وخياله الكاسد، فنعوذ بالله من الكفر بعد الإيمان، ومن الضلال بعد العرفان.

فإذا عرفت هذا حق المعرفة علمت أن الذين اخترعوا الأوراد والأحزاب، كدلائل الخيرات[2] وقصيدة البردة[3] والهمزية، والأوراد الفتحية[4] وغيرها من ورد فلان، وحزب فلان وختم خواجه كانوا قد زادوا في الدين أشياء من عند أنفسهم افتراء على الله وعلى رسوله ﷺ ويقولون: «يقول كذا وكذا مرة من

---

١ – هو المبحث الآتي إن شاء الله تعالى بعد هذا المبحث مباشرة في ص: ٤٠٠ من هذا البحث.

٢ – للأستاذ خير الدين وائلي معارضة علمية لكتاب دلائل الخيرات وهو بعنوان دلائل الخيرات و سبيل الجنات طبع بمكتبة الواحد بجدة ١٤١٠هـ.

٣ – للشيخ محمد نسيب الرفاعي كتاب نقض البردة وبيان ما فيها من أبيات الشرك والردة، وهو لايزال مخطوطا.

٤ – تقدم الكلام عن الأوراد الفتحية و لعلها بعض الأوراد الصوفية التي يزعم أصحابها أن من حافظ عليها يكون من الذين يفتح الله عليهم، كصلاة الفاتح لما أغلق عند التجانية.

أين لهم هذا العدد؟ ويقولون حزب يوم كذا وكذا من أين لهم تعيين هذا الشيء في هذا اليوم؟ فضلا عما في كلماتهم من الشركيات والكفريات، وتنزيل المخلوق منزلة الخالق، ودعاء الأموات وطلب الحاجات من المخلوقات، كما لايخفى على من اطلع عليها من أولي الألباب[1].

ويتساءل العلامة المعصومي رحمه الله عن عدم اكتفاء المتصوفة في سلوكهم وعباداتهم وأورادهم بما اكتفى به رسول الله ﷺ وأصحابه، وهي في الحقيقة مسألة تبعث على التساؤل كثيرا لبعدها عن منهج العقل الصريح والنقل الصحيح، وفي هذا المعنى يقول مخاطبا مريد المتصوف: «أما يكفيك ما ورد في القرآن من الدعوات وما ثبت عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الأوراد وما صح بالأسانيد الصحيحة عن سيدنا محمد ﷺ من الأوراد المؤقتة والمطلقة، والليلية والنهارية فإذا لم يكفك ما كفى رسول الله ﷺ و أصحابه وتابعيهم بإحسان فلا كفاك الله أبدا فتنبه و تدبر و لا تكن من الغافلين الغاوين[2].

و قد تحدث العلامة المعصومي عن جملة من إنحرافات الصوفية وذكر أن الكثير من ذلك ناجم عن تقليد بعضهم لمشايخه و حفظه لشؤون طريقته حتى صار ذلك سببا لخطأ وضلال كثير ممن اتبعوا أهل الطريقة وذلك

---

١ – مفتاح الجنة، ص:٥٨-٥٩.

٢ مفتاح الجنة ص: ٥٩-٦٠

كالإستمداد من أرواح المشايخ و أمر بعضهم [1]لمريديه بالذكر المفرد« الله-الله»[2] والمراقبة ومرابطة صورة الشيخ في خياله و قلبه ، و اختراعه اللطائف الخمس : القلب و الروح والسر و الخفي والأخفى، و أمر المريد بالملازمة بالذكر الخاص بكل واحد منها إلى غير ذلك من الترهات التي بينتها[3].

و من راجع مؤلفات الشيخ المعصومي و تأمل فيما احتوت عليه في ثناياها من نقد التصوف و نقضه و كشف عوراته يتأكد من موقفه، ضد بدعة التصوف و جرأته في الصدع بالحق و بيانه لما تضمنه هذا المذهب من بدع و انحرافات و ضلالات تصل في بعض الحالات إلى الشرك و الكفر و العياذ بالله تعالى، و من ذلك ما ركز عليه في مسألة الغلو في المشايخ و ما يؤدي إليه من شرك و ضلال حيث يقول:«و اعلم أن الغلو في المشايخ منهي عنه فكل من غلا في نبي أو رجل صالح ، و جعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول يا سيدي فلان انصرني أو أغثني أو ارزقني أو أنا في حسبك،أو نحوها، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه و إلا قتل فإن الله تعالى إنما أرسل الرسل و أنزل الكتب ليعبد وحده و لا يجعل معه إله آخر»[4].و في بيانه ر حمه الله

---

١ -يعني الشيخ احمد السرهندي المتوفى سنة ١٠٣٤هـ، كما نص على ذلك المعصومي في كتابه مفتاح الجنة، و قد أفرده بالترجمة الشيخ أبو الحسن الندوي بتأليف مستقل طبع في دار القلم بالكويت

٢ -فيه رد على من يأمر مريده بالذكر المفرد ، و انظر مفتاح الجنة المصدر نفسه ص: ١٤

٣ -المصدر نفسه ص ٨٠-٨١

٤ - مفتاح الجنة ص: ٤٨

لجوانب مختلفة من غلو المتصوفة في مشايخهم أشار إلى أن مريديهم يحبون مشايخهم أعظم من محبتهم لله و يغضبون لهم إذا انتقص منهم أكثر من ما يغضبون إذا انتقص أحد من رب العالمين، و يصف المشايخ الصوفيين بأنهم آلهة اتباعهم ومعبوديهم، و قد نقل في هذا الموضوع عن ابن القيم في كلامه عن الشرك حيث قال «و الشرك هو أن يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله، و يغضبون لتنقص آلهتهم ومعبوديهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا تنقص أحد رب العالمين،و قد شاهدنا هذا نحن جهرة و ترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه و معبوده على لسانه إن قام و إن قعد وإن عثر وإن استوحش وهو لا ينكر ذلك ويرى أنه باب حاجته إلى الله و شفيعه عنده و هكذا كان عباد الأصنام سواء بسواء ، وهذا هو الذي أنكره الله تعالى عليهم في القرآن و أبطله و أخبر أن الشفاعة كلها له و القرآن مملوء من أمثال هذا، و لكن أكثر الناس لايشعر بدخول الواقع تحته و يظنه في قوم قد خلوا و هذا هو الذي يحول بين المرء وبين فهم القرآن »[1].

و من المسائل المهمة التي أثارها الشيخ المعصومي رحمه الله و ناقشها كظاهرة من مظاهر الغلو في الطرق الصوفية هي الوسائط[2] بين الخالق والمخلوق

---

١ –مفتاح الجنة ص٥٠ و انظر مدارج السالكين لإبن اقيم ٣٣٩/١-٣٤٤

٢ –قال العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي :«إنما يزعمه المتصوفة من أن المراد بالوسيلة في قوله تعالى في سورة المائدة الآية: ٣٥ {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و ابتغوا إليه

حيث قال: «و الواسطة هي الإله فقول المؤمن لا إله إلا الله إبطال للوسائط وغالب الذين غلوا في تعظيم الأولياء و شيوخ الطرق و أئمة آل البيت من السادة قد عبدوهم بدعائهم حتى في الشدائد، و الطواف بقبورهم وذبح القرابين لهم و كانو يجهلون أنهم بهذا قد اتخذوهم آلهة.»[1].

و على أي حال فإن الزوايا الصوفية ومشايخ الطرق فيها قد ابتعدوا كثيرا عن منهج السلف و أئمة السنة في فهم تعاليم الإسلام وتطبيقها.و لا نريد هنا أن ندخل في شرح العوامل و الأسباب التي أدت بالفكر الصوفي إلى هذه الدرجة من الإبتعاد عن الكتاب و السنة و الفهم الصحيح للنصوص الشرعية و التعاليم الإسلامية وفق ما درج عليه سلف هذه الأمة ، فهذا أمر يطول شرحه من ناحية، و من ناحية أخرى فإنه يخرجنا عن صلب الموضوع، و إنما الذي يهمنا هنا بالدرجة الأولى هو موقف العلامة المعصومي من الفكر الصوفي و أهله بغض النظر عن أسباب انحرافاتهم التي وقعوا فيها على مر العصور، و على كل حال فإن الشيخ المعصومي حمل عليهم حملة شعواء و كشف عوراتهم وذكر الكثير من مقالاتهم الفاسدة وبين ضلالاتهم و سنذكر طرفا من ذلك لينجلي موقفه رحمه الله من هذا الفكر الفاسد المخترع في الإسلام و من أهله الذين حملوه ودافعو ا عنه في مشارق الأرض و مغاربها عبر فترات طويلة، فقد اعتنى رحمه الله بهذا الموضوع في كتابه «أجوبة

الوسيلة} هو الشيخ الذي يكون واسطة بينهم وبين ربهم فهذا باطل لأن اتخاذ الوسائط من دون الله من أصول الكفر»أضواء البيان ٢/٩٧-٩٨

١ -مفتاح الجنة ص ٣٩-٤٠

المسائل الثمان في السنة والبدعة والكفر و الإيمان »بالرد على كتـاب الجزولـي «دلائل الخيرات»[1] و بين ما فيه مـن البـدع و المنكـرات و هـذا الكتـاب مـن مشاهير الكتب المختصة بالأوراد و الأذكـار ذات المشـرب الصـوفي،و فيـه مـن المخالفات الشرعية الشيء الكثير.

و لذلك اهتم الشيخ –رحمه الله– بالرد عليه وهو يعتبر بمثابـة رد علـى المتصوفة بوجه عام و سنقتصر على نماذج من كلامه، فيه نلقـي الضـوء علـى مدى معارضـته للخرافـات وللبـدع الـتي غلبـت علـى أتبـاع الطـرق الصـوفية والمتأثرين بفكرهم ومخترعاتهم المبتدعة في الإسـلام و في هـذا المعنـى يقـول في كيفية الصلوات: «و عطائك المعلول» ثم قوله «لا يبقى مـن الرحمـة شـيء» و كذا قوله «و محمـد هـو السـبب في كـل موجـود، و بحـق عرشـك وبالأسمـاء المكتوبة في جبهـة جبريـل و ميكائيـل»، و الحـديث الموضـوع في حـزب يـوم الجمعة و في حزب يوم السبت و قوله «و بحرمة نبيك»، و قوله «اللـهم إنـي أتوجه إليك بحبيبك المصطفى عندك يا حبيبنا يا محمـد إنـا نتوسـل بـك إلى ربك فاشفع لنا عند المولى العظيم يا نعم الرسول الطاهر»، و تمنـى زيـارة قـبر رسول الله ﷺ في يوم الإثنين و قو له «يا هـو يـامن لا هـو إلا هـو» و قولـه «و نقسم به أي محمد –عليك و نتوسل به إليك»[2] !!!.

١ – انظر رده على هذا الكتاب في أجوبة المسائل الثمان ص٨٥– ٩٥

٢ – أجوبة المسائل الثمان، ص:٦٧

يقول المعصومي فكيف يتعبد بمثل هذه المنكرات و الضلالات؟ فتدبروا يا أصحاب الدين والإيمان.

و في حزب السبت : أسألك بطاعة الأرواح الراجعة إلى أجسادها، ويرد الشيخ المعصومي عليه بقوله « صل على رسول الله صلى الله عليه و سلم بما ورد عنه من الصيغ المأثورة، من غير التزام الصيغ المبتدعة و فقني الله تعالى و إياك لمرضاته، آمين»[1].

و من المسائل المهمة التي ركز المعصومي رحمه الله في الرد عليها في كتاب الجزولي «دلائل الخيرات» هي الغلو الذي أدى به إلى عدم التمييز بين الخالق و المخلوق و الإتيان بالأحاديث الموضوعة في فضل من قرأ هذه الصلوات التي اخترعها في كتابه دلائل الخيرات الذي حرره على منهج لم يراع فيه الدقة العلمية لذلك رد المعصومي عليه بقوله «و لكن المصنف يعني الجزولي قد غلا في المحبة غلوا بحيث صار لا يميز بين الخالق و المخلوق و هذا مما لايليق بشأن المسلم ، و قد نهى الله تعالى و رسوله محمد ﷺ عن الغلو في الدين كما لايخفى فتنبه و تدبر».

و ذكر في أواخر المقدمة قبل ذكر أسماء النبي ﷺ أحاديث موضوعة وآثارا لا أصل لها، ثم قال «قيل للنبي ﷺ من آل محمد الذين أمرنا بحبهم و إكرامهم و البر بهم ؟ فقال أهل الصفاء و الوفاء من آمن بي وأخلص، فقيل

---

١ - أجوبة المسائل الثمان ص : ٦٨

وما علاماتهم؟ فقال إيثار محبتي على كل محبوب واشتغال الباطن بذكري بعد ذكر الله، وفي رواية أخرى علامتهم إدمان ذكري.

وهذا لايصح بل موضوع، وفيه ما فيه من الشرك بالله، وهو اشتغال الباطن بذكره وإنما اخترع هذا الكلام بعض الباطنية الاتحادية في قالب محبة رسول الله ﷺ فليحذر العاقل عن مثل هذا الكلام، وليخلص قلبه بذكر الله خالصا، {ألا بذكر الله تطمئن القلوب}[1].

ثم يذكر رحمه الله أن الجزولي مؤلف دلائل الخيرات محب للرسول ﷺ، ولكن تلك المحبة أدت به إلى الغلو والتخليط وفي هذا المعنى يقول والمؤلف وإن كان محبا لرسول الله: ﷺ ولكنه غال ومخلط فلا يميز بين الصحيح والسقيم فتدبر.

قال في الفصل الأول في كيفية الصلاة على النبي ﷺ «اللهم وتحنن على محمد»، هذه العبارة مبتدعة في الدين كما هو معلوم عند أهل العلم. ثم قال: «ورأفة تحننك على محمد...»، وهذه مثلها في البدعية فتنبه. وقوله: «من فوز ثوابك المحلول، وجزيل عطائك المعلول»، «وارحم محمدا وآل محمد حتى لايبقى من الرحمة شيء، وحتى لايبقى من البركة شيء، وحتى لايبقى من السلام شيء»، فتأمل في هذه الكلمات السخيفة العمياء حتى حكم

---

١ – أجوبة المسائل، ص:٨٧-٨٨ والآية من سورة الرعد، رقم:٢٨

بانتهاء وفناء رحمة الله وبركته وسلامه. هل تنتهي رحمة الله وبركة الله وسلام الله؟[1].

والواقع أن الناظر في كتاب دلائل الخيرات للجزولي يجد فيه من الغلو والعبارات المخالفة للشرع الشيء الكثير، فضلا عما فيه من أحاديث موضوعة ومخترعة، ولذلك يقول المعصومي فتدبر ولا تكن من المقلدين الجامدين الذين صاروا محرومين عن منفعة العقل، مع ما في هذا الكتاب من الكلمات المنافية للتوحيد كما لايخفى[2].

وفي أثناء رده على المتصوفة ذكر بعض المصطلحات والألقاب والمقالات الصوفية الباطلة، كالأقطاب والأغواث وغير ذلك من خرافاتهم وضلالاتهم حيث قال: «إنهم يقولون إن لله تعالى عبادا من البشر فوض الله تعالى إليهم أمور عباده وبلاده وهم يسمون بالأبدال والأقطاب والنجباء والأغواث[3] وأمثالهم، وهم رجال الغيب، فمن لاذ بهم واستغاث بهم نال مطالبه، وهم يوصلونه إلى أعلى درجات الكمال والجمال والجلال ومن أنكرهم وأنكر ما يصدر عنهم فهو من المحرومين الهالكين، لأنه لايمكن لأحد أن يصل إلى الله إلا بواسطتهم، وتسليم الأمور إليهم، وهم كوزراء الملوك ومقربي السلاطين لايمكن لأحد أن يصل إلى الملك أو يبلغ عريضته إليه إلا بواسطتهم، فقبل الناس هذه الوساوس فشاعت وذاعت بين الخليقة فحصل الشيطان مقصده

---

١ – المصدر السابق، ص: ٨٩.

٢ – المصدر نفسه، ص: ٦٦.

٣ – تقدم الكلام عن شرح هذه المصطلحات والألقاب الصوفية في ص١٥٢من هذا البحث.

الأعظم ألا وهو الشرك الأكبر الذي لايغفره الله تعالى أصلا. وأمثلة ذلك كثيرة قد بينها العلماء المحققون في كتبهم[١].

وفي رده على غلاة الصوفية القائلين بسقوط التكاليف الشرعية[٢] وبتفضيل الولي على النبي قال: «اعلم أن العبد ما دام عاقلا بالغا لايسقط عنه التكليف ولا الأمر ولا النهي، وأن الولي لايبلغ درجة نبي من الأنبياء[٣]

---

١ – انظر: مفتاح الجنة، ص: ١٤-١٥

٢ – يقول الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله في تفسيره للآية رقم ٩٩ من سورة الحجر وهي قول الله عز وجل: {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين} «اعلم أن ما يفسر به هذه الآية الكريمة بعض الزنادقة الكفرة المدعين للتصوف أن معنى اليقين المعرفة بالله جل وعلا لأن الآية تدل على أن العبد إذا وصل من المعرفة بالله إلى تلك الدرجة المعبر عنها باليقين أنه تسقط عنه العبادات والتكاليف لأن ذلك اليقين هو غاية الأمر للعبادة. إن تفسير الآية بهذا كفر بالله وزندقة وخروج عن ملة الاسلام بالإجماع، وهذا النوع لايسمى في الاصطلاح تأويلا بل يسمى لعبا، ومعلوم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع ذلك أكثر الناس عبادة لله جل وعلا، وأشدهم خوفا منه وطمعا في رحمته والله جل وعلا يقول: {إنما يخشى الله من عباده العلماء}، أضواء البيان ٢٠٧/٣ والآية من سورة فاطر رقم: ٢٨.

٣ – يرد العلامة المعصومي رحمه الله بذلك على فرية ابن عربي الطائي الأندلسي الضال رئيس غلاة الصوفية القائلين بوحدة الوجود الذي يقول: إن الأنبياء يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء ويدعي أنه هو خاتم الأولياء ويفضل الولاية على النبوة والرسالة بقوله:

«مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي»

انظر الرد على القائلين بوحدة الوجود للملا علي القاري، ص: ٥٩ دراسة وتحقيق علي رضا بن عبد الله رضا، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١ ، ١٤١٥هـ. وانظر له أيضا شرح كتاب ألفاظ الكفر

أصلا ونبي واحد أفضل من جميع الأولياء، فلا نفضل أحدا من الأولياء على أحد من الأنبياء، فكيف تسقط التكاليف الشرعية والله عز وجل يقول: {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين}[1].

وفي أثناء كلامه رحمه الله على نقض مناهج المبتدعة وخاصة الحلولية من الصوفية وبيان انحرافاتها وآثارها الشركية قال: «واما معبود الحلولية فهو حال في الموجودات كما يصرح به رئيس الطائفة ابن عربي ومن شاكله، واما معبود الطرقية وإلههم فلا يعلم إلا إذا رفع صوته وصاح صياحا لأنه أصم وأعمى و أبكم.. ولاريب أن الشرك والكفر أعظم أمراض القلوب[2].

وقد عد العلامة المعصومي رحمه الله الطائفة الحلولية القائلة بوحدة الوجود ورئيسها ابن عربي في من يسميهم بالفرقة الكافرة المنتسبة إلى هذه الأمة[3]، وليس هو أول من قال بكفر هذه الطائفة، أعني الحلولية، القائلة بوحدة الوجود، فقد قال علماء كثيرون بذلك على مر العصور لاسيما إمامهم محي الدين بن عربي ومن سار على منهجه الفاسد، وقد ركز العلامة علي القاري على التأكيد على هذا الموضوع في عدد من مؤلفاته وخصص له كتابه الرد على القائلين بوحدة الوجود، خاصة ابن عربي، ومن كلامه في هذا

للعلامة بدر الرشيد المقدمة، ص: ١٧١ دراسة وتحقيق الدكتور الطيب بن عمر بن الحسين، رسالة دكتوراه غير منشورة.

١ – حبل الشرع المتين، ص: ١٢٠، سورة الحجر، الآية: ٩٩

٢ – أجوبة المسائل الثمان، ص: ١٠٨، ١١٠.

٣ – المصدرنفسه، ص: ١٠٨.

المجال قوله: «اعلم أن من اعتقد حقيقة عقيدة ابن عربي، فكافر إجماعا من غير نزاع، وإنما الكلام فيما إذا أول كلامه بما يقتضي حسن مرامه، وقد عرفت من تأويلات من تصدى بتحقيق هذا المقام أنه ليس هناك ما يصح أو يصلح عنه دفع الملام»[1].

والواقع أن التصوف دخل في مخاطر وانحرافات كثيرة بعيدة عن السنة ومنهج السلف وعقيدتهم، وانتشرت عن طريقه المفاهيم الضالة والبدع والخرافات في العالم الإسلامي، فكان من نتائجه السلبية ترك التعليم والإكتفاء بالأحزاب والأوراد بدلا عنه، وعلاوة على ذلك كله فقد ظهر فيه التصوف الفلسفي الإلحادي الذي صرح أصحابه بالكفر البواح.

وفي الحقيقة أنه حسب نظري لايوجد فيه مذهب أكثر إنحطاطا في حضيض الكفر والإلحاد من مذهب القائلين بوحدة الوجود، ذلك أنه مذهب يؤمن بالمتناقضات ويحمل في طياته كل منكر في عقل ودين، ويقضي على كل فضيلة، وقبل ذلك كله فهو ينسف دين الرسل أجمعين، والله العلي القدير أسأله وأرجوه أن يهدينا جميعا إلى الطريق المستقيم، وأن يهدي المتصوفة للعمل بالكتاب والسنة، وما درج عليه سلف الأمة وأختم هذا المبحث بنداء وجهه المعصومي رحمه الله إليهم وإلى غيرهم من المسلمين يقول فيه: « فيا أيها المسلمون أما يسعنا ويكفينا ما وسع وكفى الصحابة والتابعين، والسلف الصالحين رضي الله عنهم أجمعين، حتى نخرج عن جادتهم ونزيد عليهم

---

١ – الرد على القائلين بوحدة الوجود، ص: ١٥٤–١٥٥.

أشياء استحسانا بعقولنا السخيفة، وأهوائنا الرديئة، أو المحبة العمياء؟ اللهم سلمنا وسلم ديننا برحمتك[1].

وسنرى بإذن الله تعالى في المبحث الآتي موقف العلامة المعصومي من مسألة القبورية وهي مسألة حصلت فيها انحرافات شركية خطيرة وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق.

---

١ – أجوبة المسائل الثمان، ص: ٨٦–٨٧.

الفصل الثالث:

موقفه من القبورية وبدعها وخرافاتها

لقد بحث كثير من العلماء موضوع زيارة القبور و بينوا الزيارة الشرعية التي أذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم،و ذكروا أن المقصود منها بالنسبة للزائر هو الإعتبار والإتعاظ، كما أن من مقاصدها بالنسبة للميت أن يدعو له من زاره لينتفع بذلك الدعاء الذي هو بحاجة إليه لأنه صار في دار لا عمل فيها ،كما أنهم رحمهم الله حذروا من زيارة القبور البدعية الشركية وبينوا ما فيها من ضلالات في ضوء الكتاب و السنة وفق منهج أهل السنة والجماعة، و اتبعوا في ذلك طريقة كانت في غاية الحيطة والحذر من كل المعتقدات الفاسدة التي يروج لها المبتدعة و الخرافيون الذين يستنجدون بالمقبورين، وقد أفرد بعض العلماء هذا الموضوع بالتأليف لخطورته و لكثرة ما ظهر فيه من بدع وانحرافات تصل في بعض الأحيان إلى حد الشرك والكفر و العياذ بالله تعالى، و من هؤلاء العلماء الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ فقد ألف فيه كتابه «زيارة القبور و الاستنجاد بالمقبور» طبع في دار طيبة بمكة المكرمة و العلامة محي الدين محمد البركوتي الرومي الحنفي المتوفى سنة ٩٨١هـ و قد ألف كتابه «زيارة القبور الشرعية والشركية » طبع في الرياض سنة ١٤١٤هـ.

وقد سار العلامة المعصومي على نهج من سبقه من علماء أهل السنة في موقفه من القبورية في حماية جناب التوحيد بسد ذرائع الشرك وفق ما رسمته السنة النبوية المطهرة بحزم وشجاعة، خاصة وأن العالم الإسلامي في العصور المتأخرة التي عاش إبانها قد انتشرت فيه صور من الشرك كثيرة في هذا الموضوع و عمت البلوى بالإنحرافات الشركية، كالإستغاثة بمن لا ينفع و لايضر و لا يستجيب من الأموات و غيرهم ممن يظن بعض الجهلة أنهم قادرون على جلب النفع ودفع الضر عن من يدعوهم ويستغيث بهم، و عمت البلوى بهذا و أصبح الكثير من جهلة هذه الأمة يؤمنون بهذه الخرافات و يجدون دعاة يحثون عليها و يستدلون لها من الطرقيين ، أصحاب الزوايا الصوفية، و لذلك عظم الخطر وكاد الضر أن يعم جميع المسلمين لولا علماء صالحون مخلصون صادقون جردوا أنفسهم لبيان الحق و الدعوة إلى التوحيد الخالص الخالي من شوائب الشرك وأوضار البدعة ، واعتنوا بحماية جانب التوحيد من كل ضلالة و خرافة وبدعة وقاموا بالرد على المبتدعين بالحجة و البرهان، و القلم واللسان، و من هؤلاء العلماء الصادقين في الدفاع عن السنة العلامة المعصومي –رحمه الله– فقد أولى هذا الجانب اهتماما كبيرا و أعطاه جهدا عظيما و بينه بيانا شافيا، و سنأتي بنصوص ونماذج من كلامه تلقي الضوء على جهوده وموقفه من هذه المسألة الخطيرة التي آل الأمر فيها إلى الشرك والعياذ بالله تعالى، كما سنرى أثناء تناولنا لها في هذا المبحث بعون الله وتوفيقه.

وقبل الدخول في التفاصيل لابد من الإشارة إلى أن السبب الرئيس في انتشار الاستنجاد بالموتى، ودعائهم وطلب الشفاعة منهم، جاء لصيقا بقضايا خرافات الصوفية في مشايخهم الذين يدعون لهم القدرة على التصرف في الكون سواء كانوا أحياء أم أمواتا، ومن ثم انتشرت المقولة الخرافية بأن الأموات، أو بعضهم، قادرون على جلب المنافع ودفع الأضرار، يعني أنهم يرون لهم القدرة على ماهو من خصائص الرب جل جلاله وهذا هو الشرك الذي لاغبار عليه نسأل الله سبحانه وتعالى أن يثبتنا على التوحيد الخالص من أي شائبة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ولعل من أسباب الدعاية التي قام بها المتصوفة للاستنجاد بالموتى وطلب الشفاعة منهم هو محاولة إغراء العامة وتضليلهم، ليكون ذلك وسيلة مؤثرة على أفكار الجهلة وطريقة موصلة إلى أكل أموال الناس بالباطل، وقد أشار العلامة المعصومي إلى أن ما يقومون به في هذا المجال ينكره كل مؤمن له علم بالدين وذلك بقوله: «وإنما ينكر الوهابيون – وينكره كل عبد مؤمن بالله، وله علم بالدين – ما يعتقده ويتقوله جهلة المسلمين والصوفية الخرافيون من طلب الشفاعة من الأموات ومن أرواح المشايخ كما هو الشائع الذائع بين الطرقيين، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويضلونهم عن سبيل الله الحق»[1].

---

١ – أجوبة المسائل الثمان، ص:٤٦ ، وانظر: حكم الله الواحد الصمد في الطالب من الميت المدد، ص: ١٤ وما بعدها.

موقف المعصومي من زيارة القبور:

إن مسألة زيارة القبور تحتاج إلى بيان وتوضيح لإبراز ماهو شرعي فيها عن ما هو من قبيل البدع والشركيات، ذلك أن زيارة القبور وكما هو معروف لمن له إلمام بالعلوم الشرعية، أصلها مشروع لكن وللأسف صار الكثير من عامة المسلمين يخرجون عن طريق السنة النبوية أثناء زيارتهم للقبور إلى طرق شركية مخترعة ومبتدعة لاتمت إلى التشريع والتوجيه النبوي بصلة، وإنما تلقوها في الغالب من مشايخ الزوايا الصوفية البعيدين عن منهج أهل السنة والجماعة وسلوكهم في العبادة، وقد بين الشيخ المعصومي رحمه الله هذا الموضوع بيانا شافيا حيث قال: «أما زيارة قبور المسلمين فمشروعة بل مسنونة، لأن النبي ﷺ كان يزور القبور في البقيع، وكذا قبور شهداء أحد، ويقول: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية[1]، و في رواية «السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا و لكم و أنتم سلفنا و نحن بالأثر»[2] و غيرها من الألفاظ الواردة. و قد كان النبي صلى الله عليه و سلم نهى عن زيارة القبور أولا ثم أجازها بقوله «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الموت»[3] ، و في رواية «فزوروها فإنها تزهد في الدنيا و تذكر الآخرة »[4].

---

١ – أخرجه مسلم (٩٧٥).

٢ – رواه الترمذي (١٠٥٥)

٣ – رواه مسلم (٩٧٧)، و أحمد ٣٥٩/٥

٤ – أجوبة المسائل الثمان ص ٥٥-٥٦ و الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه برقم ١٥٧١

وفي بيانه رحمه الله لزيارة القبور الشرعية وزيارتها البدعية الشركية قال :«و الحق أن زيارة القبور نوعان شرعية وشركية:

أما الشرعية : فأن تزور قبور المسلمين و تسلم عليهم وتدعو لهم بالعفو و المغفرة، كما ورد في الأحاديث، و أن تعتبر بهم بأنهم كانوا كذا وكذا، أنبياء و أولياء و صلحاء وملوكا وأمراء وأغنياء وأنهم ماتوا و دفنوا و صاروا ترابا ، و لاقوا ما قدموا من خير و شر.

فإذن لا اعتبار و لا اعتماد على هذه الحياة الدنيا، فإنها دار غرور و فناء و إننا سنموت ونقبر، فينبغي ألا نغتر، وهذه هي الزيارة الشرعية.

و أما الشركية: فأن الزائر يذهب إلى المقبرة فيتوجه إليها[1]، و يقبل القبر، أو يسجد عليه أو يمسحه أو يناديه أو يستغيث به أو يستنجد به أو ينذر له أو يظن أن المقبور ينفعه أو يضره ،فإنه مناف لحكمة تشريع زيارة القبور، بل هو عين ما كان يفعله أهل الجاهلية، و لهذا كان النبي ﷺ قد نهى عن زيارة القبور كما لا يخفى.

١ ذكر المعصومي في كتابه مفتاح الجنة ص ٣٣ بعض المشاهد و القبور التي يعظمها الناس و يتوجهون إليها و ينذرون لها و قال «و كذلك مثلهم –يعني عباد الأصنام –الذين يعظمون مشهد كربلاء و حسين بن علي رضي الله عنهما ، او قبر عبد القادر الجيلاني او قبر معين الدين الجشتي في أجمير الهند ، او قبر علي رضي الله عنه في بلخ او قبر بهاء الدين النقشبندي في بخارى ، او قبر قثم بن عباس رضي الله عنهما في سمرقند، او قبر احمد اليسوي في تركستان، او قبر مصلح الدين في خجند او قبر آفاق خواجه في كاشغر ، او قبر محي الدين بن عربي في دمشق او مشهد رأس الحسين و قبر زينب في القاهرة او قبر احمد البدوي في طنطاو او قبر جلال الدين الرومي في قونية او غيرها من القبور التي يعظمونها و يعبدونها و ينذرون لها و يتوجهون إليها »

وسائر أهل السنة و الجماعة، إنما ينكرون هذا القسم الأخير من الزيارة البدعية الشركية، فتدبر و لا يغرنك افتراء المفترين و دجل الدجالين»[1].

نماذج من الانحرافات التي وقع فيها القبوريون:

في الحقيقة أن القبوريين وقعوا فيما وقع فيه المشركون السالفون في صرف العبادة لغير الله، حيث صرف هؤلاء القبوريون كثيرا من أنواع العبادة لغير الله عز و جل، فتراهم يقصدون القبور التي يعظمونها للصلاة عندها، و الطواف بها و الذبح لها او عندها و الاستشفاع بها بل وطلب الحوائج منها كجلب النفع و دفع الضر و غير ذلك مما يصدر عنهم من أقوال و أفعال لا تليق بأهل الإيمان ولذلك نرى الشيخ المعصومي -رحمه الله- يركز على هذه الإنحرافات فيعرضها و يبين خطأها و يرد عليها بالأدلة الشرعية حتى يتميز الحق من الباطل خاصة في مسألة الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه، التي نراه يكرر النهي عنها حماية لجانب التوحيد.

يقول -رحمه الله- «وإنما نهى([2]) النبيﷺ عن الإستغاثة به حماية لجناب التوحيد ، و سدا لذرائع الشرك مخافة أن يقع من أمته الإستغاثة بمن لا يضر و لاينفع و لايسمع و لا يستجيب من الأموات و الغائبين و الطواغيت و الشياطين والأصنام و غير ذلك. و قد وقع من هذا الشرك العظيم

---

١ - أجوبة المسائل الثمان ص٥٦-٥٧و انظر حكم الله الواحد الصمد ص ١٨-٢٥، و أوضح البرهان ص: ٣٦١-٣٦٢

٢- تقدم نهي النبي عن الاستغاثة به في قوله عليه الصلاة والسلام«إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله» انظر تخريج الحديث في ص:٣٠٩ من هذا البحث.

ما عمت به البلوى حتى ظنوا أن الميت يسمع[١] و ينفع فتركوا الإسلام والإيمان رأسا، كما ترى عليه الأكثرين من جهلة هذه الأمة»[٢].

فإنا لله و إنا إليه راجعون مما حصل من شرك هؤلاء الجهلة للإسلام و الإيمان حسب ما ذكر المعصومي رحمه الله وحسب ما هومشاهد أيضا من كثير من الناس في هذا الزمان حيث جعلوا بعض القبور كالأوثان يدعونهم ويطلبون منهم ما هو من خصائص الرب جل وعلا ولا قدرة للمخلوق عليه و هذا هو الشرك الذي لا يغفره الله عز و جل كما يقرره المعصومي بقوله : «ومن الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره ، و الإستغاثة هي طلب الغوث و هو إزالة الشدة كالإنتصار : طلب النصر، و الإستغاثة طلب العون، فكل ما قصد به غير الله مما لا يقدر عليه إلا الله كدعوات الأموات و الغائبين فهو من الشرك الذي لايغفره الله عز و جل قال سبحانه و تعالى {وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو}[٣] {ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون و إذا حشر الناس كانوا لهم أعداء و كانوا بعبادتهم كافرين}[٤] فأخبر الله تعالى

---

١ –و للعلامة الألوسي الآيات البينات على عدم سماع الأموات طبعت بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني

٢ –مفتاح الجنة ص ٥٥–٥٦ و انظر حكم الله الواحد الصمد ١٤–١٥ ، ٣٤ و ما يليها ، و أوضح البرهان ص:٣٦١ و ما يليها

٣ –سورة الأنعام الآية ١٧

٤ –سورة الأحقاف الآيتن ٥–٦

أنه لاأضل ممن يدعو أحدا دونه كائنا من كان،فليس لمن دعا غير الله إلا الخيبة والخسران، فلا يحصل للمشرك يوم القيامة إلا نقيض قصده، و صار المدعو للداعي عدوا فالداعي للغير في غاية الضلال قال تعالى {أمن يجيب المضطر إذا دعاه و يكشف السوء و يجعلكم خلفاء الأرض آآله مع الله قليلا ما تذكرون } »[1].

لقد وصل الأمر بالخرافيين القبوريين إلى ما رأينا و سمعنا و ذكره العلماء من قبلنا في القديم و الحديث من الدعوات الشركية للأموات و الغائبين و غيرهم نتيجة للجهل و التأثر بالفكر الصوفي الذي عششت فيه البدعة وباضت و فرخت ومع ذلك يزعم أصحابه أنهم صفوة الله من خلقه و أهل السعادة والكرامة من عباده.و الحقيقة أن السعادة العظمى و الكرامة الكبرى في الدنيا و العقبى لا تحصل إلا بمتابعة خاتم النبيين صلوات الله و سلامه عليه و على آله أجمعين، لكن الشيطان للإنسان عدو مبين يصدهم بأنواع مكائده عن الصراط المستقيم ويدعوهم إلى الإثم العظيم ليكونوا من أصحاب الجحيم وغاية بغيته سلب الإيمان منهم حتى يكونوا من أهل الشقاء والخلود في النار و من أعظم مكائده التي كاد بها أكثر الناس وما نجا منها إلا من لم يرد الله فتنته هو ما أوحاه قديما و حديثا إلى حزبه و أوليائه من الفتنة بالقبور حتى آل الأمر إلى أن عبد أربابها من دون الله تعالى و عبدت قبورهم،

---

١ – مفتاح الجنةص ٥٤ –٥٥ و انظر حكم الله الواحد الصمد ص ١٩– ٢٠ والآية من سورة النمل رقم ٦٢

واتخذت أوثانا وبنيت عليها الهياكل وصورت صور أربابها فيها، ثم جعلت تلك الصور أجسادا لها ظل ثم جعلت أصناما وعبدت مع الله تعالى، نسأل الله تعالى العافية من مكائد الشيطان وحزبه.

وقد تناول المعصومي رحمه الله جوانب من مكائد الشيطان للقبوريين وبين ما فيها من شرك وذكر من ذلك الذبح عندها وفي هذا المعنى أورد قول الله عز وجل: {إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}[1] و{من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار، وما للظالمين من أنصار}[2]، وقال: «ومن الشرك الذبح لغير الله كمن يذبح للقبر أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فهذا كفر إجماعا»[3] لقد تحدث المعصومي –رحمه الله– عن أنواع الشرك ونوا قض الإيمان كثيرا، ولكنه أولى عناية خاصة لعبادة القبور وأصحابها، وانتهى إلى القول بأن أفعالهم وأقوالهم قد تصل إلى حد الشرك حيث عدها من انواع الشرك بقوله: «ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل الشرك في العالم، فزاروهم زيارة العبادة وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد.

فأصل دين الإسلام إنما هو عبادة الله وحده لاشريك له والتحريض على ذلك، فمن قال لاإله إلا الله ومع ذلك يفعل الشرك الأكبر كدعاء الموتى

---

١ – سورة النساء، الآية: ٤٨.

٢ – سورة المائدة، الآية ٧٢.

٣ – مفتاح الجنة، ص: ٤٥، وانظر حكم الله الواحد الصمد، ص: ٤١–٤٢.

وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، والتقرب إليهم بالنذر والذبائح فهذا مشرك شاء أم أبى»[١].

نماذج من ردوده على القبوريين:

إن من المعلوم لدى كل باحث عارف بأصول الدين، ومطلع على أحوال المسلمين في العصور المتأخرة، أن زيارة القبور قد تحولت وللأسف عن مقاصدها الشرعية السنية إلى مقاصد بدعية شركية، عند كثير من عامة المسلمين، وهذا الموضوع كان يؤرق العلامة المعصومي ولذلك عالجه كثيرا في مؤلفاته، واحتوى على مساحة كبيرة منها، فقد رد –رحمه الله– على القبوريين و غيرهم من الخرافيين، وذكر أحاديث عن رسول الله ﷺ استدل بها على ما ذكره في هذا الموضوع، و من ذلك صرف الدعاء لغير الله عز وجل حيث قال قال رسول الله ﷺ: «الدعاء مخ العبادة»[٢] وعقب على هذا الحديث بقوله: «فلا يدعى غير الله فيما لايقدر عليه، فتوحيد العبادة أن تخص جميع أنواع العبادة لله تعالى وحده، ومن أنواعها الاستعانة والاستغاثة، والنداء في الشدائد والرجاء واللجوء والنذر والنحر، فلا يكون شيء منها إلا لله وحده، فمن يفعل شيئا من ذلك لمخلوق من حي أو ميت فقد أشرك في العبادة، وصار من يفعل له هذه الأمور إلها لعابديه، سواء كان

---

١ – مفتاح الجنة، ص: ٥٠، ٧٣. وانظر: حكم الله الواحد الصمد، ص: ٤٣-٤٤.

٢ – رواه الترمذي (٣٣٧١). وقد ورد بلفظ «الدعاء هو العبادة» رواه البخاري في الأدب المفرد (٧١٤) وأبو داوود (١٤٧٩) والترمذي (٣٣٧٢) وابن ماجه (٣٨٢٨).

ملكا أو نبيا أو وليا أو قبرا وصار بهذه العبادة او بأي نوع منها، عابدا لذلك المخلوق وإن أقر بالله وعبده[١].

وفي الحقيقة أن نداء الأموات والاستغاثة بهم وطلب الحوائج منهم أمر لايقره شرع ولا عقل سليم، ذلك أن الميت قد انقطع عمله وهو محتاج إلى من يدعو له، ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء له وجوبا واستحبابا ما لم يشرع مثله في الدعاء للحي، فعلم من هذا أن المقصود من الصلاة على الميت هو الدعاء له والاستغفار لأجله، فإنا لما كنا إذا وقفنا على جنازة ندعو له ولا ندعو به، فبعد الدفن أولى و أحرى لأنه في قبره بعد الدفن أشد احتياجا إلى الدعاء لأنه حينئذ معرض للسؤال وغيره.

وعليه فإنهم لايملكون لأنفسهم نفعا ولاضرا وأحرى لغيرهم خاصة إذا كان الأمر يتعلق بما هو من خصائص الله سبحانه وتعالى، فهذا لايملكه الأحياء من المخلوقات فضلا عن الأموات منهم، ولهذا قرر العلامة المعصومي الحكم بالشرك على من يطلب دفع الأمراض والأسقام وغير ذلك من الأموات، وبين أن ذلك عين الضلال، وقال أثناء كلامه في هذا الموضوع: «والتبرؤ من الكفر شرط الاسلام، والاجتناب عن شائبة الشرك توحيد، والاستمداد من الأموات في دفع الأضرار والأسقام، كما هو الشائع فيما بين جهلة أهل الاسلام عين الشرك والضلالة، فيكفرون من حيث لايشعرون، وذبح الحيوان عند القبور داخل في الشرك، ولايجوز إشراك أحد بالله تعالى

---

١ – مفتاح الجنة، ص: ٦٧–٦٨. وانظر: حكم الله الواحد الصمد، ص:٤٢–٤٣.

في عبادة من العبادات، وطلب الحاجات من غير الله عين الضلالة وتسويل الشيطان الرجيم»[١]. وقد نقل المعصومي رحمه الله عن عدد من العلماء مواقف مشابهة لموقفه من حماية جناب التوحيد خاصة دعاء الأموات، و ذكر الإجماع في هذا الموضوع، وفي هذا المعنى يقول: «قال ابن حجر الهيتمي[٢] في كتابه الزواجر[٣]، والفقيه الحنفي[٤] في تبيين المحارم[٥]: أن من أشرك في عبادة الله غيره أنه يكفر بالإجماع، ويقتل إن أصر على ذلك كدعاء الأموات لجلب خير أو دفع ضر، وقد قال رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»[٦].

وعلى أي حال فإن العلامة المعصومي رحمه الله وقف في وجه التيار الخرافي القبوري بجرأة وحزم ورأى أن ما يصدر منهم من أقوال وأفعال لايليق

---

١ – مفتاح الجنة، ص:٨٠. وانظر: العقود الدرية السلطانية في ما ينسب إلى الأيام من النيرورية، ص:٧٦-٧٧.

٢ –احمد بن محمد بن حجر الهيتمي الأنصاري فقيه و باحث مصري تلقى العلم في الأزهر له تصانثف كثيرة منها الزواجر، ولد ٩٠٩ و توفي ٩٧٤هـ بمكة ،الأعلام ٢٣٤/١

٣ – الزواجر في عقوبة أهل الكبائر (٣٠/١).

٤ – هو الشيخ سنان الدين يوسف الأماسي، المتوفى في مكة نحو سنة ٩٧٦هـ، ترجمته في الأعلام (٢٤١/٨) والشذرات (٤١٢/٨)، و معجم المؤلفين (٣١١/١٣).

٥ – تبيين المحارم، أورده حاجي خليفة في كشف الظنون (٣٤٢/١) ومنه نسخة مخطوطة في المكتبة الأزهرية كما في فهرسها (٦٧٠/٣).

٦ – مفتاح الجنة، ص:٤٦. وانظر: حكم الله الواحد الصمد، ص:١٨-٢٥=

=والحديث سنده حسن، وقد أخرجه الترمذي في سننه (٢٥١٦).

بأهل الإيمان بل إنه من الشرك الناقض للإيمان، فبين لهم ما ورد به الشرع في هذا الشأن حتى يتميز الحق من الباطل عند من يريد تصحيح الإيمان، والخلاص من كيد الشيطان والنجاة من عذاب النار والدخول في دار الجنان.

موقفه من تعظيم القبور و البناء عليها:

إن تعظيم القبور و البناء عليها يعتبر من المنكرات و البدع التي نهى الشارع عنها و حرمها، و حذر علماء السنة منها في القديم و الحديث، و لذلك نرى العلامة المعصومي قد عالج هذه المسألة، و بين الحق فيها وفق نهج السلف الصالح رضي الله عنهم، حيث ذكر النهي عن تعظيم القبور واتخاذها مساجد وغير ذلك و في هذا المعنى يقول و قد نهى النبي ﷺ عن تعظيم القبور واتخاذها مساجد[1] لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان تعظيم القبور، ولهذا اتفق العلماء رحمهم الله تعالى على أن من سلم على النبي ﷺ حين زار قبره أنه لايتمسح بحجرته ولا يقبلها[2]، وأما البناء على القبور فممنوع وحرام وهو من شعائر الكفار والمجوس والنصارى[3].

ويحذر – رحمه الله– في ثنايا كتبه من مقاصد الزيارة البدعية وما يصاحبها من أقوال وأفعال ومعتقدات فاسدة، ويقول: «واعتقاد أن الميت،

---

١ – قال ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذو قبور أنبيائهم مساجد» أخرجه البخاري (٥٣٢/١) ومسلم (٣٧٧/١).

٢ – مفتاح الجنة، ص:٤٩. وانظر: العقود الدرية، ص:٧٣-٧٥.

٣ – البرهان الساطع، ص:٨٢ وما يليها.

ولو كان نبيا، يعلم الغيب أو يسمع نداء الغائب، أو أنه يجيب الدعاء، وكل هذه الامور مخصوصة لله عز وجل[١].

وبالجملة يقول الشيخ المعصومي- رحمه الله - بعد بيانه لهذا الموضوع: «فإن الدين قد أكمل وتمم وبين تمام التبيان من طرف رسول الله ﷺ الذي بعث إلى كافة الأنام من الإنس والجان بالحق والهدى، فالزيادة على ذلك ضلال [٢].

والواقع أن موقف المعصومي رحمه الله تعالى من هذه المسألة لايختلف عن نهج السلف وما درج عليه علماء السنة عبر العصور، سواء في ذلك ما ذكر بخصوص الزيارة الشرعية للقبور ومقاصدها أم بالنسبة للزيارة البدعية والشركية وما اتجه إليه أصحابها، ومن المسلم به المتفق عليه بين أئمة المسلمين من أهل السنة أن زيارة القبور التي استحدثها الجهال لمقاصد مخالفة لهدي النبي ﷺ غير مشروعة كزيارتها لأجل الصلاة عندها، والطواف بها، وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود عليها وأخذ ترابها ودعاء أصحابها والاستعانة بهم، وسؤالهم النصر والرزق والعافية والولد وقضاء الديون، وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات، وغير ذلك من الحاجات التي كان عباد الأوثان يسألونها من أوثانهم، فليس شيء من ذلك مشروعا باتفاق أئمة المسلمين إذ لم يفعله رسول الله ﷺ ولا أحد من الصحابة والتابعين وسائر

---

١ - أجوبة المسائل الثمان، ص:٤٥. وانظر: حكم الله الواحد الصمد، ص:١٤-١٧.

٢ - مفتاح الجنة، ص:٤٣، ٨٣ وانظر: أجوبة المسائل الثمان، ص:٣١-٣٢.

أئمة الدين، بل أصل هذه الزيارة البدعية الشركية، مأخوذة من عباد الأصنام.

والله ولي التوفيق والهادي سواء السبيل.

الفصل الرابع :

موقفه من الشيوعية الملحدة

قبل الدخول في تفاصيل موقف الشيخ المعصومي -رحمه الله - من الشيوعية و فكرها المنحرف أود أن أعطي لمحة عامة عنها تعرف بها و تلقي الضوء على مدى ضلالها وإلحادها فهي:

مذهب فكري فاسد يقوم على الإلحاد و على أن المادة هي أساس كل شيء، و يفسر التاريخ بصراع الطبقات و بالعامل الإقتصادي، ظهرت في المانيا على يد كارل ماركس[1]، و تجسدت في الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا سنة ١٩١٧ بتخطيط من اليهود، و توسعت على حساب غيرها بالحديد و النار و قد تضرر المسلمون منها كثيرا و هناك شعوب محيت بسببها من التاريخ[2].

---

١ - وضعت الأسس الفكرية النظرية للشيوعية على يد كارل ماركس اليهودي الألماني (١٨١٨-١٨٨٣م) وهو حفيد الحاخام اليهودي المعروف (مردخاي ماركس)، و كارل ماركس شخص أناني متقلب المزاج حاقد مادي، من مؤلفاته البيان الشيوعي الذي كان ظهوره سنة ١٨٤٨ و له كتاب إسمه رأس المال (ظهر سنة ١٨٦٧).

ساعده في التنظير افريدريك انجلز (١٨٢٠-١٨٩٥م) و هو صديق كارل ماركس الحميم، و قد ساعده في نشر المذهب كما أنه ظل ينفق على ماركس وعائلته حتى مات . انظر الموسوعة الميسرة للمذاهب و الأديان المعاصرة ص: ٣٠٩ الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض المملكة العربية السعودية الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ، و المذاهب الفكرية المعاصرة لمحمد قطب ص ٢٦٠، ٢٦٦ - ٢٦٧ دار الشروق الطبعة الخامسة ١٤١١هـ .

٢ -انظر الموسوعة الميسرة ٣٠٩ و ما يليها

وفي الحقيقة أن الشيخ المعصومي رحمه الله كان من العلماء الباحثين اليقظين العارفين بالمخاطر التي تتضرر منها الأمة الإسلامية و المطالع في موقفه من الشيوعية الملحدة يرى أنه كان مستوعبا لما تنطوي عليه من جذور فكرية وعقائدية إلحادية تنكر وجود الله عز وجل و تحارب الأديان السماوية كلها و غير ذلك من أفكارها ومعتقداتها الفاسدة الكاسدة، فهو في الواقع ذو نظرة شاملة لدين الله وفهم عميق لجذور البلاء ومكامن الخطر الذي تحمله الشيوعية في طياتها الخبيثة، و سنورد من كلامه ما يلقي الضوء على موقفه المعادي للفكر الشيوعي و أهله و فيما يلي بيان ذلك:

لقد بدأ العلامة المعصومي –رحمه الله– كلامه عن الشيوعية بعرض شامل عن الأسس والأفكار و المعتقدات التي قامت عليها الشيوعية، وقال: «نشرت مجلة الحج الغراء في العدد التاسع الصادر في ربيع الأول من سنة ١٣٧٩هـ بقلم الأستاذ عبد المنعم النمر الأزهري تحت عنوان الإسلام والمذاهب الإلحادية، مقالا قال الكاتب فيه إن ماركس بنى دعوته و مذهبه على إنكار وجود الله.

و ماركس هذا هو الذي وضع الأساس الأول للشيوعية بإنكار الإله. وإسناد كل شيء موجود إلى الطبيعة و تفاعلها و تطورها و أنكر البعث

=و المذاهب الفكرية المعاصرة لمحمد قطب ص٢٥٩ و ما بعدها .وقد تقدم الكلام في مبحث الحالة في بلاد ما وراء النهر في عصر المعصومي عما قام به الشيوعيون من فتك وتخريب، ونفي، في البلاد الإسلامية حين استيلائهم عليها راجع ص: ١٥ من هذا البحث.

والثواب و العقاب و كفر بالرسل جميعا . فتفكير ماركس هو إنكار وجود الإله.

و جاءت أقوال الشيوعيين تعلن عنهم وعن مذهبهم في إنكار الله وقال أستاذ كارل ماركس «هوبز» إن الأشياء المادية وحدها هي المحسوسة بالنسبة لنا، فلا أستطيع أن أعرف شيئا عن وجود الله ، فوجودي هو المؤكد وما عداه خرافة خيال لا أصدقه. و يقول كارل ماركس نفسه: لا إله –و الحياة مادة– و ما الدين، و الأخلاق، و القانون، إلا آراء الدينيين و الداعين إليه، و إن الدين أفيون الفقراء»[1].

ويقول لينين الذي أسس الشيوعية في روسيا«إن البحث عن الله لا فائدة فيه، و ليس لك إله لأنك لم تخلقه بعد، فالآلهة يبحث عنها ولكنها تخلق، يعني أن الإله فكرة من اختراع الناس و إيجادهم، وليس له وجود حقيقي، فالناس هم الذين يصنعون الآلهة بأفكارهم و تخيلاتهم الباطلة ثم يعبدونها و يخضعون لها.

و تعد الماركسية الديانات جميعها و الكنائس و كل أنواع المنظمات الدينية آلة للبرجوازية لاستغلال الطبقة العاملة. فالدين من صنع أصحاب المصالح لا من عند الله كما قال لينين في كتابه «الإشتراكية و الدين»و قال فيه أيضا و لا بد من تنظيم التربية على أساس التصور المادي للدنيا و أن الدين ينافي الشيوعية والشيوعية تنافيه. و في الدستور السوفيتي الذي صدر سنة

---

١ – مجلة الحج ذو القعدة ١٣٧٩هـ ص٨٤.

١٩٣٢م يجب القضاء على الأديان كلها. ويجب القضاء على فكرة الإله التي هي من بقايا العصور الوسطى المظلمة. و يقول مولوتوف في خطبة له «لن ننشر الشيوعية في الشرق إلا إذا أبعدنا أهله عن تلك الحجارة التي يعبدونها في الحجاز يعني الكعبة المشرفة و إلا إذا قضينا علىالإسلام.»

و أذاعت وكالة تاس السوفيتية للأنباء عندما نجح الروس مع العلماء الألمان الذين أكرموهم بعد ما أسروهم و استغلوا عملهم وعبقريتهم في صنع القمر الروسي و إطلاقه أن المهنئين توافدوا على اخروتشوف يهنئونه بهذا النجاح فقام يشكرهم وقال لو كان الله موجودا لشكرته[1].

و بهذا العرض يظهر أن الشيوعية ليست مذهبا اقتصاديا بحتا كما يتبادر إلى أذهان كثير من الناس حين يسمعون لفظة شيوعية وإن كان لها و لا شك مذهب اقتصادي محدد متميز، و إنما هي تصور شامل للكون و الحياة و الإنسان و لقضية الألوهية كذلك، و عن هذا التصور الشامل ينبثق المذهب الاقتصادي، ثم إنها من جهة أخرى مذهب اقتصادي و اجتماعي و سياسي و فكري مترابط متشابك لا يمكن فصل بعضه عن بعض و كل ذلك ينبني على أساس الإلحاد و إنكار وجود الله عز وجل و التصور المادي عندهم.

لقد كان العلامة المعصومي، من أكثر العلماء المعاصرين الذين لهم اهتمام بالرد على الشيوعية والشيوعيين، لذلك فقد كثرت كتاباته في هذا المجال،

---

١ مجلة الحج ذو القعدة ١٣٧٩هـ ص: ٨٤-٨٥

حيث ألف عدة كتب وكتـب مقـالات في نقـد الفكـر الشـيوعي،وإظهـار زيفـه وبطلان ما ينطوي عليه من دعاية كاذبة، وهذه الكتب هي:

١. السهام المعصومية في نحور الشيوعية.

٢. جلاء البؤس في انقلاب بلاد الروس.

٣. أنباء التبيين في بيان حدود الاشتراكيين.

٤. المكاشفة عن حالات البلاشفة

٥. منظومة باللغـة التركيـة في بيـان حـوادث بـلاد الـروس ومـا أحدثـه البلاشفة من مظالم ومنكرات ما جرى على المعصومي من نكبات.

ومن مقالاته «هذه الشيوعية» نشرت في مجلة الحج سنة ١٣٧٩هـ.

ومما تقدم من عرض عـن كتابـات العلامـة المعصـومي في نقـد الشـيوعية والرد على إلحادهـا وضـلالاتها، يتـبين لنـا أنـه -رحمـه الله - كـان واعيـا لخطورتها على الإسلام وأهله وعارفا بالرد على هذا الفكر الإلحادي، المعادي للإسلام ولكل عقل سليم وديـن صـحيح، وسـنذكر بعـض النمـاذج مـن ردوده على هذا المنهج المنحرف، لنلقي الضوء بذلك على جرأته وقـوة ردوده حيـث يقول: «فأساس الشيوعية الماركسية اللينينية إنما هو إنكار وجود الله و أسـاس إنكارهم عدم كشفهم عنه و رؤيـتهم لـه عـز و جـل و هـذا صـادر مـن نهايـة إغراقهم في بحر ظلمات الضلال لأن من لم يجعل الله له نورا فماله مـن نـور. فإني أنا عبد الله محمد سلطان المعصومي احكي قصة وقعت لي عندما كنـت في بلاد التركستان في سنة ١٩٢٧ اعلنت جريدة الشـورى السـوفيتية الصـادرة

من طاشكند أنه سيعقد مجلس لأجل المناظرة في إثبات وجود الله فكل من يريد الإشتراك فيه فليحضر المجلس في الوقت الفلاني. و أنا كنت إذ ذاك في مرغينان فقمت من مجلسي وركبت القطار وسرت إلى طاشكند في الوقت المشار إليه حيث وجدت هناك جماعة عظيمة من المسلمين و النصارى والشيوعيين الدهريين وغيرهم أكثر من عشرة آلاف نسمة .

فقام زعيم الدهريين وهو ملحد تتاري يدعى منصوروف و خطب وتكلم وهذى كما يهذي هوبز أستاذ كارل ماركس إلىأن قال «إن الناس الدينيين يقولون إن الله موجود وهو الذي أوجد العالم وخلقه و رباه ويربيه ، و قولهم هذا «فنتيكية» أي خرافة و خيال لو كان موجودا لرأيناه كما نرى الشمس و القمر و غيرهما و الحال أنهم يصفونه بأنه كبير عظيم و جليل كما في القرآن و التوراة والإنجيل، و نحن الآن نرى أدق الأشياء وأصغرها بالآلة الراصدة «الميكريسكوب – و التيليسكوب» أي الآلات المكبرة و المقربة و قد دققنا و فتشنا فلم نره، و لم يراه أحد بل و لا أخبر أحد أنه رآه، فهو معدوم وليس بموجود، و الأشياء كلها تولدها الطبيعة حسب مقتضى المادة إلى آخر ما طغى و غوى و بغى كما طغى ماركس و حزبه فقمت من مقامي و صعدت المنبر و حمدت الله تعالى و صليت على رسوله سيدنا محمدﷺ فقلت بعد تمهيد المقدمات و الإستدلال لوجود الله تعالى بهذه الكائنات، أن الزعيم المنكر لوجود الله تعالى و ربه وخالقه جل سلطانه بنى إنكاره على أنه لم يره فأنا أسأله هل له روح في جسده و عقل في مخه فلا بد أن يقول نعم إن له

روحا في بدنه وعقلا في مخه فإن كان هكذا فهل رأى روحه و عقله ماهو وكيف هو؟ وهو قد أقر الآن واعترف بوجود ما لم يره و بثبوت ما لم يشاهده و هو في نفسه و إنما أقر و اعترف بوجود الروح و العقل لظهور أثرهما فإن كان الأمر هكذ فليقر و ليعترف بوجود الله الذي خلق كل هذه المخلوقات على هذا النظام المحكم من آثار وجوده وعلمه وقدرته ودلائل علمه وحكمته.

و هذا الإنسان الجاهل المنكر إذا لم يستطع رؤية روحه التي هي في نفسه، فكيف يستطيع رؤية رب العالمين الذي الروح أمر من أمره، و الخالق الجليل الذي لا شبيه له و لا نظير.ليس كمثله شيء و هو السميع البصير. فبهت الذي كفر و الله لا يهدي القوم الظالمين، ثم إن المسلمين كبروا الله و سبحوه وسروا و استبشروا، وأما المنكرون الظالمون فخجلوا وخابوا،وقالوا إنا نخبر أستاذنا في موسكو.

و كان جوابي في عام ١٩٢٧م و ما أنشره في مجلة الحج الآن عام ١٩٦٠م أي بعد أن مضى ثلاثة وثلاثون سنة .. و جوابي هذا بعون الله و حوله كاف للرد عليه لمن له ذرة من عقل أو أثر من العلم والإنصاف و التوفيق، و أما المعاند المفسد الذي قد أضله الشيطان و النفس و الهوى فلا يقبل الحق و لو كان أظهر من وجود الشمس في رابعة النهار»[1].

١- مجلة الحج ذو القعدة ١٣٧٩ هـ ص٨٥ و انظر حكم الله الواحد الصمد ص ٦٦.

وبعد أيام من هذه المناظرة حكم عليه بالاعدام من الشيوعية فنجاه الله عز وجل من كيدهم وشرهم كما مر[١].

و في رد الشيخ المعصومي على الشيوعية والشيوعيين قال«و تأييدا لجوابي هذا – الآنف الذكر –أذكر ما أجاب به الإمام أبوحنيفة لإلزام الدهريين الماديين قبل ألف وثلاثمائة عام تقريبا قال العلامة الحافظ العماد بن كثير[٢] في سورة البقرة في تفسيره الشهيرص:١٠٦ و كذا العلامة الملا علي بن سلطان محمد القاري الأفغاني نزيل مكة في أوائل شرحه على الفقه الأكبر ص٨ و إني قد كنت جعلته – الحكاية التاسعة– من مؤلفي المسمى البرهان و السلطان في الحكايات و العرفان ص:١٠[٣] و هذا نصه«و عن الإمام ابي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى أنه قال لبعض الزنادقة: دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه ، ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر و ليس بها أحد يحرسها و لا ربان يسوقها و هي مع ذلك تذهب و تجيئ و تسير و تفرغ بضائعها بنفسها و تخرق الأمواج العظام وتتخلص منها بنفسها و تسير بنفسها حيث شاءت دون أن يسوقها أحد فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل فقال: و يحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي و السفلي و ما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع ، فبهت القوم

---

١ – انظر ص:٤١ من هذا البحث.

٢ – اسماعيل بن محمد بن كثير الحافظ الكبير صاحب التفسير و البداية والنهاية و تصانيف أخرى ولد ٧٠٠ و توفي ٧٧٤هـ الأعلام ٢٩٨/٦ ، شذرات الذهب ٢٣١/٦

٣ – انظر البرهان والسلطان في الحكايات والعرفان، ص:١٠.

ورجعوا إلى الحق و أسلموا على يديه... و قد صدق الله العليم الحكيم القدير الغني جل جلاله حيث قال {و لو شئنا لآتينا كل نفس هداها و لكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين}[1]».

و نشأ قول كارل ماركس ولينين ، أن الدين أفيون الفقراء، و أن الدين من إختراع أصحاب المصالح لإستغلال الفقراء لا من عند الله عز وجل. لإن الرهبان في كل ملة إذا نظرنا إليهم و تأملنا فيهم، بل هم إذا تأملوا بأنفسهم و أنصفوا يجدون أنفسهم غاشين وخائنين ويقولون ما لايفعلون و مع هذا يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا و يخطبون خطبا و مواعظ ولكنهم في الأعمال على خلافها، قد شوهوا الدين الحق و نفروا الناس عنه إلى أن صاروا سببا للطعن في الدين و باعثا لحدوث الشيوعية و شيوعها. فيا أيها المسلمون انصفوا و احترزوا من العناد و الإعتساف و زنوا انفسكم بميزان الإنصاف قبل أن تجازو بعدل الجبار المنتقم»[2].

كان هذا عرضا عن موقف العلامة المعصومي من الشيوعية ، واليوم ولله الحمد قد أراح الله المسلمين من هذا الفكر الإلحادي الفاسد الكاسد، بعد سقوط الشيوعية فيما كان يعرف بالإتحاد السوفيتي والإنهيار العام الذي لحق بها في كل مكان وبقي هناك أنصار لهذا الفكر متواجدين تحت مسميات أخرى وهم يحاولون دائماً تطبيق الفكر الشيوعي كلما سنحت لهم الفرصة

---

١ – سورة السجدة ، الآية رقم:١٣

٢ –مجلة الحج ذو القعدة ١٣٧٩هـ ،ص: ٨٥-٨٦

ونسأل الله أن يريح الإسلام والمسلمين من هؤلاء . والله الموفق للصواب والهادي إلى سواء الطريق.

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله ونعمه تتم الصالحات والصلاة والسلام على من أكمل الله به الرسالات، محمد بن عبد الله خير خلقة وخاتم أنبيائه ورسله وعلى آله وصحبه أولي الفضل والكرامات.

وبعد فإني أشكر الله عز وجل على نعمه التي لا تحصى، وأشكره على منَ علي بإنجاز هذا البحث.

وقد تطلب مني هذا البحث عناء كبيرا، وبذلت فيه قصارى جهدي وغاية وسعي، وآمل أن أكون قد وفقت فيما أردت من تحقيق هدف البحث في الوصول إلى الفائدة العلمية المنشودة، وفي بيان جهود العلامة المعصومي في مجال العقيدة.

وفي الخاتمة – نسأل الله حسنها –أود أن أضع بين يدي القارئ الكريم أهم ما توصلت إليه من نتائج في هذا البحث:

١. ظهر خلال البحث أن العلامة المعصومي – رحمه الله – عاش حياته للعلم دراسة وتدريسا وتصنيفا، حتى أصبح من أعيان علماء عصره في البلد الأمين، وكان يقرر مايراه في ضوء الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، ويرد ما خالفهما ويعترضه مهما كانت منزلة قائله من العلم والعمل، بعيدا عن التعصب الأعمى والتقليد المذموم.

٢. أن العلامة المعصومي – رحمه الله – خلف عدد كبيرا من المؤلفات والرسائل القيمة، في مختلف العلوم الشرعية، وذلك بالرغم مما تعرض

له من محن بسبب وقوفه في وجه الشيوعيين البلاشفة، بالإضافة إلى كثرة ترحاله واشتغاله بالأعمال الكثيرة.

٣. بدا حياته العلمية -رحمه الله- على العقيدة الماتريدية والتعصب للمذهب الحنفي، والطريقة النقشبندية، إلا أنه تخلى عن ذلك كله بعد أن تبصر في العلوم، وتبين له الحق وسار على منهج أهل السنة والجماعة، الخالي من شوائب البدعة والتعصب المذهبي.

٤. كان من العلماء السلفيين البارزين، الذين درسوا العقيدة وبحثوا فيها على نطاق واسع ،وردوا على المبتدعة والضلال، حيث ألف كتبا قيمة عديدة في هذا المجال.

٥. من خلال دراستي لمنهج المعصومي في العقيدة تبين لي أنه وافق السلف أهل السنة في جميع المسائل العقدية التي تناولها رحمه الله، في مؤلفاته التي وقفت عليها،وذلك بعد رجوعه عن الماتريدية والنقشبندية إلى منهج السلف ومعتقدهم، وذلك أن منهجه في العقيدة هو:

- الاستدلال بالكتاب والسنة والإجماع
- التركيز على أهم مسائل أصول الدين.
- النقل عن العلماء الموثوق بهم في العلم وصحة المعتقد.
- التنبيه على الأخطاء التي يقع فيها بعض الناس
- الرد على المنحرفين عن عقيدة السلف ومنهجهم.

٦. ركز –رحمه الله – على توحيد العبادة وبيان ما أحدثه المبتدعة من انحرافات، خاصة الصوفية والقبورية.

٧. أنه قد درس البدع وبين أسبابها وآثارها وطرق أهلها بطريقة جدية وصريحة، وقد بلغ –رحمه الله– الذروة في الصبر على محاربتها.

٨. أنه – رحمه الله – وقف بقوة وشجاعة في وجه الفكر الشيوعي المنحرف وأهله، حيث ناظرهم وأظهر أمام الناس زيف مذهبهم وفساده وتناقضه حتى؛ أفحمهم وأخجلهم، وحينها فرح المسلمون الحاضرون، وخسر الشيوعيون البلاشفة؛ وانقطعت حجتهم، لذلك ناصبوه العداء وسجنوه مرارا، وظلوا يطاردونه حتى أخرجوه من بلادهم.

٩. كان رحمه الله من الشخصيات التي يثق فيها الملك عبد العزيز–رحمه الله حيث طبع له عدة كتب، على نفقته واشترى منها كمية ووزعها على طلاب العلم، كما أنه كان يرسله مندوبا عنه في بعض المؤتمرات الإسلامية خارج أرض المملكة.

١٠. وأخيرا فإن العمل البشري عرضة للخطإ والزلل، وصدق الله تعالى إذ يقول{ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا }[1]، هذا وإنَ ماسطرته في هذا البحث إن يكن صوابا فمن الله سبحانه وتعالى، وإن يكن غير ذلك فمني أو من الشيطان، وأستغفر الله عز وجل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

١ – سورة النساء الآية ٨٢

و الله العلي القدير أسأل ان يتجاوز عن الزلات، ويرزقنا المغفرة والإخلاص في القول والعمل، وإن يسلك بنا طريق العلم النافع والعمل لما علينا، وأن يجعلنا هداة مهدتين إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الفهارس العلمية :

١-فهرس الأيات القرآنية

٢-فهرس الأحاديث النبوية

٣-فهرس المصادر و المراجع

٤-فهرس الموضوعات

فهرس الآيات:

{سورة الفاتحة}

{سورة البقرة}

{سورة المائدة}

{ سورة الإسراء }

{ سورة الكهف }

{ سورة مريم }

{ سورة غافر }

{ سورة فصلت }

{ سورة الشورى }

{ سورة الزخرف }

{ سورة الدخان }

{ سورة الأحقاف }

{ سورة النجم }

{ سورة القمر }

{ سورة الحديد }

{ سورة الحشر }

{ سورة الصف }

{ سورة الممتحنة}

{ سورة التحريم }

{ سورة الليل }

{ سورة البينة }

{ سورة الزلزلة }

{ سورة القارعة }

{ سورة العصر }

{ سورة الكوثر }

{ سورة الكافرون }

{ سورة الإخلاص }

فهرس الأحاديث:

فهرس المصادر والمراجع :

حرف الألف

- الإبانة عن أصول الديانة، لابن بطة،تحقيق د. نعان معطي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، دار الراية الرياض.

- اتخاذ القرآن الكريم أساسا لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية،د. صالح بن عبد الله بن حمد مجمع الملك لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ١٤٠١هـ .

- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيمطبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة(د-ت).

- أجوبة المسائل الثمان في السنة والإيمان، المعصومي، تحقيق علي حسن عبد الحميد، دار الراية ١٤١٧هـ.

- الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم.مكتبة ابن تيمية القاهرة.

- أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، د. محمد الخميس، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ. دار الصحيح.

- أضواء البيان للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، الطبعة الأولى دار الأندلسي بجدة.

- الأعلام الشرقية في أعلام المئة الرابعة عشر الهجرية، زكي محمد مجاهد، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٩٩٤هـ.

- أعلام الحجاز لمحمد علي المغربي، الطبعة الأولى.

- أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري د. محمد عبد اللطيف الفرفور، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ. دار الملاح

- أعلام من أرض النبوة، أنس يعقوب كتبي، الطبعة الأولى.١٤١٤

- الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر الهيثمي طبع دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٧هـ.

- أعيان دمشق في القرن الثالث والرابع عشر الهجري، العلامة محمد جميل

- آداب البحث والمناظرة - للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، طبع دار ابن تيمية القاهرة(د-ت).

- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني، الطبعة الأولى، ١٤٠٥مؤسسة الكتب الثقافية بيروت.

- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي، تحقيق أحمد عاصم، طبعة دار الآفاق الجديدة، ١٤٠١هـ.

- الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين بيروت ١٩٩٧م.

- الإمام علي القاري، وأثره في علم الحديث، خليل إبراهيم توتلاي، الطبعة الأولى، دار البشائر الإسلامية بيروت.

- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به للباقلاني، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ عالم الكتب بيروت.

- أوضح البرهـان في تفسير أم القـرآن، الطبعـة الأولى ١٣٥٥هـ، مطبعـة أم القرى.

- أوضح البرهـان في تفسـير أم القـرآن للمعصـومي، طبعـة دار أم القـرى، عـام ١٣٥٥هـ.

- الإيمان أركانه حقيقته نواقضه، د. محمد نعيم ياسين، دار التوزيـع والنشـر الإسلامية (د-ت).

حرف الباء

- البداية والنهاية لابن كثير، الطبعة الخامسة، مكتبة المعارف سنة ١٤٠٤هـ.

- البداية و النهاية لإبن كثير، الطبعة الخامسة، مكتبة المعـارف بـيروت سـنة ١٤٠٤هـ.

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني دار المعرفة بيروت.

- بدعة التعصب المذهبي، لمحمد عيـد عباسـي، الطبعـة الثانيـة، ١٤٠٦هـ المكتبة الإسلامية -عمان.

- البرهان الساطع في تبرؤ المتبوع من التـابع للمعصـومي. حـررت ١٢٨١ هـ مخطوط.

حرف التاء

- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة الطبعة الثالثة سنة ١٤٠١هـ.

- تاريخ المذاهب الإسلامية محمد أبوزهرة، دار الفكر العربي(د-ت).

- تاريخ مكة لأحمد السباعي، دار مكة للطباعة ١٣٩٩ هـ الحجاز،

- تذكرة الحفاظ للذهبي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.
- التعريفات للشريف الجرجاني، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ نشر دار الكتب العلمية بيروت.
- التعليم في عهد الملك عبد العزيز، د.محمد بن عبد الله السلمان، الأمانة العامةل للاحتفال بالمئوية١٤١٩هـ.
- تفسير ابن كثير، طبعة ١٤١٣هـ مكتبة العلوم والخكم بالمدينة المنورة.
- تقريب التهذيب لابن حجر، حققه عبد الوهاب اللطيف، طبع دار المرعفة بيروت لبنان.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، طبع وزارة -
- تمييز المحظوظين عن المحرومين في تجريد الدين ووحدة المرسلين للمعصومي، تحقيق علي حسن عبد الحميد، دار ابن الجوزي ١٤١٢هـ.
-تنبيه النبلاء من العلماء إلى قول حامد الفقي أن الملائكة غير عقلاء للمعصومي، الطبعة الأولى، المطبعة السلفية ١٣٧٥.
- تهذيب اللغة لمحمد الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون، دار القومية الأوقاف والشؤون الإسلامية بالملكة المغربية، تحقيق جماعة من العلماء.
- التوصل إلى حقيقة التوسل، لمحمد نسيب الرفاعي، الطبعة الثالثة دار لبنان للطباعة.

حرف الجيم

- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، طبعة دار الفكر بيروت، بدون تاريخ.

- جامع البيان عن تفسير آي القرآن للطبري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية،

- جهود بعض علماء البلد الحرام في تقرير العقيدة السلفية في القرن الرابع

حرف الحاء

- حاشية الصنعاني على إحكام الأحكام، شرح عمدة الأحكام، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه، د. عبد المنعم علقجي، الطبعة المحققة القاهرة، ١٤١٠هـ.

- حبل الشرع المتين وعروة الدين المبين للمعصومي، دار السلفية ، مصر١٣٧٥هـ.

- حاضر العالم الإسلامي، د.علي جريشة، الطبعة الرابعة ١٤١١ الناشر مكبة وهبة القاهرة.

- الحجة في بيان المحجة أبو القاسم إسماعيل الإصفهاني، تحقيق الدكتور محمد ربيع مدخلي الطبعة الأولى ١٤١١هـ ، دار الراية الرياض.

- حكم الله الواحد الصمد للمعصومي، المطبعة السلفية مصر ١٣٥٥هـ.

حرف الخاء

- الخطط للمقريزي، المكتبة الثقافية العربية القاهرة (د–ت).

- خلق أفعال العباد للإمام البخاري ضمن عقائد السلف، تحقيق علي سامي النشار، وعمار جمعه الطالبي، منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٧١م

حرف الدال

- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني، مكتبة الصحابة، الإسلامية الكويت.

- درء تعارض العقل و النقل لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د.محمد رشاد سالم الطبعة الأولى، طبع جامعة الإمام ١٤٠٢هـ.

- الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل مشكلة القدرية، لابن تيمية، تأليف الشيخ ابن سعدي، مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٦هـ.

- الدر المنثور، للإمام السيوطي، الناشر دار المعرفة والنشر بيروت لبنان.

- الدر النضيد في علم الكلام وحقيقة التوحيد، للشيخ بداه بن البوصيري الشنقيطي، مخطوط عندي صورة منه.

- دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب و أثرها في العالم الإسلامي، الدكتور صالح العبود.

- دليل الخيرات و سبيل الجنات لخير الدين وائلي، طبعة مكتبة الوادي للزيع جدة.

حرف الراء

- الرد الوافي على تعقليات حامد الفقي للمعصومي مصر المطبعة السلفية ١٣٧٥هـ

- الرسالة التدمرية لشيخ ابن تيمية، الطبعة الثالثة، نشر قصي محيي الدين الخطيب، المطبعة السلفية، ١٤٠٠هـ.

- الرسالة القشيرية لعبد الكريم القسيري، تحقيق د. عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة مصر.

- رشحات عن الحياة لعلي الواعظ الهروي، دار صادر بيروت بدون تاريخ.

- رفع الأستار بإبطال أدلة القائلين بفناء النار، للصنعاني، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ المكتب الإسلامي.

- الروح لابن القيم، الطبعة الأولى دار ابن الجوزي.

حرف الزاء

- الزواجر في عقوبة أهل الكبائر لابن حجر الهيثمي.

- زيارة القبور لشيخ الإسلام ابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى.

حرف السين

- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.

- سنن أبي داوود، سليمان الأشعث، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث الإسلامي

- سنن النسائي أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي، الطبعة الأولى دار المعرفة ١٤١١ هـ.

- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع المكتبة العلمية بيروت.

- سنن الترمذي، تحقيق كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ،بيروت ١٤٠٨هـ ،وطبعة دار الفكر بيروت بمراجعة عبد الرحمن عثمان١٣٩٨هـ

- سير أعلام النبلاء للذهبي(ت٧٤٨)،الطبعة التاسعة، مؤسسة الرسالة

- سير تراجم علماء مكة في القرن الرابع عشر الهجري، عمر عبد الجبار، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ. طبع مؤسسة مكة للطباعة والإعلام،

حرف الشين

- شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز، للزركلي، دار العلم للملايين بيروت.

- شذرات الذهب لأبن العماد الحنبلي، طبعة دار المسيرة بيروت.

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للألكائي، تحقيق د.أحمد سعد حمدان، دار طيبة الرياض١٤١٢هـ.

-شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار الطبعة الثانية، مكتبة وهبة، الشلطي، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ دار البشائر .

- شرح الإمام علي القاري على كتاب ألفاظ الكفر، دراسة وتحقيق د. الطيب بن عمر رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتورة بجامعة أم القرى ،قسم العقيدة

- شرح السنة للبغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، المكتب الإسلامي ١٩٧١م.

- شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس.

-شرح الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، علي القاري،دار الكتب العلمية بيروت(د.ت).

- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، الطبعة السابعة مؤسسة الرسالة.

- شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٤هـ.

- شرح النووي على صحيح مسلم، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت لبنان١٤٠٧ هـ.

حرف الصاد

- الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هـ.

-الصحاح لإسماعيل الجوهري، تحقيق أحمد عطار، طبع دار القاهرة ١٣٩٩هـ.

- صحيح البخاري: للإمام البخاري، الطبعة الأولى دار الجيل الأول

- صحيح مسلم : للإمام مسلم ، الطبعة الأولى،دار الكتاب العلمية،

حرف الضاد

- ضعيف الجامع الصغير لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة١٤١٠هـ، المكتب الإسلامي

- ضوابط التكفير للشيخ حسن بن علي العواجي، الطبعة الأولى١٤١٥هـ طبع دار البخاري

حرف العين

– العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية، المكتب الإسلامي بيروت – دمشق.

– العقود الدرية فيما ينسب إلى الأيام النيروزية للمعصومي، تحقيق محمد خير يوسف ١٤١٨هـ طبعة دار ابن الجوزي.

– عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني، تحقيق بدر البدر، طبعة الدار السلفية الكويت.

– عقيدة بابه ابن الشيخ سيدي، مخطوط شخصي عندي صورة منه.

– عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية ودفاعه عنها، د.محمد عبد الرحمن الخميس ١٤١٩هـ الأمانة العامة للاحتفال بالمئوية.

حرف الغين

–الغنية عن الكلام للخطابي، تلخيص السيوطي، في صور المنطق، تحقيق د. علي سامي النشار والسيدة سعاد عبد الرزاق، الطبعة الثانية مجمع البحوث الإسلامية الأزهر ١٣٨٩هـ

حرف الفاء

– فتح الباري لابن حجر، الطبعة الثانية ١٤٠٩ دار الريان للتراث.

– فتح القدير في التفسير للشوكاني، طبع بيروت(د–ت)

– الفرقان بين الحق والباطل لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى مكتبة دار البيان، دمشق.

– الفرق بين الفرق للبغدادي، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة بيروت(د–ت).
– الفتاوى التتارخانية لعالم بن العلاء الأنصاري، تحقيق القاضي سجاد حسين، نشر إدارة القرآن والعلوم الإسلامية كراتشي ١٤١١هـ.
– الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية، تقديم عبد الرزاق حمزة، مطبعة المدني، مؤسسة السعودية ١٤٠٣هـ.
– فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال، لأبي بكر خوفير، الطبعة الأولى مطبعة مجلة المنار.
حرف القاف
– قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لابن تيمية، الطبعة الأولى، دار الآفاق.
– القاموس المحيط للفيروز آبادي مطبعة فن الطباعة ١١٣٥هـ، و طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٧هـ.
حرف الكاف
– كتاب الإيمان،لأبي عبيد القاسم بن سلام، طبعة المكتبة الفيصلية مكة المكرمة.
–كتاب الإيمان لابن أبي شيبة، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني،الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي
– كتاب الإيمان لابن منده، تحقيق د. علي بن ناصر الفقي، الطبعة الأولى الجامعة الإسلامية ١٤٠١هـ.

- كتاب التوحيد لابن خزيمة، تحقيق عبد العزيز الشهدان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ. دار الرشد الرياض.

- كتاب ؟؟؟ للشيخ محمد بن عبد الوهاب، منشورات المؤسسة السعودية بالرياض

-كتاب الشريعة للآجري، الطبعة الأولى، الوطن، تحقيق د. عبد الله الدميجي،

- كلمة الحق، أحمد محمد شاكر، تقديم عبد السلام هارون مصر، مكتبة رياض الجنة.

حرف اللام

- لسان العرب لابن منظور، مكتبة الرشد ،الرياض الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

- لوامع الأنوار البهية للسفاريني طبع المدني القاهرة(د-ت).

حرف الميم

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي،الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ طبعة دار الكتاب العربي بيروت.

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن فاس، الناشر رئاسة إدارة البحوث العلمية، الرياض.

- المحلى لابن حزم، بتحقيق د. سليمان البنذاري، طبعة دار الكتب العلمية بيروت(د- ت).

-مختصر ترجمة حال محمد سلطان للمعصومي، طبعة الدار السلفية مصر١٣٥٧.

- مختصر العلوم للذهبي، الطبعة الثانية، طبعة دار المكتب الإسلامي، تحقيق الألباني، ١٤١٢هـ،

-مختصر كتاب نشر النور والزهر، للشيخ عبد الله مرداد، الطبعة الثانية، دار المعرفة جدة. ١٤٠٦هـ.

-مدارج السالكين، لإبن القيم الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

- المذاهب الفكرية المعاصرة لمحمد قطب، الطبعة الخامسة ١٤١١هـ، دار الشروق

- مرآة الحرمين لابراهيم رفعت باشا، الطبعة الأولى.

-المستدرك للحاكم، الناشر دار الكتاب العربي بيروت (د.ت)

- مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد بن شاكر، طبعة دار المعارف، مصر ١٣٧٠هـ.

- المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية، تحقيق د. محمد عبد الله الخميس، طبعة دار العاصمة ١٤١٤هـ.

- المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، عرض ونقد، تأليف صادق سليم، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد ، الرياض ١٤١٥هـ.

- معارف القبول للشيخ حافظ الحكمي، الطبعة الثانية دار ابن القيم.

- معالم السنن شرح سنن أبي داوود للخطابي.

- معجم البلدان لياقوت الحموي، الطبعة الثانية ١٩٩٥م دار صادر بيروت.

عشر الهجري، رسالة ماجستير لعبد المحسن الحربي، مقدمة لقسم العقيدة بجامعة أم القرى سنة ١٤٢٠هـ .

- معجم الفاظ العقيدة لأبي عبد الله بن عامر فالح، طبع مكتبة العبيكان بالرياض.

- معجم المؤلفين لعمر رضا كحاله، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة.

- معجم مقاييس اللغة لابن الفارس، الطبعة الأولى، دار الجيل.

- مفتاح الجنة لاإله الله للمعصومي، الطبعة الأولى المكتبة الإسلامية.

- المفردات في غريب القرآن للراغب الإصفهاني، تحقيق محمد كيلاني، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٣٨١هـ.

- مقالات الإسلاميين للأشعري، الطبعة الثالثة دار إحياء التراث العربي بيروت.

- مقدمة ابن خلدون، الطبعة الخامسة، دار العلم بيروت١٩٨٤م.

- مكة في القرن الرابع عشر الهجري، محمد عمر رفيع ،الطبعة الأولى، منشورات نادي مكة الثقافي.

- الملل والنحل للشهرستاني، تحقيق محمد سيد الجيلاني، دار المعرفة بيروت١٤٠٤هـ .

- مناهج الأشاعرة في العقيدة،د سفر بن عبد الحوالي، الطبعة الأولى، دار السلفية الكويت.

- منهج ودراسات من آيات الأسماء والصفات، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي طبعة الجامعة الإسلامية ١٤٠٠هـ.

- المواقف في علم الكلام لعضد الدين الإيجي، طبع عالم الكتب(د-ت).

- موسوعة أعلام القرن الرابع عشر، إبراهيم الجازمي الطبعة الأولى١٤١٩هـ، دار الشريف.

- الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة، طبعة الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

- ميزان الإعتدال للذهبي، دار الفكر العربي (د.ت)

حرف النون

- نظم الدرر في أعيان القرن الاربع عشر، عبد الله بن غازي المكي (ت١٣٧٠) مخطوط عندي صورة منه.

- النقشبندية عرض وتحليل ، عبد الرحمن دمشقية،الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ دار طيبة الرياض.

- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، تحقيق محمود محمد الطناجي وطه أحمد الزواوي، الطبعة الثانية، دار الفكر بيروت ١٣٩٩هـ.

حرف الهاء

- هدية السلطان إلى مسلمي بلاد اليابان، المطبعة السلفية مصر١٣٧٥هـ.

- هدية المهتدين، مقدمة حبل الشرع المتين، المطبعة مصر ١٣٧٥.

العربية القاهرة ١٣١٤هـ.

- هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين للمعصومي، تحقيق سليم الهلالي، الطبعة الأولى المكتبة الإسلامية.

المجلات والدوريات:

-جريدة البلاد

- جريدة المدينة.

-جريدة الندوة

- مجلة الحج

- مجلة المنهل

فهرس الموضوعات: